البدع وأثرها السيء

أبو ماجد أحمد تركستاني

مكتبة الصحابة

مكتبة التابعين

بسم الله الرحمن الرحيم

البدع وأثرها الـ

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م

مكتبة
الصحابة

مكتبة الصحابة: الإمارات - الشارقة ت: ٥٦٣٣٥٧٥ - فاكس: ٥٦٣٧٥٤٤
مكتبة التابعين: القاهرة - عين شمس ت: ٤٩٣٨١٤٤ - فاكس: ٤٩٣٤٣٢٥

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد:

فإنه لا يخفى على أحد من الناس، الحالة السيئة التي حل فيها المسلمون في هذه الأزمان، من ذل وإذلال، وتقتيل وتشريد، وانتهاك لأملاك ولأعراض، وإلى آخره من أنواع الذل والهوان، حتى صار المسلمون اليوم؛ ليس لهم صوت بين الأمم إلا في الشكوى والأنين وطلب الإنصاف، فإلى الله نشكو حالنا، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

إذا عُلِمَ السبب بطل العجب:

فما هو السبب؟! هل من قلة نحن في هذه الأيام؟

لا! بل نحن أكثر من الكثير، ولكنا كما قال ﷺ: «**غثاء كغثاء السيل**» إذن ما هو السبب؟ وما الذي حصل لهذه الأمة، وتعدادها أكثر من ألف مليون؟ وأسئلة كثيرة تدور في أذهان المسلمين، وما الله بظلام للعبيد.

لاشك أن السبب هو السبب قديمًا وحديثًا، هو البعد السحيق عن كتاب الله تعالى وسنة نبيه المختار، إذن فالنجاة من هذه الحالة المريرة هو بلا شك ولا ريب الرجوع الصادق إلى سبب النصر والتمكين، وهو الكتاب والسنة، وفهمهما على الفهم الذي فهمه خير القرون وعلى ميزان قوله تعالى: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ**﴾

فالصراط المستقيم هو القرآن والسنة، والذين أنعم الله عليهم هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾(النساء: ٦٩)

يعني: هم السلف الصالح من الصحابة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، على ميزان

قوله ﷺ : «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم..** » متفق عليه .

أما المغضوب عليهم والضالون هم اليهود والنصارى الذين بدلوا دينهم ، وغيروه بالبدع ، وخلطوا المشروع بغيره ، فما عرفوا بعدها ما شُرع وما لم يُشرع ؛ فضيَّعوا دينهم ، فمن تشبه بهم فهو منهم ، فالحالة المأساوية التي يمر بها المسلمون اليوم هي من عند أنفسهم ، بتبديلهم دينهم ، بدين آخر ، أوحاه إليهم الشيطان ، وهو البدع ، والبدع هي من أكبر المعاصي التي عُصي الله بها ؛ لأنها شرع لم يأذن به الله، وقول على الله بغير علم ، لهذا قال ﷺ : «**إن الله احْتَجَزَ التوبة عن صاحب كل بدعة**»(١) .

فالمبتدع غالبا لا يتوب من بدعته ؛ لأنه يظن أنه يحسن صنعا ، وهو لا يدري أن بدعته وتَعَبَه فيها سيكون هباء منثوراً ، أما العاصي فهو يعلم أنه يعمل مخالفة شرعية ؛ فإن تاب وأقلع تاب الله عليه .

الفتن:

قال البخاري رحمه الله في كتاب «الفتن»، باب ما جاء في قوله تعالى : ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً**﴾(الأنفال :٢٥) ، ثم ذكر رحمه الله الأحاديث التي فيها مصير من بدّل دين الله بالإحداث فيه ، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح : (يشير - يعني البخاري - إلى ما تضمّنه حديث الباب من الوعيد على التبديل والإحداث ، فإن الفتن غالبًا إنما تنشأ من ذلك . .) انتهى .

فالبدع دين لم يشرعه الله، بل هو من عند غير الله، لهذا نجد الخلاف فيه كبيراً وكثيرًا ، كما قال تعالى : ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا**﴾(النساء :٨٢) وأيضا لم تكن البدع من عند رسول الله ﷺ ، فالرسول ﷺ كان يدعو بأمر الله، وبإذن من الله، وليس له إلا ما أذن له الله من الوحي فيبلغه عن الله ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾ (النجم :٣، ٤) ،فكل ما شرعه الرسول ﷺ فهو شرع الله، وبإذن من الله كما قال الله: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ④⑤ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا**﴾(الأحزاب :٤٦) . فالله تعالى أرسل رسوله ﷺ بهذه الأشياء ؛ الشهادة

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» بإسناد حسن (٤٣٦٠) ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٦٢٠) .

والتبشير والنذير والدعوة إليه، كل ذلك بإذن منه تعالى لا بإذن أحد غيره، لهذا كانت دعوة النبي ﷺ ومن اتبعه دعوة ناجحة، لها التأثير المباشر على كل الخلق؛ لأنها دعوة على علم وبصيرة من الله تعالى، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾(يوسف: ١٠٨)، فالبصيرة من الله أوحاها إلى رسوله ﷺ؛ لأن النبي ﷺ ما كان يدري ما الكتاب ولا الإيمان، أي ما كان يدري ما القرآن ولا الشرائع التفصيلية التي لا تُعلم إلا بالوحي فقط، كما قال تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ**﴾(الشورى: ٥٢).

لهذا كان ﷺ يحذر من البدع ويحاربها، بقوله: «**إياكم والبدع**»؛ لأنه ﷺ كان يعلم أن الله تعالى قد أكمل الدين وأتم به النعمة، ويعلم ﷺ أن الدين محصور بالوحي لا غيره، ويعلم أن الله عندما أكمل الدين؛ لم يأذن الزيادة فيه، كما لا يقبل النقص فيه؛ لعلمه ﷺ أن الله تعالى هو أعلم بخلقه، والأخبر بما يصلحهم، ويعلم ﷺ أن الله قد بين الحق من الباطل، ورسم للعباد المنهج الذي يصلح لهم أمورهم، ويقربهم إليه، ويكفل لهم رضاه.

لهذا قال ﷺ العارف بدين ربه بوحي من عنده: «**ما تركت شيئًا مما أمركم الله به إلا قد أمرتكم به، وما تركت شيئا مما نهاكم عنه إلا قد نهيتكم عنه**» أخرجه ابن خزيمة والشافعي وقال ﷺ أيضًا: «**ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بُيّن لكم**»(١).

فالرسول ﷺ بعثه الله ليبين للناس ما أنزل إليه من ربه من قرآن وسنة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾(الجمعة: ٢)، وقال -جل وعلا-: ﴿**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ**﴾(الأحزاب: ٣٤).

فالحكمة هي السنة، وهي وحي من الله أيضًا، فهي صنو القرآن لا تفارقه، وشارحة له، ومفصلة لمجمله، مقيدة لمطلقه، فالتزكية الحقيقية في القرآن والسنة، ففيهما

(١) أخرجه الطبراني، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٠٣).

الطهارة من خبـائث العقائد وأدناس الجاهلية والبدع والمحـدثات، التي هي حثالة الأفكار، وزبالة الأذهان، ووحي الشيطان الذي يوحي لأوليائه زخرف القـول غرورًا، فأوحى إليهم الشيطان البـدع وزينها وزخـرفها للجـهلة السذج، الذين ما عـرفوا معنى الـكتاب والسنة اللذين لم يدعا لأحد قولاً أو فعلاً، فـهما كما تقدم كاملان مكملان لبعضـهما لا يفترقان أبدًا.

سبب ضعف الأمـة:

وبعد: فإني لا أرى سببًا في ضـعف الأمة الإسلامية أعظم من البدع، والتي هي في الحقـيقة أفـعال تصادم الشـريعة بالمخالفـة، وتوجب التعاطـي عليها بزيادة أو نقـصان في الدين، فهي أشد ما أضر الدين؛ لمخالطته بـه، حتى صار عامة الناس لا يفرقون بين الذي شرعه الـله في بعض المسائل، وبين الذي أملته الأهواء، وجـعلته دينًا يُتمسك به أكـثر مما يُتمسك بالفرائض، ويُنافَحُ عنه أكثر مما يُنَافَحُ عن الإسلام بجملته.

علمًا بأن هذه البـدع المتراكمة - والذي أكثـرها سخيف جدًّا ومنكر- قد وقفت بين الأفكار المنفـتحة وبين الإيمان بدين الإسـلام، ونفرت منه، وأبعـدت عنه، ولو أن الأفكار المنفتحة اتصلـت بحقيقة الإسلام -التي جاء بهـا الرسول ﷺ من القرآن والسنة- لرأت فـيه كل مـا هو عظيم وجليل، ولآمنت به، وخـضـعت له، وظفرت بطـمأنينة اليـقين، وبدستور السعادة والسيادة دنيا وآخرة؛ كما حصل في خير الناس وفي خير القرون.

إذن العلاج هو العلاج، وهو الرجوع والعودة إلى هذين الوحيين وفـهمهما على فهم السلف الصالح، فنعمل جـميعًا على صيانة ديننا وحفظـه من كل دخيل أو غريب، وبهذا نكون قـد نصرنا ديننا الذي رضـيه الله وشـرعه، فـعندها نُمكّن من النصر والتـمكين في الأرض، كما قال ربُّنا: ﴿**إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾(محمد: ٧).

ولا غرابة في قـولنا: إن البدع هي مُـحَارِبَةٌ للدين، فـالدين هو ما شرعـه الله تبارك وتعالى، والبدع شرع لم يأذن به الله، لهذا حاربه الله فقال: ﴿**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ**﴾(الشورى: ٢١). لذلك حاربها الله ورسوله والصـحابة والتابعون لهم، فإذا نحن حاربناها؛ فسوف نكون مع جند الله ورسوله، فينصرنا الله بفضله وأمره، وبقوته وعزته، كما نصر رسوله وصحابته ومكنهم في الأرض.

فلهذا يتَّضِح لنا أن البدع في الدين هي أعظم مرض فتاك، أنشب أظفاره في جسم الأمة الإسلامية، فجعلها أوهن الأمم وأضعفها، واستأصل ما فيها من قوة ومنعة، فلم يبق منها إلا جسم نحيل يزداد كل يوم وهنًا على وهن، والله المستعان.

فعلى كل مسلم يشهد بوجود الله وكماله ووحدانيته، ويشهد أن محمدًا رسولٌ من عنده، بلغ رسالته؛ فعليه أن يلتزم بما ألزمه الله، ويتبع ما سنه رسول الله ﷺ ، وذلك بالإيمان بأن الدين قد تم، وأن الوحي قد انقطع، وأن الحق كله في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

من أعرض عن هذا، واختط لنفسه وللناس سواه؛ فقد نسب - بلسان حاله رضي أم أبى- لله النقص والعجز، وادّعى لنفسه أنه أخبر بمصالح العباد من الله، وأعلم من الله بما يكفل لهم النجاة. . . . فتعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا .

إذن البدع في الدين كلها ضلالة - وإن رآها الناس حسنة - تقود بأصحابها إلى النار، كما قال الصادق المصدوق ﷺ : «**كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**».

فالله لا يقبل من أحد -كائن من كان - أن يدخل في الدين ما ليس منه، فالبدع إدخال في الدين بغير إذنٍ من الله، وكل عمل على غير ما أمر الله مردود، كما قال ﷺ : «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** » أي: كل محدثة في الدين مردودة، وهي وصاحبها في النار والعياذ بالله.

ركنان لقبول العمل:

فسبيل النجاة مما نحن فيه؛ أن نخلص عبادتنا لله، وألا نتقرب إلى الله إلا بما شرع الله، وهما ركنا العمل، الذي من أخل بأحدهما هلك لا محالة.

ومن المعلوم عند كل أهل العلم، أن من أهم الأمور في هذا الدين، هو سد الذرائع . الموصلة إلى المحذور، والبدع في الدين لهي من أكبر الذرائع الموصلة إلى كل محذور، فلا تجد مبتدعًا إلا وهو منتقص للرسول ﷺ ، وإن زعم أنه معظم له بتلك البدعة؛ وذلك لأنه يزعم أن البدعة كالسنة، وهذا هو عين المشاقة لله ورسوله، فهو بمقولته هذه نصب نفسه مُشرّعًا مع الله ورسوله .

وأما إن زعم أن البدعة خير من السنة وأولى بالصواب ، فهذا قول على الله بغير علم ، والقول على الله بغير علم هو أعظم ذنب عُصِيَ الله به .

وأما مَنْ زعم أن البدعة سنة حسنة ، فهذا جاهل مقلد غير مستبصر ، فإن كان مُسْتَبْصرًا في بدعته فهو مشاق لله ورسوله ، عابد على غير مراد الله ورسوله ، فعباداته هباء منثور ، والتزامه مثبور .

وعلى كل حال ؛ فإن أهل البدع أهل تنقص في الحقيقة ، لبّس عليهم الشيطان ، حتى ظنوا أن تنقصهم هو الكمال ، فَفُضِحُوا حتى بين العوام .

لهذا كان من لوازم شهادة أن محمدًا رسول الله ؛ ألا يعبد الله إلا بما شرع رسول الله ، أي أن العبادات لن تقبل إلا إذا كانت خالصة لوجه الله ، صوابًا على مراد الله ، بوحي من الله إلى رسول الله ﷺ ، وهما ركنا العمل اللذان لا يفترقان ولا يبتعدان ، بل هما متلازمان ملتصقان .و الله المستعان .

القائد هو الرسول ﷺ :

أما نحن فعلينا جميعًا أن نقوم كما قام القائد الحق الأول محمد ﷺ ؛ حيث قام بهذه الرسالة ، رسالة الكتاب والسنة ، يدعو الناس بها إلى الله بالأساليب الشرعية المتاحة له .

فأقول الشرعية ، لا البدعية التي عند كثير من الناس ؛ لأن النبي ﷺ كان يدعو إلى الله بإذنٍ من الله ، وبوحي من الله ، أما المبتدعة فدعوتهم بالأساليب البدعية ، بغير إذن من الله ، وبوحي من الشيطان ، لهذا كان الرسول ﷺ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان ؛ كانوا أحرص الناس على ألا تفشو فيهم البدع والأهواء ؛ صيانة للدين وحمايته من أي دخيل يخالطه ؛ لأن الخلط فيه غش ، وليس هناك غش أكبر من هذا الغش ، هذا الخلط والغش هو الذي ضيّع دين أهل الكتاب ؛ بحيث أدخلوا في دينهم البدع بوحي شياطينهم ، فخلطوا دين الله المشروع ، بوحي الشياطين الغير مشروع ، فما عرفوا بعدها دينهم المشروع ، فقد صار دينًا مخلوطًا بالبدع ، فضاعوا بتضييعهم دينهم ، حتى صاروا من المغضوب عليهم والضالين ، وذلك بما كسبت أيديهم ، وما ربك بظلام للعبيد .

أما دين المسلمين؛ فقد وفق الله سبحانه وتعالى في كل عصر خلفًا من العدول يحملونه، ويصونونه من تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، فهؤلاء العدول هم حملة العلم الشرعي على منهاج النبوة -قرآن وسنة على فهم سلف الأمة- أما أهل البدع؛ فليسوا من حملة العلم العدول، فهم غشاشون ثرثارون متفيقهون، فما حمل علم رسول الله ﷺ إلا عدول زكاهم النبي ﷺ بقوله: « **يحمل هذا العلم من كل خلف عدولُه، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين** » .

فأهل البدع هم غالون ومبطلون وجاهلون، قائلون على الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، يزيدون في الدين ما ليس منه، يكيدون على الدين، بحجة أن فيه بدعة حسنة، وكأنهم بهذه المقولة الجائرة، ينسخون أقوال الصادق المصدوق: «**إياكم والبدع**»، «**إياكم ومحدثات الأمور** »، «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» وغيرها من الأحاديث الكثيرة التي فيها التحذير من البدع، فيبطلونها، ويبثّون حولها الشبهات التي تشكك الجهال والسذج من الناس، ولكن الله بالمرصاد، فقد قال ﷺ : «**إذا حدثتكم حديثا فلا تزيدنّ علي..**» (١)، وقال ﷺ : «**من يقل عليّ مالم أقل، فليتبوأ مقعده من النار**» رواه البخاري .

السلف قادة بعد رسول الله ﷺ:

رُوي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «إن لله عند كل بدعة كيد بها الإسلام وليًّا من أوليائه يذب عنها وينطق بعلاماتها، فاغتنموا تلك المواطن وتوكلوا على الله» قال ابن المبارك: «وكفى بالله وكيلا» .

وقد كان السلف ينفرون من البدع وأهلها، ويطعنون فيهم، ويحذرون من الجلوس إليهم، فعن الحسن البصري رحمه الله قال: « لا تجالس صاحب بدعة، فإنه يمرض قلبك»، وقال أبو قلابة: «لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون»، ولهذا قال الصادق المصدوق ﷺ : «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**». رواه أبو داود والترمذي.

(١) أخرجه مسلم (٦/ ١٧٢).

وقال الأوزاعي: «لا تمكنوا صاحب بدعة من جدل؛ فيورث قلوبكم فتنة وارتيابًا».

فرحم الله سلفنا الصالح، فوالله قد كانوا لنا ناصحين، فلا يحملن أحد منا حسن ظنه بنفسه على المخاطرات بدينه في مجالسة أهل البدع والأهواء، فيقول مثلا: أداخلهم؛ لأناظرهم، أو أداخلهم؛ لأردهم عن بدعهم، فإنهم والله لأشد فتنة ومكرًا من الدجال، فالدَّجال لن يخرج إلا وقد هيأ له أعوان ومناصرين، وما أراهم إلا أهل البدع، فاللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين أبدًا.

نحن أتباع للسلف إن شاء الله:

والذي ينبغي علينا جميعًا، أن نسارع بالإنكار على كل من كان عنده أي بدعة، كبيرة كانت أو صغيرة، وأن هذا الأمر لا يسع أحد من ذوي الغيرة على الدين إلا الأخذ بالحزم والعزم في بيان الشريعة للناس، ونصر السنة، ومناهضة البدعة، وإن كره المخالف، فكراهية المخالف لا حجة فيها على الحق، فالمسارعة المسارعة إلى نشر السنة ومحاربة البدع؛ لعل الله يردّ بنا المبتدع الضال والزائغ والمفتون، ويهدي بنا الجاهل الحائر، فإذا فعلنا ذلك فالنصر قريب بإذن الله تعالى. فاللهم انصر من نصر الدين، واخذل من حارب سنة خير المرسلين، واجعلنا من عبادك الصالحين؛ الذين جندوا أنفسهم لنصرة الدين، واجمعنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، اللهم اجعل أعمالنا خالصة، وإليك واصلة، ولا تجعل لأحد منها شيء، وصلى الله على المبعوث رحمة للعالمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العلمين.

كتبه

أبو ماجد أحمد تركستاني

١٤٢١هـ

التعليق على الموسوعة الكويتية

الجزء الرابع عشر

(التوسُّل)

بسم الله الرحمن الرحيم

التعليق على «الموسوعة الفقهية الكويتيّة»

– الجزء الرابع عشر – (التَّوَسُّل)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد:

فهذا الموضوع متعلق بموضوع الرَّد على الجفري التبليغي الصوفي الذي أضل العوام، الذي يؤيِّد التوسُّل بالأموات؛ بطلب المدد والشفاعة منهم، وأنهم ينفعون بإذن الله، بزعم أنهم سبب لحصول مسبب، فهم الواسطة بينه وبين الله، فيدعي أنه يجوز التوسل بذات النبي ﷺ – فضلاً عن غيره – والتوجه إلى قبره بالتوسل به والدعاء عنده، و . . ، و . . إلخ.

وكان قد ابْتُلِيَ بهذه العقيدة الشركيَّة بعضًا من المتصوفة، في جهة العمل الذي أعمل فيه، ممن ينتمي إلى جماعة التبليغ الصوفية المعروفة في ساحة المسلمين.

وكنت قد بينت حال هذه الجماعة في رسالة سميتها: «هل هذه الجماعة من الفرق المبتدعة؟» وكذلك بينت حال علي بن زين العابدين الجفري في رسالة أخرى سميتها: «علي الجفري وتلبيساته وملابساته وافتراءاته»، وقد سبق نشرهما بين إخواننا في العمل؛ كي يحذروا من الانتماء إلى هذه الجماعة الصوفية، أو الاغترار بالجفري الذي اغتر به وبهم كثير من العوام؛ ظنًّا منهم أنهم على شيء، فكتبت عنهم نقولاً كثيرة ومن كتبهم؛ كي لا يظن أحد من الناس أن الكلام فيهم – جماعة التبليغ – افتراء عليهم، فأدنّاهُم من كتبهم المعتمدة عندهم.

فنفع الله بهاتين الرسالتين نفعًا عظيمًا، فراجع الرسالتين واطلبهما؛ لترى كم هم ضلوا كثيرًا وأضلوا عن سواء السبيل.

فمن ضلالهم وإضلالهم؛ أن جاءني بعض المتعصبة لعلي الجفري القبوري؛ جاءني

مفتـريًا على شيخ الإسلام الإمام أحمـد بن حنبل؛ فادَّعى أنه توسل بذات النبي ﷺ ، وأجاز ذلك ـ ليبرر موقف شيخه الجفري الضال المضل ـ فقلت له سائلا متعجبًا : وهل ثبت هذا عندك ؟! فقـال : نعم ! قد ثبت هذا ـ متـقوِّلاً على الله وعلى خلقه بغـير علم ولا هدى ولا كتاب منير ـ وهذا ليس غريبا على هذه الجماعة الضالة المضلة .

فقلت له ـوهذا قـول السلفي الذي ينبغي لكل مسلم أن يعتـقده ـ: لو ثبت هذا عن إمام أهل السنة ـ وهو لم يثبت ـ فنحن لا نقلده على هذا، فـالتقليد لا يجوز، وهو قول الإمام أحـمد نفسه حـيث قال :لا تقلِّدني ولا تقلد مالكًا ولا الشـافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري؛ وخذ من حـيث أخذوا، وقال أيضًا :لا تقلد دينك أحـدًا من هؤلاء، ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخذ به، ثم التابعين، وما بعد الرجل فيه مخير .

هكذا قلت له، ولكن هذا الرجل التبليغي أصرَّ على قوله، وأخذ يردد أنني أطعن في العلماء والأئمـة، وأني أتهمهم بالشـرك ـ كوني أقول: التـوسل بذات النبي ﷺ شرك أكبر ـ ويدعي أنني مغرور بقول الجمهور، وأني أجبرُ الناس على رأيي .

ولكنني حذرته من هذا القـول، وحذرته من افترائه على العلماء والأئمـة وعليَّ بغير علم ولا هدى.

ولكن المسكين ما زال مصرًّا على ضلاله واتهامه للإمام أحـمد بالشرك الصّراح؛ بأنه أجاز التوسل بالرسول ﷺ بعد موته.

فأرسل إليَّ المسكين أوراقًا مصـوّرة من كتاب الموسوعة الفقهيـة من الجزء الرابع عشر في تعريف التوسل .

ولكن المسكين ـ وهذه حال كل من ينتمي إلى جماعة التـبليغ ـ لقلة بضاعته العلمية صدّق كل مـا في هذه الموسوعـة في باب التوسـل، وصدّق كل ما نَـقَلَتْهُ الموسـوعة عن العلماء ولو بالبـاطل، ومع الأسف لم يفهم هذا التبلـيغي من هذه الورقات المصورة غـير العبارة الأخـيرة من قول شيخ الإسلام ابن تيـمية: «إن المسألة خـلافية، وإن التكفير فـيها حرام. . .» .

ولكن العـيب ليس من التبليـغي فـقط! ولكن العيب من مـؤلفي كتـاب «الموسوعـة

الفقهية» أيضًا، فهم عندما ينقلون كلام العلماء؛ فهم يَبْتِرون من نصوصهم، ويسوِّغونها على حسب مرادهم، لا على مراد من نقلوا عنهم، وهذا من أخبث أنواع الخيانات العلمية، وهذا – أيضًا – ليس افتراءً عليهم؛ بل هو تبيين للحق الأبلج، وإزهاق للباطل اللجلج، وستراه إن شاء الله في هذه المناقشة، مع هذه الموسوعة التي سندينها من كلامها، فيكون هذا الرَّد ليس ردًّا على التبليغي فحسب – فالرد عليه كان في مكان آخر فاطلبه – بل ردًّا على هذه الموسوعة – أيضًا – التي يستفيد منها هذا التبليغي وغيره، لمن أراد الحق بدليله، والله المستعانْ . إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

تقرير التوحيد وحسم مادة الشرك:

• أما بعد: فاعلم يا عبد الله أن غرضي في هذا التعليق، هو تقرير التوحيد وحسم مادة الشرك والغلو، فالتوحيد هو الذي أُرسل من أجل تقريره جميع الرسل، وأنزل الله من أجله جميع الكتب .

وأما الشرك وحسم مادته، فقد جاءت كل الرسالات لحسمه ومحوه، وتطهير الأرض والنفوس والقلوب من أقذاره وأدرانه .

وأما الغلو فقد جاءت كل الرسالات لحسم مادته أيضًا؛ لأنه هو أصل الشرك عند جميع الأمم للمتأمل، فقد قال الله تعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ**﴾(النساء: ١٧١) .

فالكلام في موضوع التوسل سوف نجعله إن شاء الله منطلقًا إلى تحقيق التوحيد، وإخلاصه لله وحده، ودحض الشرك وأنواعه، والقضاء عليه وعلى وسائله وأسبابه، فنرد إن شاء الله على كل من جعل التوسل منطلقًا إلى الشرك بالله وهدم قواعد التوحيد، وتحريف نصوصه دفاعًا عن الشرك وذرائعه تحت ستار حبّ النبيّ ﷺ والأولياء والصّالحين .

التوصل إلى معنى التوسل الشرعي:

أما التوسل فمعناه اتخاذ الوسيلة، والوسيلة هي كل ما يوصل إلى المقصود، فهي من الوصل؛ لأن الصاد والسين يتناوبان، كما يُقال: سراط وصراط، وبسْطة وبصْطة .

يقول الراغب الأصفهاني في «المفردات»: الوسيلة: التوصل إلى الشيء برغبة، وهي أخص من الوصيلة؛ لتضمنها لمعنى الرغبة، قال تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾(المائدة:٣٥)، وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى: مراعاة سبيله بالعمل والعبادة، وتحري مكارم الشريعة، وهي كالقُرْبى والواسل والرّاغب إلى الله تعالى». اهـ

وقال ابن جرير رحمه الله في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾(المائدة:٣٥). قال: اطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه. انتهى.

ونقل ابن كثير، عن ابن عباس: أن الوسيلة: القربة، وعن قتادة: أي تقربوا إلى الله بطاعته، والعمل بما يرضيه، ثم يقول ابن كثير: وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه. اهـ.

أما قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾(الإسراء:٥٧).

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرًا من الجن، فأسلم الجنِّيون، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون، وفي رواية: فأسلم الجن، وتمسك هؤلاء بدينهم» رواه البخاري ومسلم والأخيرة للبخاري.

فالمتوسل يدعو الله تعالى، ولكن بسبب يوصل إلى الله تعالى، كما هو مفهوم مما تقدم، فإذا كان ذلك كذلك؛ فلا بد إذن من دليل على كون المُتَوَسَّل به سببًا للقبول عند الله تبارك وتعالى، والدليل لا يُعلم إلا من طريق الشرع؛ لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا﴾(المائدة:٣). ولقوله صلى الله عليه وسلم: «**ما تركت شيئًا يقربكم إلى الله إلا أمرتكم به**» رواه الطبراني وهو صحيح ثابت.

وعليه فمن جعل شيئا من الأمور وسيلة له في قبول دعائه بدون دليل من الشرع؛ فقد قال على الله ما لم يعلم، واتبع شرعًا بدون إذن من الله، وهذا شرك كما قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾(الشورى:٢١)، وقوله تبارك وتعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(التوبة:٣١). وهذا شرك بصريح القرآن

والعلمـاء من أهل السنة قـد بينوا أن التوسل في دعـاء الله تعـالى، على أنواع وردت في القرآن والسنة الصحيـحة - في الأقوال الصحيحة لا الضعـيفة، فالضعيفة لا حـجة فيها، فحكمها العـدم، والرسول ﷺ بريء منها، فأكثرها مخـالف للشرع المطهر؛ فنحن في غنى عنها، وسنذكر بعضها في ثنايا هذا الرد إن شاء الله تعالى.

النوع الأول: التوسل بأسـماء الله تعالى وصـفاته وأفعـاله، فيُتَـوَسَّلُ إلى الله تعالى بالاسم المقتضي لمطلوبه، أو بالصفة المقتضية له، أو بالفعل المقتضي له، قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا**﴾(الأعراف: ١٨٠) .

فيقـول مثلاً: اللهم يا رحيم ارحمني، ويـا غفور اغفر لي، ويا جـبار انتقم لي، ويا قوي قونا على عدونا، ويا ناصر انصرنا، ونحو ذلك .

وفي الحديث الصـحيح: «**اللهم بعلمك الغـيب، وقـدرتك على الخلق؛ أحيني مـا علمت الحيـاة خيرًا لي** » (رواه النسائي والحـاكم وصححـه ووافقه الذهبي)، ومـثله قول القائل: اللهم إني أسألك بحـبك لمحمد ﷺ . . فالحب صفة من صفـات الله سبحانه وتعالى، أمـا قول القـائل: اللهم إني أسألك بمحـمد ﷺ ، أو بجاهـه، أو بمكانته، أو بحقه، فهذا الذي لا يجوز كما سنبينه في موضعه إن شاء الله .

فأسـماء الله وصفـاته له سبـحانه وتعالى، وقـد سمع النبي ﷺ رجـلاً يقول في تشهـده: «اللهم إني أسألك بأن لك الحـمد لا إله إلا أنت وحدك لا شـريك لك المنان يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم؛ إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار» فـقال النبي ﷺ لأصـحابه: «**تدرون بما دعا ؟**» قالوا: الله ورسـوله أعلم ! قال ﷺ : «**والذي نفسي بيـده، لقد دعا الله باسـمه العظيم**» وفي رواية: «**الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى**» (رواه أبو داود والنسائي وأحـمد وغـيرهم بإسناد صحيح)، وغيرها من الأحاديث الكثيرة في هذا النوع من التوسل .

ولكن ينبغي علينا أن ننتبه إلى بعض الأمور الدقـيقة في هذه الأبواب العظيمة، وهي من الأمور التي قـد تخفى على كثيـر من الناس، وهي أن عبادة العـبد لصفة من صـفات الله، أو دعاءه لصفة مـن صفات الله يكون من الشرك، فالصفـة غير الموصوف بلا شك،

نعم الأسماء الحسنى هي صفات لله تعالى خُصَّت به تبارك وتعالى، وهي قد تكون لازمة وغير لازمة، ولكن هي بلا شك غير الموصوف، فقوة الإنسان غير الإنسان، وعزة الإنسان غير الإنسان، وكلام الإنسان غير الإنسان، وكذلك - ولله المثل الأعلى- قدرة الله عز وجل ليست هي الله، بل هي صفة من صفاته، فلو تعبد العبد لصفة من صفات الله؛ لم يكن متعبدًا لله، وإنما تعبد لهذه الصفة لا لله عز وجل، والعبد إنما يتعبد لله عز وجل: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ**﴾(الأنعام: ١٦٢)، والله جل وعلا موصوف بجميع صفاته؛ فإذا عبدت صفة من صفاته لم تكن عبدت الله عز وجل؛ لأن الله موصوف بجميع الصفات، وكذلك دعاء الصفة يُعتبر من الشرك مثل أن تقول: يا مغفرة الله اغفر لي، أو يا عزة الله أعزني، أو يا رحمة الله ارحمني، ونحو ذلك وهذا مما يجب أن يتأمَّله العبد فإنه في غاية الدقة.

أما دعاء العبد: يا رحمة الله ! أي استغاث برحمة الله، فلا بد أن يريد الله تعالى، لا يدعو نفس الرحمة، فإذا أراد الله فهذا جائز .

وهذا يختلف في القَسَم بصفة من صفات الله، فالقسم جائز مثل أن تقول: وعزة الله لأفعلن، وقدرة الله لأفعلن، وما أشبه ذلك، أما الدعاء لصفة من الصفات فهذا الذي لا يجوز، والله أعلم .

النوع الثاني: التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح قام به الداعي؛ كقول القائل: اللهم بإيماني بك وطاعتي لك فاغفر لي، وهو في قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ**﴾(آل عمران: ١٩٣)، وفي قوله تعالى عن الحواريين: ﴿**رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ**﴾(آل عمران: ٥٣). وفي قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا**﴾(المؤمنون: ١٠٩)، وقد سمع النبي ﷺ رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد. فقال ﷺ : «**قد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا سُئِلَ به أعطى، وإذا دُعِيَ به أجاب**» رواه أحمد وأبو داود .

وقصة أصحاب الغار الثلاثة الذين انسد الغار عليهم فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم. . . وهذا الحديث في الصحيحين وغيرهما وهو أشهر من أن يُذكر.

فيجوز للعبد المسلم أن يقول مثلاً: اللهم إني أسألك بحبي لمحمد ﷺ وإيماني به واتباعي له؛ أن تغفر لي وتفرّج عني، لأن هذا من التوسل بالعمل الصالح، فحب النبي ﷺ واتباعه والإيمان به من العمل الصالح، وهذا النوع من التو سل قد ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» فقال -رحمه الله-: «وهذا التوسل بالإيمان به وطاعته فرض على كل أحد في كل حال باطنًا وظاهرًا في حياته وبعد موته، في مشهده ومغيبته، لا يسقط التوسل بالإيمان به وبطاعته عن أحد من الخلق في حال من الأحوال، بعد قيام الحجة عليه، ولا بعذر من الأعذار، ولا طريق إلى كرامة الله ورحمته والنجاة من عذابه إلا التوسل بالإيمان به وبطاعته». ا هـ.

أما النوع الثالث: أن يُتوسل إلى الله بذكر حال الداعي المبينة لاضطراره وحاجته؛ كقول موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (القصص: ٢٤).

أما النوع الرابع: أن يتوسل إلى الله بدعاء من ترجى إجابته، أي بدعاء الرجل الصالح؛ فقد يعلم المسلم أنه مفرّط في جنب الله، فيحب أن يأخذ بسبب قوي إلى الله تعالى، فيذهب إلى رجل يعتقد فيه الصلاح والتقوى والعلم بالكتاب والسنة على منهج سلف الأمة، فيطلبُ منه أن يدعو له ربه ليفرج عنه كربه ويزيل عنه همه، وهذا النوع جائز بشرط أن يكون الداعي حي في هذه الحياة الدنيا لا ميتًا .

والأدلة على هذا النوع كثيرة؛ منها طلب أحد الصحابة من النبي ﷺ أن يدعو لهم أن ينزل الله المطر، وقول عكاشة بن محصن للنبي ﷺ: ادع الله أن يجعلني منهم، أي: السبعين ألف .

أما بعد موته ﷺ فلم يطلب أحد من الصحابة من النبي ﷺ شيئًا؛ لأنهم علموا أن النبي ﷺ انتقل إلى دار الجزاء، لذلك لما أجدب الناس في عهد عمر في عام الرمادة؛ لم يطلبوا من النبي ﷺ طلب الغيث، وإنما طلبوا من عم رسول الله ﷺ

العباس ﷺ، فقال عمر قولته المشهورة: «اللهم إنا كنّا نتوسل إليك بنبيِّنا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا» البخاري، وهذا معناه أننا كنا نقصد نبينا ﷺ ونطلب منه أن يدعو لنا، ونتقرب إلى الله بدعائه، والآن وقد انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى، ولم يعد من الممكن أن يدعوَ لنا، فإننا نتوجه إلى عم نبينا العباس؛ لأنه حيّ، ونطلب منه أن يدعوَ لنا .

وكذلك فعل الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان ﷺ؛ حيث أمر التابعي الجليل يزيد بن الأسود الجرشي أن يصعد المنبر، ويدعو الله أن يغيثهم، فقال معاوية ﷺ: اللهم إنا نستشفع إليك اليوم بيزيد بن الأسود الجُرَشِي؛ يا يزيد ارفع يديك إلى الله، فرفع يديه، ورفع الناس أيديهم، فنزل الغيث، فهؤلاء الصحابة ﷺ لم يتوسلوا بالنبي ﷺ؛ لأنهم علموا أن النبي لا يُتَوَسَّل به وهو ميت، فتوسلوا بالحي الصالح.

فهذه الأنواع الأربعة هي الجائزة، وأما عداها فغير مشروع، وإن كان فيها خلاف كما زعمت «الموسوعة الفقهية الكويتية»، فالخلاف الوارد في هذا الباب، هو خلاف النصوص الصحيحة، وهذا من شر أنواع الخلاف .

والعاقل من المسلمين هو من استبرأ لدينه وعرضه، فلا يحوم حول هذا الخلاف، بل يرده إلى قال الله وقال رسوله وقال الصحابة ومن تبعهم بإحسان.

التوسل بالجاه والحرمة والكرامة :

فإذا نظرنا في القرآن الكريم، وقرأناه من أوله إلى آخره؛ لم نجد فيه شيئًا من التوسل بالجاه أو الحرمة أو الحق أو المكانة لشيء من المخلوقات.

وكذلك السنة الصحيحة، فلا نجد فيها أدعية مبتدعة، بل هي مطابقة لما في القرآن الكريم.

وكذلك الصحابة ﷺ لم يكن منهم أحد، قد ثبت عنه أنه توسل بتوسل مبتدع خالف فيه القرآن والسنة .

نعم! قد وردت أحاديث وآثار ضعيفة وموضوعة، فيها التوسل بأشياء وأشخاص وألفاظ لم يقرها الشرع، بل الصحيح يعارضها مما يزيدها وهنا على وهن، ونحن نجد

المبتدعة كثيرًا ما يستدلون بها في بدعهم ، فيتركون الصحيح الثابت المضمون ، ويأخذون الضعيف الباطل المردود ، منهم الجفري الذي افتتن به كثير من العوام الذين لا يميزون بين الصحيح والضعيف من الأحاديث والآثار ، فيأخذون كلامه وكأنه قرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فهو يخدع العامة ، و الله خادعه وأمثاله .

فالتوسل بالجاه والحرمة والحق والمكانة لا يجوز ، لا في حياة المدعو ولا حتى بعد مماته ، فإذا دعا الإنسان مثلا بجاه النبي وبكرامته ، فيقول : اللهم إني أسألك بجاه نبيك ، أو بكرامته أو بحقه أن تغفر لي أو أن ترزقني ؛ فهذا لا يجوز ، وذلك لأن الجاه والكرامة وغيرهما لا يُنْتَفَعُ بها إلا الرسول ﷺ لا غيره ؛ لأن الوسيلة -كما تقدم - لا بد أن تكون وسيلة موصلة إلى الشيء ، وإذا لم تكن الوسيلة موصلة إلى المقصود ، فإن التوسل بها غير مُجْدٍ ولا نافع ، وهذا النوع يكون من الشرك ؛ لأنه إثبات لسبب لم يعتبره الشرع ، ولأن جاه ذي الجاه ليس له أثر في قبول الدعاء ؛ لأنه لا يتعلّق بالداعي ولا بالمدعو ، وإنما هو من شأن ذي الجاه وحده .

فالتوسل بالشيء إلى ما لا يوصل إليه ؛ نوع من العبث ، فلا يليق أن يُتَّخَذ ما بين الناس وبين الله ، و الله الموفق والهادي إلى سواء السبيل . وهذا الكلام قد جاء عن أبي حنيفة ، رحمه الله[١] .

أبو حنيفة والتوسل:

أما «الموسوعة الفقهية الكويتية» فتحيل إلى المصدر السابق ولم تذكره ، انظر (ص١٥٧) من «الموسوعة» فعجبًا من هذا التصرف الغير لائق ؟!

ولكن نحن في دورنا هنا سوف ننقل كلام أبي حنيفة ؛ ليكون القارئ منتبها دائمًا من تصرف بعض المؤلفين الغالين المبطلين الجاهلين ، المحرفين للنصوص لصالح بدعهم ومناهجهم . . . وليكون أيضًا عبرة لمن يعتبر .

وقال القدوري[٢] في كتابه الكبير في الفقه المسمى «بشرح الكرخي» في باب الكراهة : قال بشر بن الوليد : حدثنا أبو يوسف قال أبو حنيفة : لا ينبغي لأحد أن يدعوَ الله إلا به ،

---

(١) انظر : «الفتاوى الهندية» (٥/ ٢٨٠) .

(٢) المصدر السابق .

وأكره أن يقول: بمقاعد العز من عرشك، أو بحق خلقك، وهو قول أبي يوسف، قال أبو يوسف: مقعد العز من عرشه هو الله، فلا أكره هذا، وأكره أن يقول: بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام، قال القدوري: المسألة بخلقه - أي سؤال الله بخلقه - لا تجوز؛ لأنه لا حق للخلق على الخالق فلا يجوز وفاقًا. انتهى .

قلت - أبو ماجد -: أما تجويز أبي يوسف السؤال بمقاعد العز من عرشه، وأنه هو الله؛ فهذا لا يصح الأثر الوارد فيه، فقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات، وأقره الزيلعي في «نصب الراية».

وعليه فالتوسل بالجاه والكرامة ونحوها، ليس لها أثر في حصول المقصود، وإذا لم يكن لها أثر؛ لم تكن سببًا صحيحًا، والله عز وجل لا يُدْعى إلا بما يكون سببًا صحيحًا له أثر في حصول المقصود والمطلوب، فجاه النبي ﷺ وكرامته هو مما يختص به النبي ﷺ وحده، وهو مما يكون منقبة له وحده، فلسنا ننتفع بذلك، وإنما ننتفع بالإيمان به، ومحبته واتباعه وعدم مخالفته، والله الموفق.

أما الشُّبه التي عُرِضَت على التبليغي - المرسل إليَّ صور من «الموسوعة» - فهي من هذه الموسوعة التي ملأت رأس هذا التبليغي الصوفي، الشُّبه التي ما يستطيع أن يخرج منها إلا بلطف وعناية من الله تعالى وحده .

فعليه وأمثاله أن يطلبوا العلم الشرعي من علماء من أهل السنة الموثوق بعلمهم، لا من علماء الصوفية الذين يملؤون القلوب والعقول بالخرافات والتّرهات، وبالأحاديث الضعيفة والموضوعة، والقصص المصنوعة، كحال الجفري الضال الذي أضل التبليغيين على ضلالهم، وفضحهم على فضائحهم، فيقول لهم: اقرؤوا كتب الغزالي والشعراني والحداد، هكذا وبكل جرأة .

ولكن قد بينت حال هذه الكتب في الرد على الجفري، في بحث نفع الله به إخواني في جهة العمل، فكان الرد - بحمد الله وفضله - نافعًا شافيًا، فسميته «علي الجفري وتلبيساته وملابساته وافتراءاته» والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

أما من ناحية حصول التبليغي على صور من «الموسوعة»، فما أدري من الذي دلّه

عليهـا فخانه في الدين ؟! ولكن علـى كل حال سنورد هذه الشبـه، التي تعلق بشباكـها المسكين وغيره من المـساكين، فأصبحـوا للمبتدعة من المدافـعين، ولأقوالهم من المؤيدين، فسوف يُحشروا معهم إن لم يتداركهم لطف من رب العالمين .

بتر الموسوعة لكلام ابن تيمية ومراده:

ففي «الموسوعة» (٤/ ١٥٠) نُقِلَ كلام لابن تيمية، ولكن بُتِر منه مقصوده، وهذه عادة كل من تزلف بابن تيمـية وتمسح به؛ ليظن الناس أنهم على شيء، ولكن الله فـاضحهم، فنحن هنا ننقل كلام ابن تيـمية[1] في جوابه عن سـؤال سُئل به؛ فسُئِل الشـيخ - رحمه الله- عمن قال: يجوز الاستغاثة بالنبي ﷺ في كل ما يُستغاث الله تعالى فيه، على أنه وسيلة من وسائل الله تعالى في طلب الغوث، وكذلك يُسـتغاث بسائر الأنبياء والصالحين في كل ما يُستغاث الله تعالى فيه.

وأما من توسل إلى الله تعالى بنبيه في تفريج كربـة فقد استغاث به، سواء كان ذلك بلفظ الاستغاثة، أو التوسل، أو غيرهما مما هو في معناهما، وقول القائل: أتوسل إليك يا إلهي برسولك ! أو أستـغيث برسولك عندك، أن تغفر لي، اسـتغاثة بالرسول حقـيقة في لغة العرب وجميع الأمم.

قال: ولم يزل الناس يفـهمون معنى الاستـغاثة بالشخص، قديمًا وحـديثًا وإنه يصح إسنادها للمخلوقين، وأنه يستغاث بهم على سبيل التوسل، وأنها مطلقة على كل من سأل تفريج الكربة بواسطة التوسل به، وأن ذلك صحيح في أمر الأنبياء والصالحين.

قال: وفيما رواه الطبراني: عن النبي ﷺ : أن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال: استغيثوا برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ : «**إنه لا يُستغاث بـي وإنما يُستغاث بالله**».

إن النبي ﷺ لو نفى عن نفسه أنه يُستغاث به، ونحـو ذلك يشير به إلى التوحيد، وإفراد الـباري بالقـدرة، لم يكن لنا نحن أن ننفي ذلك، ونجـوّز أن نطلق أن النبي ﷺ والصالح يُستغاث به، يعني في كل ما يُستـغاث فيه بالله تعالى، ولا يحتاج أن يقول على

---

(١) «الفتاوى» (١/ ١٠١ -١٠٧).

سبيل أنه وسيلة وواسطة، وأن القائل لا يُستغاث به متنقصًا له، وأنه كافر بذلك؛ لكنه يُعذر إذا كان جاهلاً. فإذا عرف معنى الاستغاثة ثم أصر على قوله بعد ذلك؛ صار كافرًا.

والتوسل به استغاثة به كما تقدم، فهل يُعرف أنه قال أحد من علماء المسلمين: إنه يجوز أن يُستغاث بالنبي ﷺ والصالح، في كل ما يُستغاث به الله تعالى؟ وهل يجوز إطلاق ذلك؟ كما قال القائل، وهل التوسل بالنبي ﷺ ؛ أو الصالح أو غيرهما إلى الله تعالى في كل شيء؛ استغاثة بذلك المتوسل به؟ كما نقله هذا القائل عن جميع اللغات وسواء كان التوسل بالنبي ﷺ أو الصالح استغاثة به، أو لم يكن، فهل يُعرف أن أحدا من العلماء قال: إنه يجوز التوسل إلى الله بكل نبي وصالح؟

فقد أفتى الشيخ عز الدين بن عبد السلام في فتاويه المشهورة: إنه لا يجوز التوسل إلى الله تعالى إلا بالنبي ﷺ ، إن صح الحديث فيه، فهل قال أحد خلاف ما أفتى به الشيخ المذكور؟

وبتقدير أن يكون في المسألة خلاف، فمن قال: لا يُتوسل بسائر الأنبياء والصالحين. كما أفتى الشيخ عز الدين، هل يكفر كما كفره هذا القائل؟ ويكون ما أفتى به الشيخ كفرًا، بل نفس التوسل به لو قال قائل: لا يُتوسل به؛ ولا يُستغاث به؛ إلا في حياته وحضوره، لا في موته ومغيبه، هل يكون ذلك كفرًا؟ أو تنقصًا؟

ولو قال: ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى لا يُستغاث فيه إلا بالله، أي: لا يطلب إلا من الله تعالى هل يكون كفرًا. أو يكون حقًّا؟ وإذا نفى الرسول ﷺ عن نفسه أمرًا من الأمور لكونه من خصائص الربوبية، هل يحرم عليه أن ينفيه عنه أم يجب، أم يجوز نفيه؟ أفتونا رحمكم الله - بجواب شافٍ كافٍ، موفقين مثابين - إن شاء الله تعالى.

فقال رحمه الله : الجواب:

الحمد لله رب العالمين، لم يقل أحد من علماء المسلمين: إنه يُستغاث بشيء من المخلوقات؛ في كل ما يُستغاث فيه بالله تعالى، لا بنبيّ، ولا بِمَلَك، ولا بصالح، ولا غير ذلك. بل هذا مما يُعلم بالاضطرار من دين الإسلام؛ أنه لا يجوز إطلاقه.

ولم يقل أحد: إن التوسل بنبي هو استغاثة به، بل العامة الذين يتوسلون في أدعيتهم

بأمور ، كقول أحدهم : أتوسل إليك بحق الشيخ فلان ، أو بحرمته ، أو أتوسل إليك باللوح والقلم ، أو بالكعبة ، أو غير ذلك ، مما يقولونه في أدعيتهم ، يعلمون أنهم لا يستغيثون بهذه الأمور ؛ فإن المستغيث بالنبي ﷺ طالب منه وسائل له ، والمُتَوَسَّل به لا يُدعى ولا يُطلب منه ولا يُسأل ، وإنما يُطْلب به ، وكل أحد يفرق بين المدعو والمدعو به .

والاستغاثة طلب الغوث ، وهو إزالة الشدة ، كالاستنصار طلب النصر ، والاستعانة طلب العون ، والمخلوق يُطلب منه من هذه الأمور ما يقدر عليه منها ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾(الأنفال :٧٢) . وكما قال : ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾(القصص :١٥) . وكما قال تعالى :﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة :٢) .

وأما مالا يقدر عليه إلا الله؛ فلا يُطلب إلا من الله؛ ولهذا كان المسلمون لا يستغيثون بالنبي ﷺ ويستسقون به ، ويتوسلون به ، كما في صحيح البخاري : أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس وقال : «اللهم إنا كنا إذا أجدَبْنا نتوسل إليك بنبينا فتسقنا ، وإنا نتوسل إليك بعمِّ نبينا فاسقنا ؛ فيُسقون » .

وفي سنن أبي داود : أن رجلاً قال للنبي ﷺ : إنا نستشفع بالله عليك ، ونستشفع بك على الله؛ فقال ﷺ : «**شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يُستشفع به على أحد من خلقه**» فأقره على قوله : نستشفع بك على الله، وأنكر عليه قوله : نستشفع بالله عليك .

وقد اتفق المسلمون على أن نبينا شفيع يوم القيامة ، وأن الخلق يطلبون منه الشفاعة ، ولكن عند أهل السنة أنه يشفع في أهل الكبائر ، وأما عند الوعيديّة فإنما يشفع في زيادة الثواب .

وقول القائل : عمن توسل إلى الله بنبي . فقال : أتوسل إليك برسولك فقد استغاث برسوله حقيقة ، في لغة العرب وجميع الأمم قد كذب عليهم ، فما يُعرف هذا في لغة أحد من بني آدم ، بل الجميع يعلمون أن المستغاث مسؤول به مدعو ، ويفرقون بين المسؤول والمسؤول به ، سواء استغاث بالخالق أو بالمخلوق ، فإنه يجوز أن يُستغاث بالمخلوق فيما يقدر على النصر فيه ، والنبي ﷺ أفضل مخلوق يُستغاث به في مثل ذلك .

ولو قال قائل لمن يستغيث به: أسألك بفلان، أو بحق فلان، لم يقل أحد: إنه استغاث بما توسل به، بل إنما استغاث بمن دعاه وسأله، ولهذا قال المصنِّفون في شرح أسماء الله الحسنى: إن المغيث بمعنى المجيب، لكن الإغاثة أخص بالأفعال، والإجابة أخص بالأقوال.

والتوسل إلى الله بغير نبينا محمد ﷺ - سواء سمي استغاثة أو لم يسم - لا نعلم أحدًا من السلف فعله، ولا رُويَ فيه أثر، ولا نعلم فيه إلا ما أفتى به الشيخ من المنع، وأما التوسل بالنبي ﷺ ففيه حديث في السنن، رواه النسائي والترمذي وغيرهما: أن أعرابيًّا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: إني أُصبتُ في بصري فادع الله لي، فقال له النبي ﷺ: «**توضأ وصل ركعتين، ثم قل: اللهم أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد، يا محمد إني أتشفع بك في رد بصري. اللهم شفّع نبيك في**» وقال: «**فإن كانت لك حاجة فمثل ذلك**» فرد الله بصره. فلأجل هذا الحديث استثنى الشيخ التوسل به.

وللناس في معنى هذا قولان:

أحدهما: إن هذا التوسل هو الذي ذكره عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لما قال: كنا إذا أجدبنا نتوسل بنبينا إليك فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا، فقد ذكر عمر رضي الله عنه: أنهم كانوا يتوسلون به في حياته في الاستسقاء، ثم توسلوا بعمه العباس بعد موته، وتوسلهم هو استسقاؤهم به، بحيث يدعو ويدعون معه، فيكون هو وسيلتهم إلى الله، وهذا لم يفعله الصحابة بعد موته ولا في مغيبه، والنبي ﷺ كان في مثل هذا شافعًا لهم، داعيًا لهم؛ ولهذا قال في حديث الأعمى: اللهم فشفعه في. فعُلم أن النبي ﷺ شفع له، فسأل الله أن يشفّعه فيه.

والثاني: أن التوسل يكون في حياته، وبعد موته، وفي مغيبه وحضرته، ولم يقل أحد: إن من قال بالقول الأول فقد كفر، ولا وجه بتكفيره، فإن هذه مسألة خفية، ليست أدلتها جلية ظاهرة، والكفر إنما يكون بإنكار ما عُلم من الدين ضرورة، أو بإنكار الأحكام المتواترة والمُجمع عليها، ونحو ذلك.

واختلاف الناس في ما يَشرع من الدعاء وما لا يُشرع، كاختلافهم في هل تُشرع الصلاة عليه عند الذبح؛ وليس هو من مسائل السب عند أحد من المسلمين.

وأما من قال: إن من نفى التوسل الذي سماه استغاثة بغيره كفر، وتكفير من قال بقول الشيخ عز الدين وأمثاله، فأظهر من أن يحتاج إلى جواب؛ بل المكفر لمثل هذه الأمور، يستحق من غليظ العقوبة والتعزير ما يستحقه أمثاله، من المفترين على الدين، لاسيما مع قول النبي ﷺ: «**من قال لأخيه: كافر فقد باء بها أحدهما**».

وأما من قال: ما لا يقدر عليه إلا الله لا يُستغاث فيه إلا به، فقد قال الحق، بل لو قال كما قال أبو يزيد: استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق، وكما قال الشيخ أبو عبد الله القرشي: استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون لكان قد أحسن. فإن مطلق هذا الكلام يُفهم الاستغاثة المطلقة، كما قال النبي ﷺ لابن عباس: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**».

وإذا نفى الرسول عن نفسه أمرًا كان هو الصادق المصدوق في ذلك، كما هو الصادق المصدوق في كل ما يخبر به من نفي، وإثبات، وعلينا أن نصدقه في كل ما أخبر به، من نفي، وإثبات، ومن رد خبره تعظيمًا له، أشبه النصارى، الذين كذبوا المسيح في إخباره عن نفسه بالعبودية، تعظيمًا له، ويجوز لنا أن ننفي ما نفاه، وليس لأحد أن يقابل نفيه بنقيض ذلك البتة. والله أعلم. انتهى جواب شيخ الإسلام قدّس الله روحه وطيب ثراه.

فانظر رحمك الله إلى ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية، وما قرره واعتقده؛ غير مبتور منه شيء، فيؤخذ كلامه واضحًا صريحًا، وبمعتقد واضح صريح، بدون تغيير المعنى المُراد.

فرحم الله شيخ الإسلام؛ فقد كان كما قيل: إنه لم تلد النساء مثله بعد، فهو إمام لأهل السنة كما كان أحمد بن حنبل إمامًا، فاللهم احشرنا معهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

تنبيه: قلت - أبو ماجد-: اعلم أن في حديث الأعمى الذي استدل به شيخ الإسلام زيادة ضعيفة شاذة؛ وهي: «**فإن كانت لك حاجة فمثل ذلك**» وهذه الزيادة قد أعلها شيخ الإسلام ابن تيمية في «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» انظر: الفقرات من (٥٢٩) إلى (٥٥٧) ففيها إرواءٌ للغليل، وشفاء للعليل، والله الهادي إلى سواء السبيل، ثم لو

صحت؛ لم تكن دليلاً علـى جواز التوسل بذاته ﷺ، لاحتمـال أن يكون معنى قوله: «**فافعل مثل ذلك**» يعني من إتيانه ﷺ في حال حياته، وطلب الدعاء منه والتوسل به، والتوضؤ والصلاة، والدعاء الذي علمه رسول الله ﷺ أن يدعو به[١].

اتهام الموسوعة للأئمة:

قالوا في «الموسوعة» (ص١٥٦):

د - اختلف العلمـاء في مشروعية التـوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته، كـقول القائل: اللهم إني أسألك بنبيك أو بجاه نبيك أو بحق نبيك على أقوال:

القول الأول: ذهب جمهور الفقهاء: المالكية والشـافعية ومتأخرو الحنفية وهو المذهب عند الحنابلة، إلى جواز هذا النوع من التـوسل، سواء في حياة النبـي ﷺ أو بعد وفاته ثم نقلوا قصة عن الإمام مالك... انتهى.

فأقـول والله المستعان: قـال شيخ الإسلام ابن تيـمية في «قـاعـدة جليلة في التوسل والوسيلة» فقـرة (٣٧٥): وكذلك من نقل عن مالك أنه جوز سؤال الرسول أو غـيره بعد موتهم، أو نقل ذلك عن إمام من أئمة المسـلمين غير مالك كالشافعي وأحمـد وغيرهما، فقد كذب عليهم، ولكن بعض الجهال ينقل هذا عن مالك ويستند إلى حكاية مكذوبة عن مالك، ولو كانت صحـيحة لم يكن التوسل الذي فيها هو هذا؛ بل هو التوسـل بشفاعته يوم القيامة، ولكن من الناس من يحرف نقالها، وأصلها ضعيف كما سنبينه إن شاء الله.

ثم ذكـر رحمـه الله فـقرات إلى الفـقـرة (٣٨٤) وذكر القـصـة المكذوبة، والتي في «الموسوعة» مُـسْتَشْهَدٌ بـها، وردها بعدة فقرات، وأطال النفس فـيها، وبين عقـيدة مالك رحمه الله من أقواله، وأقوال أتباعـه، إلى أن قال في فقرة (٤٠٤): فدل ذلك على أن ما في الحكاية المنقطعة من قوله: «اسـتقبله واستشفع به» كذب على مـالك، مخالفٌ لأقواله وأقوال الصحابة والتابعين وأفعالهم التي نقلهـا مالك وأصحابه، ونقلها سائر العلماء، كان أحد منهم لم يستقبل القبر للدعاء لنفسه، فضلاً عن أن يستقبله ويستشفع به، يقول له: يا رسول الله اشفع لي، أو ادع لي، أو يشتكي إليه المصائب في الدين والدنيا، أو يطلب منه

---

(١) انظر: «التوسل» للألباني (ص٩٢).

أو من غيره من الموتى من الأنبياء والصالحين، أو من الملائكة الذين لا يراهم أن يشفعوا له أو يشتكي إليهم المصائب، فإن هذا كله من فعل النصارى وغيرهم من المشركين ومن ضاهاهم من مبتدعة هذه الأمة، ليس هذا من فعل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، ولا مما أمر به أحد من أئمة المسلمين. . . انتهى.

ولكن «الموسوعة الفقهية الكويتية» تثبت هذا الافتراء على الإمام مالك في عقيدته، ولم يكتفوا بذلك؛ بل في الموسوعة افتراءات أخرى، أسأل الله أن يُقيّض من يردها ويُبطلها.

أثر العتبي موضوع:

ذكرت «الموسوعة» أثرًا مكذوبًا لتسويغ باطلهم وأهوائهم، وهو المعروف بأثر العتبي وأنه رأى أعرابيًّا أتى قبر النبيِّ ﷺ فقرأ هذه الآية: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا**﴾ (النساء: ٦٤)، وقد جئتك مستغفرًا من ذنبي مُسْتَشْفِعًا بك إلى ربّي، ثم أنشأ يقول:

يا خَيرَ مَنْ دُفِنَت بالقاعِ أَعْظُمُه
وَطَابَ مِنْ طِيبِهِن القاعُ والأكمُ
نفسي الفداءُ لقبرٍ أَنْتَ ساكِنُه
فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرمُ

ثم استغفر وانصرف، قال: فرقدت فرأيت النبي ﷺ في نومي وهو يقول: الحق بالرجل وبشره بأن الله غفر له بشفاعتي، فاستيقظت فخرجت أطلبه فلم أجده. انتهى.

قلت: هذه القصة الموضوعة قد ردها شيخ الإسلام في «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» فقرة (٤٣٩) وقال: «هذا لم يذكره أحد المجتهدين من أهل المذاهب المتبوعين الذين يفتي الناس بأقوالهم، ومن ذكرها لم يذكر عليها دليلاً شرعيًّا» ثم قال - رحمه الله - في فقرة (٤٤٠): «ومعلوم أنه لو كان طلب دعائه وشفاعته واستغفاره عند قبره مشروعًا، لكان الصحابة والتابعون لهم بإحسان أعلم بذلك وأسبق إليه من غيرهم، ولكان أئمة المسلمين يذكرون ذلك. وما أحسن ما قال مالك: لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح

أولها. قال: ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك. فمثل هذا الإمام كيف يُشرع دينا لم يُنقل عن أحد من السلف، ويأمر الأمة بأن يطلبوا الدعاء والشفاعة والاستغفار بعد موت الأنبياء والصالحين منهم عند قبورهم، وهو أمر لم يفعله أحد من سلف الأمة». انتهى.

فالعجيب من هذه «الموسوعة» كيف يحتجون بالأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة في باب الاعتقاد، ويتعلقون بها لكونها وافقت أهواءهم، فهذه القصة الموضوعة قال ابن عبد الهادي في «الصارم المنكي» (ص٢١٢): «وهذه الحكاية التي ذكرها - يعني السبكي - بعضهم يرويها عن العتبي بلا إسناد، وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب الهلالي، وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب بلا إسناد، عن أبي الحسن الزعفراني عن الأعرابي».. إلخ. انتهى.

انظر رحمني الله وإياك إلى «القاعدة الجليلة» فقرات (٤٤٠) وما بعدها، فإنها مفيدة للغاية.

ثم إن هذه الآية الكريمة التي لُوي عُنُقُها، هي آية محكمة، ليس فيها أي شبهة؛ لأن الله تعالى يقول وقوله الحق: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا﴾ و﴿إِذ﴾ هذه ظرف لما مضى، وليست ظرفًا للمستقبل، فلم يقل الله تعالى: ولو أنهم ﴿إذا﴾ ظلموا أنفسهم، بل قال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ ...﴾ الآية.

فالآية تتحدث عن أمر قد حدث ووقع في حياة النبي ﷺ، واستغفار النبي ﷺ بعد مماته أمر متعذر؛ لأنه إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث.. كما صح في الحديث، فلا يمكن لإنسان أن يستغفر لأحد بعد موته، بل ولا يستغفر لنفسه أيضًا؛ لأن العمل قد انقطع.

حديث الأعمى وفقهه:

ولكن «الموسوعة» أبت إلا أن تتمسك بالقول المخالف لعقيدة أهل السنة والجماعة - عقيدة السلف- فذكرت حديث الأعمى المتقدم ذِكْره؛ وادعت أن الأعمى في دعائه بالنبي ﷺ توجه بذات النبي ﷺ، وقد رد هذه الشبهة شيخ الإسلام ابن تيمية في

«قاعدته الجليلة» فردَّ على من زعم أن حديث الأعمى فيه توجه بذات النبي ﷺ، فانظره في الفقرات (٥٢٩) إلى (٥٨٢) .

ولكن نحن نستفيد من حديث الأعمى، أن الأعمى قد توسل بدعاء النبي ﷺ؛ وهو نوع من أنواع التوسل المشروع، وقد تقدم في النوع الرابع من أنواع التوسل الآنفة الذكر؛ وهو دعاء من تُرجى إجابته، ففي الحديث قال الأعمى لرسول الله ﷺ: «ادع الله أن يعافني» وهذا دليل على أن الأعمى توسل بدعاء النبي ﷺ؛ لأنه يعلم أن دعاء النبي ﷺ أرجى للقبول عند الله، بخلاف دعاء غيره، ولو كان قصد الأعمى التوسل بذات النبي ﷺ أو جاهه أو حقه؛ لما كان ثمة حاجة به إلى أن يأتي النبي ﷺ ويطلب منه الدعاء له، بل كان عليه أن يقعد في بيته ويدعو ربه بأن يقول مثلاً: اللهم إني أسألك بجاه نبيك ومنزلته عندك أن تشفني وتجعلني بصيرًا، ولكنه لم يفعل! لماذا؟ لأنه عربي يفهم معنى التوسل في لغة العرب حق الفهم، ويعرف أنه ليس كلمة يقولها صاحب الحاجة؛ يذكر فيها اسم الموسّل به، بل لابد أن يشمل على المجيء إلى من يُعتقد فيه الصلاح والعلم بالكتاب والسنة وطلب الدعاء منه له .

ثم إن النبي ﷺ وعده بالدعاء مع نصحه له ببيان ما هو الأفضل له، وهو قوله: «**إن شئتَ دعوتُ، وإن شئتَ صبرتَ؛ فهو خير لك**» ولكن الأعمى أصرّ على الدعاء .

وقوله: «فادع» وهذا يقتضي أن الرسول ﷺ دعا له؛ لأنه ﷺ خير من وفى بما وعد، وقد وعده بالدعاء له إن شاء كما سبق، فقد شاء الدعاء وأصر عليه، فإذن لابد أنه ﷺ دعا له فثبت المراد، فقد وجه النبي ﷺ الأعمى بدافع من رحمته، وبحرص منه على أن يستجيب الله تعالى دعاءه؛ فيه وجْهة إلى النوع المشروع الآخر؛ وهو التوسل بالعمل الصالح؛ ليجمع له الخير من أطرافه؛ فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين، ثم يدعو لنفسه، وهذه الأعمال طاعة لله سبحانه وتعالى يقدمها بين يدي دعاء النبي ﷺ له، وهي تدخل في قوله تعالى: ﴿**وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ**﴾(المائدة: ٣٥) .

وهكذا فلم يكتف الرسول ﷺ بدعائه للأعمى الذي وعده به، بل شغله بأعمال فيها طاعة لله سبحانه وتعالى وقربه إليه؛ ليكون الأمر مستكملاً من جميع نواحيه، وأقرب إلى القبول والرضى من الله سبحانه وتعالى، وعلى هذا؛ فالحادثة تدور حول الدعاء كما

هو ظاهر، وليس فيها ذكر شيء مما يزعمون[١].

حديث فاطمة بنت أسد:

أما استدلال «الموسوعة» بالتوسل بحق الأنبياء، بحديث دعاء النبي ﷺ لفاطمة بنت أسد؛ فهذا لا يصح سندًا ولا متنًا، فالحديث رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» عن أنس رضي الله عنه قال: «لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي بن أبي طالب رضي الله عنهما؛ دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها فقال: « **رحمك الله يا أمي كنت أمي بعد أمي، وتشبعيني وتعرين وتكسيني وتمنعين نفسك طيبا وتطعميني، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة**».

ثم أمر أن تُغسل ثلاثًا، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور؛ سكبه رسول الله ﷺ بيده، ثم خلع رسول الله ﷺ قميصه فألبسها إياه، وكفنها ببرد فوقها، ثم دعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلامًا أسود يحفرون، فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه ثم قال: «**الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ولقنها حجتها، ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي، فإنك أرحم الراحمين**» .

وكبر عليها أربعًا وأدخلوها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق رضي الله عنهم[٢]. انتهى.
فإذا كان هذا حاله! فكيف إذا تفرد، ثم إن في هذا الحديث مناكير عدة، منها: دخول النبي ﷺ على فاطمة بنت أسد وهم يغسلونها، فهذا لا يفعله ﷺ ولا مع بناته فكيف بزوجة عمه ؟!

ثم الكلام مع الميت ومخاطبته لا يصح فعله، فالموتى لا يَسْمَعون ولا يُسْمِعون، وهذا

---

(١) انظر: «التوسل» للألباني (ص٧٥ -٧٨)، وانظر في نفس الكتاب الرد على الشبه التي اشتبهت على الناس في حديث الأعمى من (ص٨٧-١٠١).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (٨/ ١٢٤)، وفي «الأوسط» (٣٥٧،٣٥٦) مجمع البحرين، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٩٢) وضعفه؛ لأنه من طريق روح بن صلاح، وقد تفرد به وهو ضعيف في الحديث كما قال الدار قطني، وقال ابن عدي: «له أحاديث كثيرة في بعضها نكرة» .

معلوم من القرآن والسنة الصحيحة، ثم تتكرر النّكارة بأن النبي ﷺ غسلها في الغسْلة التي فيها الكافور، فحاشاه أن يفعل هذا في مباشرة غسل امرأة، ثم النّكارة الأخرى هي اضطجاع النبي ﷺ في القبر والدعاء فيه، فهذا منكر على منكر لا يفعله مسلم عاقل، فضلاً بأن يُنسب هذا الفعل إلى نبي الله محمد ﷺ ، فهذا افتراء على خير الخلق عليه الصلاة والسلام، فيُنسب للنبي ﷺ هذا الفعل الأعوج الأهوج : اضطجاع ودعاء داخل قبر، وبماذا ؟؟! بحقه وحق الأنبياء، بتوسل لا معنى له، بتوسلٍ عبث غير موصل إلى المقصود فجاه النبي والأنبياء عليهم الصلاة السلام، هو مما يختص بهم وحدهم، وهو مما يكون منقبة لهم، فحاشاه ﷺ أن يكون فيه مثل هذه العُجْمَة، وهو خير من تكلم ونطق بالضاد.

ثم ولو قلنا: إن التوسل بالجاه فيه اختلاف بين أهل العلم؛ فكيف يسوغ لنا أن نتوسل إلى الله بشيء مختلف فيه؛ حيث إن بعضهم عد هذا النوع من التوسل من الشرك، والبعض الآخر عده من البدع، فهل يسوغ لنا ذلك مع وجود التوسل الصحيح الثابت الغير مختلف فيه؟

فليستبرئ المسلمون لدينهم وعِرضهم بطرد الشبهات وعدم العمل بها؛ لئلا يقعوا في الحرام - وأشده الشرك والبدع - وهذا هو طريق النجاة والعصمة من النار قال ﷺ : «**ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام**» متفق عليه. وقال ﷺ : «**الحلال بيِّن، والحرام بيِّن، فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك**»[1].

فخذ يا عبد الله بنصيحة رسول الله ﷺ ودع عنك كلام العامة، فإنهم لا يُنقذونك، بل هم يشككونك، ويُرْدُونَك، و... أما ما احتجت به «الموسوعة الفقهية الكويتية» - في طرحهم لشبههم في التوسل - بحديث: «**من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وأسألك بحق ممشاي هذا؛ فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً**... إلخ»[2].

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» بسند جيد.

(٢) رواه الإمام أحمد (٣/ ٢١)، وابن ماجه (٣/ ٢٦١). وغيرهما، بإسناد ضعيف، فقد ضعفه مجموعة من العلماء والحفّاظ [illegible] نذري في «الترغيب»، والنووي في «الأذكار»، وابن تيمية في «قاعدة جليلة»، والبوصيري في «مصباح [illegible]»، [illegible] ٥٢) وقال: هذا إسناد مسلسل بالضعفاء: عطية العوفي، وفضيل بن مرزوق، والفضل ابن الموفق.

فهذا الحديث وإن كان ضعيفًا؛ فإنه لا يدل على التوسل بالمخلوقين أبدًا، وإنما يعود إلى أحد أنواع التوسل، وهو التوسل بصفة من صفات الله تعالى؛ فالتوسل بحق السائلين هو إجابة دعائهم، والإجابة صفة من صفات الله عز وجل، وكذلك التوسل بحق الممشى؛ فهو أن يغفر لهم ويدخلهم الجنة برحمته، وكل ذلك من صفات الله تبارك وتعالى، وليس فيه التوسل المبتدع أي التوسل بالذات، ومهما يكن فالحديث ضعيف، وحكمه العدم.

توسل آدم بالرَّسول:

أما ما احتجت به «الموسوعة» بحديث توسل آدم بالرسول ﷺ ؛ فهذا أيضًا لا يصح عن المعصوم عليه الصلاة والسلام، فهو حديث ضعيف موضوع مكذوب على رسول الله ﷺ ، فالموسوعة تحتج به، مع أنها ضعفته في الحاشية السفلية، ونص الحديث: « **لما اقترف آدم الخطيئة ، قال: يا ربي أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم وكيف عرفت محمدًا ولم أخلقه ؟ قال: يا رب لمّا خلقتني بيدك، ونفخت فيّ من روحك، رفعت رأسي، فرأيت على قوائم العرش مكتوبًا لا إله إلا الله محمدًا رسول الله، فعلمت أنك لم تُضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك؛ فقال الله: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إليّ، أدعني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك**»[1] ومع أن هذا الحديث موضوع فهو مخالف للقرآن، فأخرج الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٥٤٥)، أثرًا عن ابن عباس رضي الله عنهما صحيح الإسناد في قوله تعالى: ﴿**فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ**﴾ (البقرة: ٣٧). قال: أي رب ألم تخلقني بيدك ؟ قال: بلى، قال: ألم تنفخ فيّ من روحك ؟ قال: بلى، قال: أي ربّ ألم تسكني جنتك ؟ قال: بلى، قال: ألم تسبق رحمتك غضبك؟ قال: بلى، قال: أرأيتَ إن تُبْتُ وأصلحتُ أراجعني أنت إلى الجنة؟ قال: بلى، قال ابن عباس: فهو قوله: ﴿**فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ**﴾.

وهذا الإخبار لا شك أنه في حكم المرفوع إلى النبي ﷺ ، والله ولي التوفيق.

ثم إن في الحديث الموضوع الآنف الذكر مخالفة عقيدية؛ وهي ادعاء أن الله لم يخلق

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» وعنه البيهقي وابن عساكر وضعفه الألباني في السلسلة (٢٥)، وقال: موضوع.

آدم إلا من أجل محمد ﷺ ، وهذا مخالف للقرآن أيضًا، فالله تعالى - كما هو معلوم من الدين بالضرورة - ما خلق آدم وذريته - بل والجن أيضًا - إلا لعبادته، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾(الذاريات: ٥٦). أي: ليوحدوا الله تعالى، لا ليعبدوا الأنبياء أو غيرهم، فيصرفوا لهم الأدعية والتوسلات الشركيّة والبدعيّة، بحجة أن الله خلق الخلق من أجلهم، كما هو في حديث آخر موضوع: «لولاك لما خلقت الأفلاك»[(١)].

أما استدلال «الموسوعة» (ص١٥٩) بالرجل الذي كانت له حاجة عند عثمان، فهذه الرواية أيضًا ضعيفة لا تثبت، وقد تقدم الرد على هذه الشبهة في أعلاه، والله المستعان.

ولكن توهم من أعماه الحقد علينا، أننا حينما ننفي التوسل بجاه النبي ﷺ وجاه غيره؛ أننا ننفي أن يكون لهم جاه أو قدر أو مكانة عند الله، أو أننا نبغضهم، أو أننا ننقص من قدرهم ومنزلتهم عند الله، أو أننا. . أو أننا. . من التهم التي سوف يُسألون عنها في يوم لا ينفع فيه الندم .

فهذا الحقد الذي اتهمونا به هو في الحقيقة تكفير لنا، بل وتكفيرٌ لسلف الأمة من الذين لا يجيزون التوسل بالنبي ﷺ وغيره بعد وفاتهم، ولكننا - ولله الحمد- أشد الناس حبًّا للنبي ﷺ ، ومَن أعرفهم بقدره وحقه وفضله، فهو ﷺ أفضل الخلق على الإطلاق في الدنيا وفي الآخرة؛ فهو صاحب اللواء المحمود والحوض المورود والشفاعة العظمى والوسيلة والفضيلة؛ كل ذلك يوم القيامة ولا فخر، وهو صاحب المعجزات الباهرات التي لا ينكرها إلا من أنكر الدين، فهو ﷺ صاحب المناقب والفضائل، والجاه المنيف، فنحن ولله الحمد أكثر الناس حبًّا له، واعترافًا بفضله، بل نحن ولله الحمد نقول: إن منزلته عندنا محفوظة أكثر بكثير من الآخرين الذين يدّعون محبته، فنحن أتباعه؛ بامتثال أمره واجتناب نهيه، وندافع عن سنته وهديه وإن رفضنا الناس، فنحارب البدع لمحاربته ﷺ إياها، فنكون في صفِّه الذي هو عليه ﷺ ، وكذلك نحارب الغلو الذي كان يحاربه ﷺ ؛ حمايةً لجناب التوحيد الذي أُرسل ﷺ من أجل تقريره في النفوس، فالغلو هو دين النصارى واليهود، الذي أرداهم في نار الخلود، قال تعالى :

(١) ذكره الشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» (١٠١٣/١٨) قال: قال الصغاني: موضوع.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾ (النساء: ١٧١). فالغلو هو المبالغة في المدح الذي يوصف به الشخص بأكثر مما يستحقه، وهو صَبْغُه بخصائص الله تبارك وتعالى، والله الهادي وحده.

المباركفوري والتوسل:

أما اتهام «الموسوعة» للمباركفوري بالتوسل البدعي الشركي، فهو اتهام باطل، وخيانة في حق هذا العالم الجليل صاحب العقيدة السلفية المنجية من عذاب الله، فالمباركفوري -رحمه الله- في كتابه المبارك «تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي» إنما نقل كلام من يقول: بجواز الاستشفاع بذات النبي ﷺ، فلم يكن كلامه الذي نقلته «الموسوعة» زاعمة أنه كلامه، بل كان كلام غيره الذي نقضه رحمه بإيراد عقيدته السلفية في هذا الباب العظيم الذي زلّت فيه الأقدام، بتوسلاتهم بالحرام، فقال -رحمه الله- (١٠/ ٣٧): «قلت: الحق عندي أن التوسل بالنبي ﷺ في حياته، بمعنى التوسل بدعائه وشفاعته جائز، وكذا التوسل بغيره من أهل الخير والصلاح في حياتهم بمعنى التوسل بدعائهم وشفاعتهم أيضًا جائز، وأما التوسل به ﷺ بعد مماته، وكذا التوسل بغيره من أهل الخير والصلاح بعد مماتهم فلا يجوز، واختاره الإمام ابن تيمية في رسالته «التوسل والوسيلة» وقد أشبع الكلام في تحقيقه وأجاد فيه فعليك أن تراجعها، ومن جملة كلامه فيها: وإذا كان كذلك فمعلوم أنه إذا ثبت عن عثمان بن حنيف أو غيره، أنه جعل من المشروع المستحب أن يتوسل بالنبي ﷺ بعد موته، من غير أن يكون النبي ﷺ داعيًا له ولا شافعًا فيه، فقد علمنا أن عمر وأكابر الصحابة لم يروا هذا مشروعًا بعد مماته، كما كان يُشرع في حياته، بل كانوا في الاستسقاء في حياته يتوسلون به، فلما مات لم يتوسلوا به، بل قال عمر في دعائه الصحيح المشهور الثابت باتفاق أهل العلم، بمحضر من المهاجرين والأنصار في عام الرَّمادة المشهور، لما اشتد بهم الجدب حتى حلف عمر لا يأكل سمنا حتى يخصب الناس، ثم لما استسقى بالناس قال: «اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقنا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا» فيُسقَوْن، وهذا دعاء أقره عليه جميع الصحابة، لم ينكره أحد مع شهرته، وهو من أظهر الإجماعات الإقرارية، ودعا بمثله معاوية بن أبي سفيان في خلافته لما استسقى بالناس، فلو كان توسلهم بالنبي

ﷺ بعد مماته كتوسلهم في حياته لقالوا: كيف نتوسل بمثل العباس ويزيد بن الأسود ونحوهما؟! ونعدل عن التوسل بالنبي ﷺ الذي هو أفضل الخلائق وهو أفضل الوسائل وأعظمها عند الله؟

فلماّ لم يقل ذلك أحد منهم، وقد علم أنهم في حياته إنما توسلوا بدعائه وشفاعته، وبعد مماته توسلوا بدعاء غيره وشفاعة غيره؛ عُلم أن المشروع عندهم التوسل بدعاء المُتَوَسّل به لا بذاته، وحديث الأعمى حجة لعمر وعامة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فإنه إنما أمر الأعمى أن يتوسل إلى الله بشفاعة النبي ﷺ ودعائه لا بذاته، وقال له في الدعاء: «**قل: اللهم فشفعه فيّ**» .

وإذا قُدِّر أن بعض الصحابة أمر غيره أن يتوسل بذاته لا بشفاعته، ولم يأمر بالدعاء المشروع بل ببعضه وترك سائره المتضمِّن للتوسل بشفاعته، كان ما فعله عمر بن الخطاب هو الموافق لسنة رسول الله ﷺ ، وكان المخالف لعمر محجوجًا بسنة رسول الله ﷺ وكان الحديث الذي رواه عن النبي ﷺ حجة عليه لا له.

وقال فيها: فأما التوسل بذاته في حضوره أو مغيبه أو بعد موته، مثل الإقسام بذاته أو بغيره من الأنبياء أو السؤال بنفس ذواتهم لا بدعائهم، فليس هذا مشروعًا عند الصحابة والتابعين، بل عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان ومن بحضرتهما من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان، لما أجدبوا استسقوا وتوسلوا أو استشفعوا بمن كان حيًّا كالعباس ويزيد بن الأسود، ولم يتوسلوا ولم يستشفعوا ولم يستسقوا في هذه الحال بالنبي ﷺ لا عند قبره ولا غير قبره، بل عدلوا إلى البدل كالعباس وكيزيد، بل كانوا يصلون عليه في دعائهم، وقد قال عمر: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، فجعلوا هذا بدلاً عن ذاك؛ لما تعذر أن يتوسلوا به على الوجه المشروع الذي كانوا يفعلونه، وقد كان من الممكن أن يأتوا إلى قبره ويتوسلوا هناك، ويقولوا في دعائهم بالجاه ونحو ذلك من الألفاظ، التي تتضمن القسم بمخلوق على الله عز وجل أو السؤال به، فيقولون: نسألك أو نقسم عليك بنبيك أو بجاه نبيك ونحو ذلك مما يفعله بعض الناس». انتهى كلام المباركفوري رحمه الله .

فانظر يا هداك الله إلى الحق وأهله؛ كيف بهتت «الموسوعة الكويتية الفقهية»

المباركفوري، وزعمت أنه أجاز التوسل بذات النبي ﷺ، فهم مسؤولون أمام الله على هذا الضلال والتضليل.

أما قول «الموسوعة» (ص١٦٣): «.. ثم يقرر ابن تيمية أن هذه المسألة خلافية، وأن التكفير فيها حرام وإثم..» ثم تنقل كلامه من «مجموع الفتاوى» (١/١٠٦).

فأقول: كلام «الموسوعة» فيه بتر فاحش، وقد نقلنا كلام شيخ الإسلام في أعلاه فراجعه تزدد علمًا.

أخي المسلم الموحِّد! انتهى تعليقنا على «الموسوعة الفقهية الكويتية» باختصارٍ غير مخل، فيه جهد المقل وإن قل، ولكن الذي أريده من المسلمين، أن يحذروا من المقلدين المتهورين المفترين على الدين وأهله، ثم هم أنفسهم أحذرهم ألا يقلدوا دينهم أحدًا من الناس، ولكن عليهم أن يبحثوا عن الحق بدليله، فالحق مُلبّس على الناس فيه، فكثير من الناس لا يدري عن الحق هو مع من، وكثير منهم لا يدري أنه على الباطل بسبب غفلته وتقليده، وأخذه الدين من كل من هب ودب، فيميل معهم حيث مالوا، وما ذلك إلا لقلة علمه أو لتعالمه، أو غروره مع ضموره، فالشر يجر إلى شر أكبر منه، أما إن سألت عن سبب الغفلة ؟! فما أشك أنها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، التي أضلت كثيرًا من الأمة، فصرفتها عن دينها إلى دين البدع، وما أكثرها من أحاديث؛ فهي تتعدى الألوف، وأضف إليها الآثار الضعيفة والموضوعة، فالكم هائل، فقد وضع وكذب على رسول الله ناس كثير، حتى إن أحد الزنادقة وضع نحو أربعة آلاف حديث، وهو رجل واحد، وآخرون وضعوا مثله وأكثر وأقل، وهكذا، كلهم عندهم غايات وأهداف مختلفة؛ إما سياسية أو عقدية أو عصبية أو مذهبية أو اجتماعية أو حتى تجارية، وبعضهم يضع الأحاديث؛ بزعم التقرب إلى الله تعالى وإلى النبي ﷺ، فيقول: أنا أكذب لهم لا عليهم، وهذه الغفلة بالذات هي عند كثير من المتصوفة الخرافيين، والقُصّاص الذين ينبغي التحذير منهم، فهم من الذين اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا، وهو يظنون أنهم يحسنون صنعًا، فهذه الأحاديث منتشرة في كل مجالات العلم؛ في التفسير وفي الفقه وفي الوعظ والترغيب والترهيب والتأريخ والمغازي والسِّيَر وفي الطِّب و... إلخ، ولكن كل ذلك من حكمة الله البالغة؛ ليسخر لهذا العلم من كل خلف عدوله؛ ينفون عنه تحريف الغالين

وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، فالله هو المتكفل بحفظ دينه، فحفظه الله برجال جهابذة بينوا صحيح المنقول وضعيفه، وكشفوا عوار الضعيف، وفضحوا القبيح، حتى قيل لابن المبارك: «هذه الأحاديث المصنوعة ؟ قال: يعيش لها الجهابذة ».

بعض الكتب المصنَّفة في الضعيف والموضوعات:

فمن العلماء الذين صنفوا في هذا الباب خاصةً : ابن الجوزي -رحمه الله- ت - ٥٩٧ في كتاب سماه «**الموضوعات**» في ثلاثة مجلدات، وكذا الجوزقاني ت - ٥٤٣ في كتاب «**الأباطيل**»، والصّغاني أو الصّاغاني ت - ٦٥٠ ألّف «**الدر الملتقط في تبيين الغلط ونفي اللغط**» ، وجدُّ شيخ الإسلام ابن تيمية أبو البركات الحراني ت - ٦٥٥ له رسالة في الموضوعات عن القصاص، ولمحمد بن طاهر المقدسي ت- ٥٠٧ كتاب «**الذَّخيرة في الأحاديث الموضوعة**»، ولشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ت - ٧٣٨ «**أحاديث القصاص**»، ولتلميذه البار ابن القيم ت - ٧٥١ كتاب «**المنار المنيف في الصحيح والضعيف**»، ولابن حجر «**اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة ما ألِفَه الطّبْع وليس له أصل في الشرع**»، وللسخاوي ت - ٩٠٢ «**المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المنتشرة على الألسنة**»، والفيروز آبادي ت - ٨١٧ صاحب «**القاموس المحيط**» ألف كتاب «**خاتمة سفْر السعادة**»، والسيوطي ت - ٩١١ ألف «**اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**»، وكتاب «**النكت البديعات في الأحاديث الموضوعات**» وكتاب «**الذيل على الموضوعات**»، ويسمى «**الزيادات على الموضوعات**» وكتاب «**الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة**»، أما ابن عرّاق الكناني ت - ٩٦٣ فقد ألّف كتابه «**تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة**» وهذا الكتاب من أحسن هذه الكتب المؤلفة في هذا الباب، وللسمهودي كتاب «**الغمّاز على اللمّاز**»، وللعلامة علي بن سلطان القاري ت - ١٠١٤ كتاب «**الأسرار المرفوعة في الأحاديث الموضوعة**» المعروف بـ «**الموضوعات الكبرى**» وله أيضًا «**الصغرى**» ، وللخليلي المدني ت - ١٠٥٧ كتاب «**كشف الالتباس فيما خفي على كثير من الناس**» وهذا كتاب جَمُّ الفائدة، وللعجلوني ت - ١١٦٢ «**كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**» وللشوكاني ت - ١٢٥٠ كتاب «**الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة**»، وللحافظ العراقي «**المغني عن حمل الأسفار

في تخريج ما في الإحياء من الأخبار»، وللفتني ت - ٩٨٦ كتاب «**تذكرة الموضوعات للأحاديث المرفوعات»**، ولمجدد العصر الألباني ت - ١٤٢٠ عدة كتب في هذا الباب، حيث أرسى فيها المنهج الحق والسليم في التمييز بين الصحيح والضعيف، وغيرها الكثير والكثير من الكتب التي أُلفت في هذا الباب .

الريبة في العمل بالمختلف فيه:

أخي المسلم ! اعْلَمْ أن الأحاديث الموضوعة هي الأحاديث المصنوعة المُخْتَلَقَة، أما الأحاديث الصحيحة ففيها نور وضوء كضوء النهار تعرفه، على العكس من الضعيف والموضوع؛ فتجد له ظلمة كظلمة الليل الدامس تنكره، فلا يحل روايتها وعزوها إلى النبي ﷺ؛ وإلا يقع في الوعيد الشديد، فالأحاديث الضعيفة التي لا تنجبر؛ لا يجوز العمل بها؛ لأنه يوجد في السنة الصحيحة ما يغني عنها، فما بقي شيء في الدين إلا وقد بُيِّن، فضلا أن كثيراً من الأحاديث الضعيفة، تحمل معها وفي طواياها تشريعًا مُحْدَثًا لا أصل له في الشريعة، وتحمل معها مخالفات يحسبها الجاهل أو الغافل أنها صحيحة، أما ما يعتقده بعض الناس في أن الحديث الضعيف يتقوى بتعدد طرقه؛ فهذا الكلام ليس على إطلاقه، بل لا يمكن معرفة هذا الحكم إلا من جهة أهل الاختصاص بعلم الحديث، ليس لكل من هب ودب، أو لمن تعالم وتكلّم، فالسكوت لمثل هؤلاء لهم أسلم، والله الهادي وحده.

ونحن ما نتكلم في هذا الموضوع؛ إلا لحماية جناب الإسلام كله، وحتى نرجع إلى صحيح الكتاب والسنة، ونترك ما هو غير صحيح، فنلزم الصحيح وندعو إليه، ونعرف الضعيف ونحذر منه، على حد قول الشاعر:

عرفت الشرَّ لا للشرِّ ولكن لتوقّيه

من لا يعرف الشرَّ من الخيرِ يقع فيه

وبهذا نحمي الإسلام من البدع والمنكرات، التي هي في الحقيقة سببها هذه الأحاديث الضعيفة والموضوعة، منها أحاديث في التوسل الذي هو صلب موضوع هذا البحث الذي ناقشنا فيه «الموسوعة» فمن آثار هذه الأحاديث الغير صحيحة في التوسل؛ صُرِفَ المسلمون عن التوسل المشروع إلى التوسل المبتدع، الذي أردى كثيراً من المسلمين في البدع

والشِّرْكيَّات التي تقود بهم إلى ما لا يُحمد عُقْباه، ولا يُعْرَف مُنْتَهاه، فنحن نعلم أو علمنا في بحثنا هذا، أن العلماء متفقون على استحباب التوسل إلى الله تعالى بالأنواع الأربعة المذكورة في أول البحث، وأن المُبْتَدَع منه فالعلماء مختلفون فيه، وإن كان الظاهر للمنصف والمريد للحق أنه مُبْتَدَع، وفيه شُبَه كثيرة - وهذا بالحجة والبرهان - فلو أنصف الناس؛ لانصرفوا عنه احتياطًا؛ عملاً بقوله ﷺ: **«دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»** وقوله ﷺ: **«ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه»**.

فأقل ما يكون هذا التوسل من المشتبهات، التي فيها ريبة حقيقية ظاهرة لكل من تأمل فيها، وخاصة أن أغلب الناس في هذا الزمان يجهل السنة الصحيحة؛ فتجده يحاربها دون علم ولا هدى ولا كتاب منير، فيقع في فعله هذا في أكبر محذور؛ وهو القول على الله بغير علم، ومحاربة الله ورسوله، فيا لها من مصيبة عظيمة.

وأما التحذير الآخر -الذي أريد أن أنبه عليه- هو التحذير من اتهام علماء الأمة والأئمة بهذه الأنواع من التوسلات البدعية أو الشركية، فكل ما جاء عنهم في أنهم فعلوه فكذبٌ عليهم، كما بينه العلماء الذابون عن أعراض المسلمين، فقد اتُّهِم إمام أهل السنة أحمد بن حنبل بالتوسل بالنبي ﷺ، وهذا لم يصح عنه، بل رده شيخ الإسلام ابن تيمية كما تقدم في «قاعدته الجليلة» وكذلك رده ابن الجوزي في كتاب «دفع شبه التشبيه»، وكذلك اتُّهِم الإمام مالك إمام دار الهجرة بالتوسل المبتدع، بل الشِّركي المخترع، وقد رده ابن تيمية في نفس كتابه «قاعدة جليلة»، وكذلك اتُّهِم الإمام الشافعي بتوسل مبتدع وشركي؛ وهو التوسل بالإمام أبي حنيفة رحمه الله، وقد رده شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم» وغيرها من التهم التي تطعن بالأئمة، بل وبالصحابة ﷺ، بل وبالرسول ﷺ، صاحب الرسالة التي جاء بها من عند ربه؛ ليهدم مثل هذه الأنواع من التوسلات الشركية والبدعية.

وقد رددنا على علي الجفري، عندما ادعى أن النبي ﷺ توسل بالأموات - ومع هذا الادعاء يسمونه بالحبيب العلامة الجفري، فبادعائه هذا؛ قد ضل وأضل، ونشر البدع والشرك في كثير من العامة، فبدلاً من أن يخرج الناس من المعاصي إلى نور الاستقامة؛ فأخرجهم من المعاصي إلى ظلام الشبهات والبدع والشركيات؛ فعليه من الله ما يستحق.

فانظر الرد عليه في كشف شبهاته وافتراءاته وتلبيساته؛ لينقشع عنك الغبار، حتى تعرف ما تحتك، أَفَرَسٌ هو أم حمار ؟!

الخاتمة :

أسأل الله حسن الخاتمة قال الله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾(الإسراء: ١٠٥)، فهذا دليل على أن للحق مكانة رفيعة، ومنزلة كبيرة، ومرتبة عالية، كما صح عن النبي ﷺ: «**إن لصاحب الحق مقالاً**» متفق عليه، وقال معاذ بن جبل: «تلقّ الحق إذا سمعته؛ فإن على الحق نورًا» رواه أبو داود، قال الأصبهاني: «لا ترى أحدًا مال إلى هوى أو بدعة؛ إلا وجدته متحيرًا ميت القلب، ممنوعًا من النطق بالحق»[1]. ا هـ.

قلت: نعم! الحق نور وهدى وصواب، وسهل لمن طلبه، ولمن كان غايته؛ لأنه توفيق من الله البارئ، لا عاطفة غلاّبة غارقة متحمسة، تُفرِّق فتُحَرِّق، فلا كبير إلا الحق، ولا تقديم إلا للحق، ولا تعظيم إلا لداعي الحق...

فالحق لا يتجزأ، ولا يُجْمع مع الباطل؛ ليُقال: هذا وسط، فإن هذا الكلام والله لشطط، ما له من سبط، ورحم الله الأوزاعي عندما قيل له: إن رجلاً يقول: أنا أجالس أهل السنة، وأجالس أهل البدع، فقال: «هذا رجل يريد أن يساوي بين الحق والباطل»، فقال ابن بطة معلقًا كما في «الإبانة» (٢/ ٤٥٦): «صدق الأوزاعي، هذا رجل لا يعرف الحق» انتهى.

نعم والله صدق سلفنا الصالح؛ فالضِّدان لا يجتمعان ولا يلتقيان ولا يستويان ولا يتعانقان، بل يتفرقان ويختلفان ويتنافران ويتخاصمان، فهما نقيضان متصارعان، فالحق أبلج والباطل لجلج، وكما قيل:

إثبات ضدَّين معا في حال
أقبح ما يأتي من المحال

فالذي ينبغي علينا أن نسير مع سلفنا الصالح، في التحذير من البدع وأهلها، فنكشفها للناس؛ لنزيل لبسها ونرد متعلقاتها؛ حراسة للملة وحماية لأهل السنة.

---

(١) انظر: «الحجة في بيان المحجة» (١/ ٤٣١).

قال الإمام قتادة السدوسي: «إن الرجل إذا ابتدع بدعة، ينبغي لها أن تُذكر حتى تُحذر» [(١)].

وقال ابن القيم: «واشتد نكير السلف والأئمة للبدعة، وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض، وحذروا وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا في إنكار الفواحش والظلم والعدوان؛ إذ مضرة البدعة وهدمها للدين ومنافاتها له أشد»[(٢)]. انتهى، وإنه مما يعجبني قول الإمام أبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري؛ حيث قال: «عُرضتُ على السيف خمس مرات، لا يقال لي: ارجع عن مذهبك ! لكن يُقال لي: اسكت عمن خالفك، فأقول: لا أسكت» ذكره ابن مفلح في «الآداب الشرعية» عن الحافظ محمد بن طاهر المقدسي، ومنه كلمة عبيد الله بن الحسن العنبري حيث قال: لأن أكون ذَنَبًا في الحق أحب إليَّ من أن أكون رأسًا في الباطل «الإبانة».

قال ابن مسعود : «يجيء قوم يتركون من السنة مثل هذا ـ يعني مفصل الإصبع ـ فإن تركتموهم جاؤوا بالطامة الكبرى» ذكره اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١٢٢) ، وقال ﷺ: «إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتّبع ولا نبتدع؛ ولن نضل ما تمسكنا بالأثر» [(٣)].

وأختم ما قلته بقوله تعالى لرسوله ﷺ : ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيراً**﴾ فأخبر الله تعالى أنه أرسل نبيه ﷺ شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا إليه؛ كل ذلك بإذنه، لا بإذن غيره، ولن يكون جائزا لأي أحد من الخلق أن يدعو إلى الله بغير إذنٍ من الله كائنا من كان، حتى النبي ﷺ لم يكن شيء من هذه الأمور بإذنه، بل بإذن ربه الذي بعثه وأمره أن يبلغ ما أنزله إليه، فقام النبي ﷺ بهذه الأمور كما أمره الله، ولم يحيد عن وحي ربه طرفة عين، فمن دعا إلى غير الله؛ فقد أشرك، ومن دعا إليه بغير إذنه فقد ابتدع، وهذا هو الميزان الذي يوزن به كل الأعمال، ويوزن به كل الدعاة، فالدعوة إلى الله ما تكون إلا ببصيرة، والبصيرة هي الكتاب والسنة

---

(١) انظر: «الاعتقاد» للالكائي (٢٥٦).

(٢) انظر: «المدارج» (١/ ٣٢٧).

(٣) «حلية الأولياء» (١/ ٨٠).

وعلى فهم سلفها الصالح، وهذه هي الدعوة التي يقوم بها دعاة السلفية أهل الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، التي هي منصورة بنجاتها، وناجية بنصرة الله لها، وهم الذين دائمًا ندعو الله أن نكون منهم، فنقول في كل ركعة من صلواتنا: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ**﴾(الفاتحة: ٦-٧). فالصراط المستقيم هو القرآن والسنة، والذين أنعم الله عليهم هم سلفنا الصالح على رأسهم الأنبياء، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾(النساء: ٦٩). فالمُنْعَم عليهم هم أولئك السلف الذين هم خير لمن خلف، وهم الذين وصّانا الله أن نتبع سبيلهم؛ وإلا الوعيد الشديد لمن خالفهم، فقال الله تعالى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾(النساء: ١١٥). فلابد من اتباع سبيل أولئك السلف الذين كانوا على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، فباتباعهم النجاة والنصر والتمكين والسيادة في الأرض، والنجاة من النار في يوم: ﴿**لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ (الشعراء: ٨٨، ٨٩)، فالدعوة السلفية هي دعوة الإسلام الحق، الذي أنزله الله على قلب نبيه ﷺ، فالله وحده هو المؤسس لها والمشرع لها، فليس لأحد من الخلق أن يدعي تأسيسها وتشريعها، حتى النبي ﷺ؛ فقد كان النبي ﷺ لا يعلمها، فضلاً بأن يشرعها، فقد قال الله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ**﴾ (الشورى: ٥٢، ٥٣).

فالنبي ﷺ إنما كان دوره في الدعوة إلى الله هو التلقي الواعي الأمين، والتبليغ الكامل الدقيق بإذن المؤسس المشرع سبحانه وتعالى، ولم يكن مسموحًا له ﷺ التصرف في شيء من شرع الله تعالى ووحيه، فكيف بالله عليكم بمن هو دون النبي ﷺ؛ من

الذين ابتدعوا في الدين ما لم يأذن به ربنا تبارك وتعالى؟ أليسوا هم أتباع من دون الله أولياء ؟!

فاللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئًا نعلمه، ونستغفرك فيما لا نعلمه، اللهم اجعلنا من المتقين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين.

كتبه

أبو ماجد أحمد بن عبد القادر تركستاني

الجمعة ٣٠ / ٧ / ١٤٢١ هجرية

الرد على الجفري

وكشف تلبيساته

وملابساته وافتراءاته

بسم الله الرحمن الرحيم

الرد علي الجفري وكشف تلبيساته وملابساته وافتراءاته

إنّ الحمْد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، منْ يهده الله فلا مضلّ له ومن يُضْلِل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد:

فلقد كثر سواد أهل الفرق، وكثر أتباعهم الذين يحملون معهم جراثيم الأمراض العقديّة والسلوكية، في حين غفلة من الناس بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وحين أزمة فكرية غثائية حادَّة أفقدت وحدة العقيدة، فوجد أهل الأهواء لهم مجالاً؛ لنشر بدعهم ونشرها بين عامة المسلمين، ودخلوا عليهم بسبب أُمّيتهم الدِّينيَّة، فأدخلوهم في زيغهم وضلالهم، فعاثوا في الأرض الفساد، ونثروا داء الكَلَب في أقوام يلقطون كل لاقطة، ويفرحون بكل ساقطة، ويظنون أنها الدين القويم والصِّراط المستقيم، ولكن الله بالمرصاد على كل متكبر خرج عن الصراط، إلى طرق الغواية والانحراف، فقمع الله البدعة والمبتدعة؛ ليبقى الظهور للسنة الصافية من الكدر، النقية من علائق الأهواء وشوائب البدع، على منهاج النبوة وقَفْوِ الأثر، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ليستيقظ المسلم فيحذر البدع والمبتدعة، ولا يخالطهم أو يعاشرهم ليحفظ دينه.

أما إذا عُوشِرَ المبتدع، ولم يُحَسّس ببدعته؛ فيعتبر تزكية له وتنشيطًا لبدعته، وتغريرًا للعامة وبالعامة؛ إذ العامي مشتق من العمى، فهو بِيَدِ من يقوده غالبًا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» (٢٨/ ٢٣١) في النصح للمسلمين: «ومثل أئمَّة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة، أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة، فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم، واجب باتفاق المسلمين، حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين هذا أفضل، فبيّن أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله؛ إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه

وشـرعه، ودفع بغي هؤلاء وعـدوانهم على ذلك واجب على الكفـاية باتفـاق المسلمين، ولولا من يقيمه الله لدفع ضـرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فسـاد استيلاء العدو من أهل الحرب؛ فإن هؤلاء إذا اسـتولوا لم يفسدوا القلوب وما فيهـا إلا تبعًا، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء». اهـ.

من هو علي الجفري:

من المؤسف جدًّا أني استمعت إلـى أحد مشايخ جماعة التـبليغ؛ وهو علي الجفري في أشرطة يوزعـها أحد الزملاء في الـعمل، وهو ينتمي إلى جمـاعة التبليغ المعـروفة في ساحات المسلمين، فـيوزعها بالخـفاء؛ لجبنه وعدم ثقتـه بنفسه فضلا عـن انتمائه إلى هذه الجماعة الصُّوفيَّة البِدْعِيَّة.

ففي أشرطة الجفـري هذا تضليل للمسلمين، ودعوتهم إلى الكذب على الله وعلى رسوله بالتحريف والتَّزْييف، وفيها دعوة المسلمين إلى الشرك برب العالمين واستهزاء بعلماء المسلمين، واستنقـاص كلامهم الموافق لشـريعة الله، وفيهـا دعوة إلى كل بدعة وقع فيـها المسلمون، والاعـتذار لأهل الشـرك والخرافيين كـما سنبينـه في هذه الأوراق إن شاء الله تعالى. (ومن كلامه ندينه).

من أين تأثر الجفري فجمع عقيدته وفكره ؟

أولاً: كتب أبي حامد الغزالي:

فالجفـري هذا قد جمع عقـيدته وفكره من المبتدعـة، ومن كتبهم التي صـرَّح بها في أشرطته؛ منهـا «إحْياء علوم الدِّين» للغزالي المتوفى سـنة ٥٠٥ هجرية، فادعى أن السلف قالوا: إن الذي ما عنده «الإحياء» ما عنده حيـاة، مع أن السلف قد نصحوا بإحراق كتاب الإحيـاء؛ لما فيه من الإعـياء، فـفي هذا الكتاب مواد فـاسدة من كلام الفـلاسفـة تتعلق بالتوحـيد والنبوَّة والمعاد، وفـيه من الأحاديث والآثار الضعـيفة والموضوعة، بـل وأكثرها موضوع مكذب على النبي ﷺ.

قال السُّبْكِـي في «طبقات الشافعـية» (٦/ ٢٨٧) في ترجمة الغـزالي: «وهذا فصل جمعت فيه جميع ما قـد وقع في كتاب «الإحياء» من الأحاديث التي لم أجد لها إسنادًا»،

ثم شرع السبكي في سردها حتى بلغ (٩٢٣) حديثًا، وفيها من أغاليط الصوفية وترهاتهم، وهو - أي: الغزالي- يستحسن أشياء مبناها على ما لا حقيقة له، مما يجزم أن مباحثه زندقة خالصة تكفي بنبذ الكتاب.

فمنها تكلّمه في علم المكاشفة، وقال: «إن المراد بالكوكب والشمس والقمر اللواتي رآهن إبراهيم عليه السلام، أنوار حجب الله عز وجل».

قلت: وهذا هو كلام الباطنية بعينه.

وقال الغزالي في كتاب آخر له وهو «المفصح بالأحوال»: «إن الصوفية في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتًا، ويقتبسون منهم فوائد، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصورة إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق». انتهى.

فهذا الجفري ومن على شاكلته قد تأثر بكتب الغزالي؛ فتراه في أشرطته يحيل إليها دون مبالاة؛ لقلة علمه بالسنن الإسلامية الصحيحة، وإقباله على ما استحسنه الصُّوفيَّة الضَّالة عن الصراط المستقيم، فكتاب «إحياء علوم الدين» مليء بالانحرافات والزّلاّت التي لا يقرّها الشَّرع المطهَّر، ولا يقبلها عقل سليم، فالجفري هذا ينقل عن المتصوفة مثل هذه الترهات، منها - وهذا في أشرطته - أن هناك علمًا أخفاه الرسول ﷺ عن الناس، وتوصل إليه المتصوفة، وهو علم المكاشفة؛ يتعرف فيه الإنسان على حقائق الأمور، وتنكشف له حُجُب الغيب، ويطّلع على خفايا الناس، وتقرير الجفري لهذه الخرافات والأكاذيب يعتبر كفرًا بواحًا، فالرسول ﷺ لم يترك شيئًا إلا ودلّ أمته عليه كما قال ﷺ وهو الصادق المصدوق: «**ما بعث الله من نبي إلا كان حقًّا عليه أن يدلَّ أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم**» .رواه مسلم في صحيحه.

فهل يؤمن الجفري بهذا الحديث الثابت عن الحبيب ﷺ ، أم يؤمن بتلك الخرافة عن أشياخه المتصوفة الذين ينقل عنهم هذا الكذب الصريح على رسول الله ﷺ ؟!

قال ﷺ : « **إن كذبًا عليّ ليس ككذب على أحد، فمن كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار**» رواه مسلم وغيره، فالجفري يقرر هذا الكذب في أشرطته، وهذا حال المتصوفة الدّجلَة، ولكن العَيْب الأكبر على مستمعيه الذين سلّموا لأقواله وترّهاته دون

انتقـاد، بل بالترويج لأشرطتـه، وكأنهم لم يدرسوا علم التـوحيد في هذه البلاد المبـاركة بصحة وسلامة العقيدة والاتجاه حماها الله، أما هذا الذي نراه من بعض المنحرفين في هذه البلاد، من الذين ينشـرون عقيدة مثل أولئك الدعـاة - وهم دعاة إلى أبواب النار - هو نذير شر، يراد به تغيير عقيدة المُوحّدين، ولهذا وجب على كل صاحب غَيْرَة على دينه أن يرد هؤلاء، ويحذر منهم، ويعنف عليهم، بل ويطردهم، وإن استطاع أحد أن يخبر عنهم ولاة الأمر؛ فإما أن يقيموا عليهم الحدود، أو يَبْنوا عليهم السدود، فنحن نحذر منهم ومن إشكالهم، فعقـيدتهم مبنية على: اعْـتَقِدْ ولا تَنْتَقِدْ، والتـسليم أسلم، والله بكلام أوليائه أعلم، فهذا المعتقد شؤمًا عليهم وعلى الجفري إذ يقرر به. فكتاب «إحياء علوم الدين» في الحقيقة هو إعياء لعلوم الدين، والجـفري عندما يصر على هذا الكتاب - وعلى غيرها من الكتب التي سوف نذكرها، وتضخيم شيـوخ هذه الكتب وتلميعهم- يثبت لنا أن مِنْ وراء الأكَمَة ما وراءها.

انظر فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ٩٩)، (٦/ ٥٤)،(١٠/ ٥٥١)،(١٧/ ٣٦٢)، في الكلام عن كتاب «إحيـاء علوم الدين»؛ وأنا أعرف الجفري وأتباعه؛ فـهم لا يعترفون بشـيخ الإسلام ولا بغـيـره من أهل السنة، فتـراهم لا ينقلون عنـهم، ولكن ينقلون عن أمثالهم الذين من جلدتهم.

فالجفري هذا يـنصح بهذا الكتاب، وهو إما يعلم أو لا يعلم أن الغزالي نفـسه اعترف أنه قليل العلم في الحديث النبـوي، فقال في كتابه «قانون التـأويل» (ص١٦): «وبضاعتي في الحديث مزجاة». اهـ.

ولكنه - أي الغزالي - رحمـه الله أدرك في آخر حياته أهمية الحـديث، فشد المِئْزَر، وشمّر عن ساعـديه؛ ليتدارك ما فاته، إلاّ أن المنيّـة اخترمته قبل أن يحقق مـا عزم عليه، فمات وهو يشـتغل في صحيح البخاري، ذكـر هذا الإمام ابن تيمية في «موافـقة صحيح المنقول لصريح المعقول» (ص٩٤)، ونقل ابن تيمـية مقولة القاضي أبي بكر بن العربي عن شيخه الغزالي فـقال: «شيخنا أبو حامد دخل في بطون الفلاسـفة، ثم أراد أن يخرج فما قدر». اهـ.

فماذا نقـول للجفري وهو ينصح جماعتـه -جماعة التبليغ- بقـراءة مثل هذا الكتاب

وغيره من كـتب المتصوفة - التي سوف نذكـرها- وجماعة التبليغ تعـتبر جماعـة أُمِّيّة في العلم ؟! الذين عن فـهم السنّة صـفر بالتـمام، وسنذكـر في بحث آخر خـاص عن هذه الجماعة، وما تنتمي إليه. ولمن تنتمي في طريقتـها المخترعة إن شاء الله تعالى؛ ليحذر من طامّاتها العوام - فهم أكثر المنتمين إليها - والله المستعان.

ثانيًا: كتب الحدَّاد:

ومن الكتب التي ينصح الجفـري إخوانه بقراءتها؛ كتب الحـدّاد الهالك الزّنديق، فمن هو الحدّاد الذي ينصح به في أشـرطته؟ فإذا عرفنا الحـدّاد فسوف نعرف مـا وراء الأكمة، فالحداد هو السـيد علوي بن أحمد بن حـسن ابن القطب السيد عبـد الله الحدَّاد باعلوي؛ مؤلف الكتب التي تطعن في دعوة العلامة المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، منها كتـاب «جلاء الظلام في الردّ على النَّجْدي الـذي أضلَّ العوام» ففي هذا الكتـاب أحاديث وضعـها بنفسه، وكـذب على النبي ﷺ فادعى أنهـا من أقواله، وهذا الكذب الواضح على رسول الله ﷺ لا يخجل منه أمام الله تعالى وخلقـه، فهذا الدّعبوس يكذب على النبيﷺ ، ثم يدعي أنه يحـبه، فـقل لي بالله! هل تجـتمع مـحبة الرسـول ﷺ مع الكذب عليه؟!

فمن الأحـاديث التي كذب فيها على الرسول ﷺ : «سيخرج في ثاني عشر قرنًا في وادي بني حنيفة رجل هيـئته الثور، لا يزال يلعق براطمه، يكثـر في زمانه الهرج والمرج، يستحلون أمـوال المسلمين ويتخذونها بينهم متـجرًا، ويستحلون دماء المسلمين ويتـخذونها بينهم مفـخرًا، وهي فتنة يُعَزّ فـيها الأذلون والسفل، تتـجارى بينهم الأهواء كما يـتجارى الكَلَبُ بصاحبه» ثـم يقول وهو لا يستحي من أحد: ولهذا الحديث شـواهد تقوي معناه، وإن لم يُعرف من خرجه .

هكذا زعم بحديثه الموضوع أن الثور هو محمد بن عبد الوهاب، والأعجب من هذا يقول: «وإن لم يُعرف من خرَّجـه» ليفضح نفسه بنفسه بأنه كذّاب دجَّـال؛ فإنه ليس لحديثه المخترع أصل، فهذا الدَّجال يكذب على رسـول الله ﷺ كذبًا واضحًا؛ ليحارب بكذبه المفضوح الدَّعوة الإصلاحية السّلفيّة، ولكن اللـه سبحانه وتعالى كان له بالمرصاد فقد بارك في دعوة الشيخ محمد بن عـبدالوهاب، وأبقاها في نمو وتقدم وتوسع في مشارق الأرض

ومغاربهـا، رغم أنفه وأنوف المبتدعـة أعداء دعوة التوحـيد، والحمد لله الذي بنعـمته تتم الصالحات.

ومن كتب الحـدّاد الحِدَاد على السّنة وأهـلها، كتـاب «السيف البـاتر لعنق المنكر على الأكابر» حـارب فيه الدعوة السلفـية، وطعن في الشيخ الإمـام محمد بن عـبد الوهاب، وكتاب آخر سماه «مصباح الأنام وجلاء الظلام في رد شبهة البدعي النجدي التي أضل بها العوام» فـفي هذا الكتاب الأخـير قرر جـواز الاستـغاثة بالأموات، والغـلو في الأولياء، وتأكيد جـواز البناء على القبور وتشييـد المشاهد والمزارات لقبور الصالحين، فـالجفري هذا يريد من الناس قراءة كـتب الحدّاد، التي ينقل هو منها عقـيدته الفاسدة الكاسـدة؛ ليضل العوام، فيريد من النـاس شد الرحال إلى القبور والاستغـاثة بغير الله والغلو بالنبي ﷺ كما هو في كتب الحداد الضال.

ولكن كفانا مؤنة الحـدَّاد وغيره من القبوريين؛ الشيخ سليمـان بن سحمان ت ١٣٤٩ هجريـة في كتابه «الأسـنّة الحِداد في الرَّد على شُـبهات علـوي الحدَّاد» ففي هذا الـكتاب المِعْطار ردٌّ على كثيـر من شبه الحدّاد الضَّال، وعلى من قلّده ومن نصح بقراءة كـتبه، فلله الحمد والمنة.

ثالثًا: كتب الشَّعراني:

ومن المراجع التي نصح بها الجفري كُتب الشّعراني، ككتاب «تنبيه المُغْترِّين»، فمن هو الشـعراني صـاحب الجفـري هذا ؟ ـ لتـزداد يقينا أنَّ من وراء الأكـمة مـا وراءها!ـ إنه الشعراني الـبَعْراني صاحب كتـاب «الطّبقات» الذي حشـاه بتراجم المتصوفـة، وكلما ذكر شيخًا منهم قال رضي الله عنه، فهاك يا جفري ومن يؤيدك بعض ما في طبقات الشعراني الذي تنصح بقراءة كتـبه، ثم إلى من يستمع لك، فينشـر هذه الشرور، التي عليك وزرها ووزر من اتبعك فـيها، ثم إلى من يتعـاطف مع المبتدعـة، ويقول: إن فيهم خـيرًا، و.. و.. إلخ .

قال الشعراني في «طبقاته» (٢/ ١٣٥) وهو يقص كرامات سيّده علي وحيش ويقول: «كان الشـيخ ﷺ يقيم عندنا في خان بنات الخطا ـ وهو بيت للدعـارة ـ وكان كل من

خرج بعد اقتراف الجريمة الباغية، يقول له: قف! حتى أشفع فيك قبل أن تخرج، فيشفع فيه، وكان إذا رأى شيخ بلدٍ أو غيره يُنْزله من على الحمارة، ويقول: أمسك لي رأسها حتى أفعل فيها، فإن أبى شيخ البلد؛ تسمّر في الأرض لا يستطيع يمشي خطوة، وإن سمح؛ حصل له خجل عظيم والناس يمرون عليه». انتهى

فانظر أيها المغرور إلى هذه القصة المنكرة، كيف تُرْوى عند الشعراني، وبألفاظ فاسقة، وأسلوب فاسق، فانظر كيف يسوق القصة، ويُفَبْرِكُها للناس دون حياء، وإذا أبى صاحب الدّابة إلا صيانة عرضها من علي وحيش؛ عَطَبَهُ علي وحيش، ومع هذا يقول الشعراني عن علي وحيش: ﷺ !!

وهذا الجفري ممن يؤمن بكتبهم إيمانًا عنيدًا طاغيًا، كما هو واضح من كلامه، فهو يَتَدَيّن بكل حرف فيها وإن كان أسطورة، ويؤمن بكل كلمة فيها وإن كانت خرافة، فاستمع إلى ما قاله الشعراني كاهن الصوفية في «طبقاته» (٢/ ١٢٩) عن الكرامة بهتك العورة، قال: «ومنهم الشيخ إبراهيم العريان كان يطلع المنبر ويخطب عريانًا... فيحصل للناس بسط عظيم». انتهى، فتصور يا عبد الله إلى ما يدعو إليه الجفري.. ولكن اجعل خيالك رحيبًا مُجَنّحًا بتهاويلك الشاعرية مع الشعراني، حتى يمكن أن تتصور مشهد وليّ يبارك المصلين بهتك عورته! يصعد المنبر يوم الجمعة، حتى إذا أمعن الشهود فيه الأبصار، وحدّقوا إليه الأفكار، وحوّمت حوله الأحْلام والعواطف؛ هتك الستر عن عورته؛ فضلاً منه ونعمة!.

هذا هو الشعراني الذي ينصحنا به الجفري، ليؤكد لنا أن هذه كرامة، وأنها حقيقة صوفية، ويبشّر بها، ويدعو إليها، ويدعو الله أن يغمر مقترفيها برضاه، ولكن لا تتعجب بأن يصدر من الجفري شيء كهذا؛ فالرجل صوفيّ، ولكن نحن -والحمد الله- نعرف أن آدم وحواء -عليهما السلام- عوقبا على ذنبيهما الأول بكشف السوءة، فقال الله تعالى: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾ (الأعراف: ٢٢). فماذا يريد منا الجفري من دين؟! اللهم غُفْرًا.

ويقول الشعراني في «طبقاته» (٢/ ١٢٢، ١٣٢) عن أبي خوذة: «وكان ﷺ إذا رأى امرأة أو أمردًا راوده عن نفسه، وحسّسَ على مقعدته». اهـ.

وغيرها الكثير التي ينازعني الحياء تسطيرها، ولكن خذ بكتابه وطالع فيه لأي ترجمةٍ لصوفي، بأسلوب شعرانيّ ذميم منكر. والله الهادي.

ولكني أقول للتبليغي الصغير الذي ينقل أشرطة الجفري المُضَلّلة: أقول له ناصحًا محذرًا: بأن يا فلان! كُفّ عن نشر هذه الأشرطة وأمثالها، فإن فيها دعوة إلى الفسق، وإلى الشرك والكفر، وإلى مخالفة صريحةٍ لدين الحق، وإلاّ سوف تحمل أوزارها، وأوزار من يسمعها معك، ثم تعض على أناملك معه، في يوم لا ينفع فيه الندم؛ وتذكَّر قول الله تعالى: **﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾** (الفرقان: ٢٧-٢٩)، الموتى عند الجفري يَسْمَعون ويُسْمِعون ويُفيدون- ولكن لا تستغرب من الجفري وهو يدّعي في أشرطته أن الموتى يَسْمَعون ويُسْمِعون ويفيدون، فهذا كله عند الغزالي والشعراني والحداد في كتبهم مسطورة، وفي عقيدة الجفري محفورة، انظر إلى ترجمة السيد البدوي، الذي يحث الجفريُّ الناسَ شد الرحل إلى قبره، في «طبقات» الشعراني (٢/ ١٥٤) ! فإذا رأيت هذه الترجمة؛ ترى من أين أتى هذا الجفري بهذا الادِّعاء، فالشعراني يقول: إنه رأى كثيرًا من الأحياء والأموات من الشيوخ بأكفانهم يمشون ويزحفون معه في المولد، ثم الجفري يقرره للعوام في أشرطته المسموعة والمرئيّة، وفي القنوات الفضائية الفضائحية الخزعبلاتية، التي تبث لكل من هبَّ ودبَّ؛ ليغزوا المسلمين في ديارهم، بأفكارهم ومعتقداتهم واتجاهاتهم؛ فهذا شيعي من الطاعنين في الصحابة يتكلَّم! وهذا صوفي من الخرافيين يَقُصّ ويتخيَّل! وهذا حزبي من الأحزاب المتفرقة في دينها يَتَفَيْهَقْ! وهذا علماني يتحذلق! وهذا إباحي يغرّر ويتبجح! وهذا.. ، وهذا..

والجفري من أحدهم فقد جمع التَّصَوُّف والتَّشَيُّع والتَّحَزُّب، فيزعم في شريطه الموزع عندنا أن هناك كرامة حصلت لحمارِ النبي ﷺ ! فينقل قصة الحمار العجيب، وأنا أنقلها هنا للعبرة فقط، حتى نرى من أعاجيب المتصوفة، وقصصهم الخرافية المضحكة، وإن من شر البليَّة ما يضحك .

والقصة ذكرها ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٢٩٣، ٢٩٤)، قال الرَّاوي: «لما فتح

الله عز وجل على نبيّه خيبرَ أصابه من سهمه أربعة أزواج نعال، وأربعة أزواج خفاف وعشرة أواق ذهب وفضة وحمار أسود، قال: فكلم النبي ﷺ الحمار، فقال له: ما اسمك؟ قال يزيد بن شهاب أخرج من نسل جدي ستين حمارًا كلهم لم يركبه إلا نبي، ولم يبق من نسل جدي غيري ولا من الأنبياء غيرك، أتوقعك أن تركبني، وقد كنت لرجل قبلك من اليهود، وكنت أعثر به عمدًا، وكان يجيع بطني ويضرب ظهري، فقال له النبي ﷺ : قد سميتك يعفور، يا يعفور! أتشتهي الإناث؟ قال: لا ، وكان النبي ﷺ يركبه في حاجة، فإذا نزل عنه بعث به إلى باب الرجل فيأتي الباب فيقرعه برأسه، فإذا خرج إليه صاحب الدار أوْمَأَ إليه أن أجب رسول الله ﷺ ، فلما قُبض رسول الله ﷺ جاء إلى بئر كان لأبي الهيثم بن التيهان فَتَرَدّى فيها فصارت قبره؛ جزعا منه على رسول الله ﷺ». اهـ ، قال ابن الجوزي -رحمه الله-: هذا حديث موضوع فلعن الله من وضعه ، فإنه لم يقصد إلا القدح في الإسلام ، والاستهزاء به .. إلخ.

وأنت أخي المسلم عندما تسمع لهذا الجفري وهو يروي لك قصة حمار يتكلم ويَنْتحِر و.. و.. فلا تتعجب، فهذه كرامة ولي من الأولياء عنده، وهو الحمار، وربما يكون كلبًا، أو خنزيرًا، أو ربما كان شيطانًا من الشياطين...

فانظر إلى شيخه الشعراني ماذا يقول عن كلب حصلت له كرامة! وهو يقص قصة عن كرامات سيده العجمي في «طبقاته» (٢/ ٦١) قال: «وقع بصره على كلب، فانقادت إليه جميع الكلاب، وصار الناس يُهْرَعون إليه في قضاء حوائجهم، فلما مرض ذلك الكلب؛ اجتمع حوله الكلاب يبكون، فلما مات، أظهروا البكاء والعويل، وألْهَم الله تعالى بعض الناس فدفنوه، فكانت الكلاب تزور قبره حتى ماتوا، فهذه نظرة إلى كلب فعلت ما فعلت، فكيف لو وقعت على إنسان ؟! ». اهـ.

فنقول: إن من شر البلية ما يضحك؛ فهذه البشرية في تاريخها المظلم، وفي تيهها الوثني؛ لم تؤله كلبًا، بَيْدَ أن الصوفية أرادت التجديد في صور الشرك، وأن تبتدع أصناما جديدة؛ فألّهت ما لم تؤلهه أحط الوثنيات في التاريخ، ولكن الصوفية نفايات مَجّتْها مجوسية الفرس والهند، وزندقة الغنوصيين، وإلحاد الفلاسفة، ووثنية الصابئة، وعبدة الأصنام

الصوفيَّة ليست الإسلام بل هي الخزي والعار والشَّنار:

فالصوفية أخس دين عُبد به الشيطان، وافتتن الناس به بزعم أنه ملاك رحمة ومحبة، وأن الذوق هو وسيلة المعرفة، هذه الصوفية التي يزعم الجفري بأنها الإسلام، ولكنها هي الخزي والعار الذي استغله المستشرقون، فيحملونه على المسلمين جميعًا، فيرمون المسلمين جميعًا بالخرافة والغباوة وعباد الأساطير، ولكن المستشرقين يعلمون ويوقنون أن دين الصوفية ليس دين الإسلام، ولكنهم عدو يهتبل الفرصة ليمحق عدوًّا له، وربما أخذتنا العزة ضد هؤلاء المستشرقين وحدهم، بيد أن الواجب هو أن تأخذنا العزة بالحق؛ فَنَجْتَثّ الصوفية من أصولها، وكفانا أن جعلت عدو الإسلام يحمل كل خزي لها عليه !! ليس أولئك المستشرقون هم عدونا الأول، وإنما عدونا من ملّكَهُمْ هذا السلاح يقاتلوننا به، وليس غير الصوفية !!

فماذا نقول لعلي زين العابدين الجفري، وهو ينصح بقراءة كتب المتصوفة للشعراني والحداد وغيرهما، مثل كتاب «منهاج العبدين» و «آداب سلوك المريد» و«المرآة» و«لواقح الأنوار القدسية»، فالجواب أريده من التبليغيين وأعوانهم الذين ينشرون أشرطة الجفري سواء المسموعة أو المرئية، التي مُلئت بالروايات الخُزعبلاتية، والقصص الخرافية التي يضحك منها المستشرقون قبل العوام المساكين، ومُلئت أيضًا بالأحاديث والآثار المكذوبة على خير البرية، أما إذا كانت صحيحة؛ فهو يلوي أعناقها ليوافق بها مشربه، فيحتج بها على بدعه المتراكمة والمتراكبة كما سنبينه إن شاء الله.

شدّ الرِّحال إلى القبور والتوسل بالمَيِّتين (القبوريَّة):

انظر إلى الجفري وهو يحتج بقصة أبي هريرة في أشرطته ومحاضراته؛ ليجوز شدَّ الرِّحال إلى القبور للتبرك والتوسل بأصحابها؛ ليًّا لعنق هذا النص الذي فيه المنع من شد الرحال إلى المساجد إلا المساجد الثلاثة، مع أن القصة ليس فيها شدُّ رحالٍ إلى القبور، فنحن نذكر القصة الصحيحة في هذا الباب؛ ليعلم الناس أن هؤلاء المتصوفة كذبة وضلال، يكذبون على السلف الصالح على حساب اجتذاب السذج من الناس إلى منهجهم الصوفي المنحرف، لهذا تجد أكثر المنحرفين إلى المنهج الصوفي هم من العوام والهوام، الساذجين القليلي البضاعة في العلم الشرعي.

فعن سعيد بن أبي سعيد المَقْبُري عن أبي هريرة ﷺ قال: (أتيت الطور، فصليت فيه، فلقيت جميل بن بصرة الغفاري فقال: من أين جئت ؟ فأخبرته، فقال: لو لقيتك قبل أن تأتيه ما جئتَه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تضرب المطايا إلاّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول، ومسجد الأقصى**» أخرجه الطحاوي (١/ ٢٤٢) بسند صحيح والحديث أصله في الصحيحين بلفظ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد. .**» فانظر كيف يحتج الجفري بهذا الأثر بضده ؟!

وكما قيل:

إثبات ضِدّين معًا في حال

أقبح ما يأتي من المحال

وعن قزعة قال: سألت ابن عمر: آتي الطور؟ فقال: دعِ الطور، وقال: «لا تُشَدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» رواه ابن أبي شيبة وغيره بإسناد صحيح، فانظر إلى نصيحة ابن عمر كيف أراد حماية جناب التوحيد، وقارنها مع نصيحة الجفري الذي يريد بها خراب التوحيد، فحول القصة من شد رحال إلى المساجد إلى شدها إلى القبور، ثم خالف مضمون القصة ببتره باقي النَّص الذي هو الشاهد من هذه القصة، وهو إنكار جميل ابن بصرة ﷺ لأبي هريرة ﷺ، والله تعالى سوف يجازي الجفري بهذا الإضلال الذي سوف يحمل وزره ووزر من أضله، قال الله تعالى: ﴿**لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ**﴾(النحل: ٢٥).

فالجفري المضل يحتج بهذه القصة بضد مقصودها كذبًا وافتراءً كما تقدم، ثم يبني على هذا الكذب مراده، فيدعي في أشرطته الموزعة عندنا أن الدُّعاء عند قبر النبي ﷺ جائز، والنبي ﷺ هو واسطة لنا إلى الله في حياته ومماته، هكذا يقول، وهذه العقيدة هي نفسها عقيدة القبوريين المشركين قديمًا وحديثًا، الذين يعبدون أهل القبور ويقولون: ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ**﴾(الزمر: ٣). كما سنبينه إن شاء الله. .

زعم الجفري أن الأمة لا يقع فيها الشرك؛ ليسوِّغ عقيدته:

الجفري- المقر للعبادة القبورية- يظن بأن المشركين القبوريين ما كانوا جادِّين فيما

حكى ربنا عنهم في الآية المتقدمة الذكر: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ لهذا جعل الجفري النبيَّ ﷺ واسطة بينه وبين الله؛ ليقربه إلى الله زُلْفَى، ثم يستدل - بتطويعه النّصوص- على ما يعتقده، ثم يعتذر لنفسه، ويقول: إن الأمة الإسلامية لن يدخلها الشرك أبدًا، ويحتج بحديث في البخاري وهو قوله ﷺ: « **إني والله ما أخاف أن تشركوا بعدي** ..» فيدَّعي أن هذا الحديث عام، وأن الأمة الإسلامية لا يدخلها الشرك إطلاقا؛ ليسوغ الأفعال التي وقع فيها المسلمون في العالم الإسلامي من توسل بغير الله، واستغاثة بغير الله، وذبح لغير الله... إلخ؛ فيعتذر لهم، ويدعي بأن هذا ليس بشرك، وكأنه لم يقرأ القرآن ولا مرة واحدة، فالقرآن العظيم فيه الكثير من النهي عن مثل هذه الشِّرْكيَّات، أما عن الحديث المتقدم الذي اعتذر فيه للمشركين؛ فهو حديث خاص للصحابة ﷺ، فهم لم يدخل فيهم الشرك، وحاشاهم ﷺ فانظر إلى الحديث بكامله في «صحيح البخاري» (١٣٤٤و ٦٤٢٦)، مع «فتح الباري»: كتاب الجنائز وكتاب الرقاق ، وعند البيهقي(/ ١٤ ٤)، والله الهادي .

أما عن الأمة الإسلامية فالشرك واقع فيها لا محالة، والسعيد من حماه الله منه، وهداه إلى التوحيد الخالص، فمن الأحاديث التي تثبت أن الشرك واقع في هذه الأمة ما رواه البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخَلَصَة؛ طاغية دوس التي كانوا يعبدونها في الجاهلية**» انظر: «صحيح البخاري» (٣/ ٣٧٩). وكما سيأتي من الأحاديث التي تدل على أن الشرك من عبادة الأوثان وغيرها واقع في الأمة لا محالة.......

سبب التمكين والأمن في الأرض:

وتحقق هذا الحديث النبوي المتقدِّم، ورحم الله الملك عبد العزيز آل سعود حيث أُحرق هذا الصنم في عهده المبارك، وهذا سبب من أسباب تمكين الله لهذا المَلك في ملكه؛ بتحقيقه سبب التمكين الذي أرجو من الله أن يهدي باقي الدول الإسلامية إليه، كما قال الله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ**

أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾(النور: ٥٥). وقال جل وعلا: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾(الحج: ٤١).

فهذه هي أسباب النصر والتمكين؛ ننصر ديننا، فالله ناصرنا، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾(محمد: ٧).

فلهذا نرى العالم الإسلامي في هذا الزمان على أدنى مكانة، من تقتيل وتشريد، وذل وهوان، ويُهتك عرضه، فلا يسمع له صوت إلا في الشكوى والأنين وطلب الإنصاف، ولا أحد ناصره، ولا منجده، وما ذلك إلا بسبب البعد السحيق عن دين الله الصحيح، واستبداله بدين آخر مزيف بالصوفية والحزبية والخرافية، التي عرفنا بعضها من الجفري هنا، والله بالمرصاد.

ومن الأحاديث التي فيها أن الشرك واقع في هذه الأمة، ما رواه الترمذي وأبو داود في سننهما بسند على شرط مسلم أن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان**» وأصل هذا الحديث في مسلم (٨/ ١٧١).

ففي هذه الأحاديث - وغيرها الكثير- دلالة واضحة وقاطعة على أن الشرك واقع في هذه الأمة، والواقع خير شاهد، فالأمة الإسلامية قد استبدلت دينها الصحيح بدين آخر فيه البدع والشرك، قال الله سبحانه تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾(النحل: ١١٢).

من يأمن من البلاء بعد إبراهيم عليه الصلاة والسلام؟!

ولكن الجفري الجاهل بدينه لا يعلم أن إبراهيم -عليه السلام- دعا الله أن يجنبه الشرك فقال الله عنه: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾(إبراهيم: ٣٥). وقال عنه أيضًا: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾(إبراهيم: ٣٦).

فهذا إبراهيم عليه السلام يسأل الله تعالى أن يجنبه ويجنب بنيه من هذا البلاء الذي

أضل كثيرًا من الناس، فما ظننا بغير إبراهيم عليه السلام؟ لهذا قال إبراهيم التَّيْمي رحمه الله: «ومن يأمن من البلاء بعد إبراهيم ؟» وهذا يوجب للقلب الحي أن يخاف الشرك، لا كما يقوله الجُهَّال منهم الجفري الضال: «إن الشرك لا يقع في هذه الأمة»؛ لهذا تراه أمن من الشرك، فوقع فيه، ويريد أن يُوقع الناس فيه، فيُدلّس على الأمة بأن الشرك لن يقع في الأمة، مستدلاً بحديث صحيح قد بتره؛ ليسوغ لنفسه ولغيره الشرك والوسائل الموصلة إليه؛ من شد الرحال إلى القبور - كقبر البدوي، والحسين، والجيلاني، والسيدة زينب، والدسوقي، ونفيسة، والعيدروس، والرِّفاعي، والهادي، وغيرهم من الذين صرح بأسمائهم في جلساته، وأجاز التوسل بهم، وأنهم يَسْمَعون ويُسْمِعون، ويجيبون، ويُسْتغاثون فيغيثون و.. و.. - ومن قراءة كتب الغزالي والشعراني والحداد، وكتب محمد إلياس مؤسس جماعة التبليغ الصوفية الشركية، وغيرها.

وكتب هذه الفرقة سوف أفرد عنها كلامًا إن شاء الله أُبَيّن ضلالها وانحرافها عن الصراط المستقيم.

العقيدة الحلوليَّة والاتحادية عند الجفري:

فالجفري في أشرطته كثيرًا ما يتكلم في كرامات الأولياء بقصص خرافية واضحة، ويزعم أن عند أوليائه علم الحقيقة؛ الذي يغيبهم الذِّكر بالمذكور؛ بعقيدة الحلول الكفرية الشيطانية ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهل رأى التبليغيون أصحاب الجفري أن الشيخ عندهم بمواجهة الذكر عنده يصير مولد كهربائي يضيء حلب كلها ؟! هذا في أشرطته التي وزعها علينا التبليغي الصغير- وإن شئتُ سميتُه، ولكن الغرض ليس هذا - فأين العقلاء، هل انتهوا ؟! أفيقوا أيها المسلمون ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾(هود: ٧٨).

أرجل عندكم يصير مولد كهربائي بمواجهة ذكره ؟! فلا يمشي عليكم هذا الكلام الخرافي الذي مشى على الجفري الخرافي، الذي زاد عليه بقوله: إن العبودية خصوصية لوجود الله يذوب بمعنى الاتصال بالله، وهذا عنده كما يقول: أنوار الذِّكر الذي يوصل إلى العالم الآخر، فيرى الذاكر اللوح المحفوظ، ويقرأ منه، وينظر إلى الملكوت الأعلى، فيكسب الكشف وعالم الغيب، وينظر إلى العالم الأعلى أي الجنة والنار والعرش، ثم

يسميه: اختراق الغيب بالذكر ووجائد الذكر وذوق الذكر، و.. و.. إلخ من الكلام الذي هو كفر بواح بصريح القرآن والسنة، فالغيب لا يعلمه إلا الله علاَّم الغيوب، والعالم الآخر لا يعلمه إلا الله، واللوح المحفوظ لا يعلم ما فيه إلا الله، حتى الرسل عليهم السلام لا يعلمون الغيب إلا ما أوحاه الله لهم كما قال الله تعالى: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا**﴾(الجن: ٢٦، ٢٧)، وقال جل وعز: ﴿**قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾(الأعراف: ١٨٨)، فالجفري عليه من الله ما يستحق لم يكتف بهذا الكفر والشرك في أشرطته؛ بل زاد وادعى أن من الكفار والغير مسلمين من ينظرون إلى الغيب؛ فبئس ما جاء به وزعم وادَّعى وأتى.

لقــــد أتى والـله شـــــيـــــئـًا إدّا

تَخِـــرُّ مِنْهُ الشَّـــامِـــخَـــات هدّا

من الكتب المعتمدة عند الجفري والتي بنى بها وعليها عقيدته:

هذا ما أخذه الجفري من كتب جماعته، جماعة التبليغ الصوفية، مثل كتاب «تبليغي نصاب» و «ولي كامل» و«فضائل الصحابة» و«فضائل قرآن» و«فضائل صدقات» و«فضائل ذكر» و«كتاب مولانا محمد إلياس» و«تبليغي تحريك» و«إرشادات ومكتوبات محمد إلياس» و«مجالس ذكر» و«ثلاثون مجلسا» و«صقالة القلوب» و«فضائل حج»، وغيرها الكثير من كتب التبليغيين، التي أساسها كتب الشَّعراني مثل كتاب «تنبيه المغترين» و«قواعد الصوفيَّة» و«اليواقيت والجواهر» و«الكبريت الأحمر» و«لطائف المنن» وكتب الغزالي مثل: «إحياء علوم الدين» و «مشكاة الأنوار» و «المضنون به على أهله» وكتب الحداد ككتاب «السيف الباتر» و «مصباح الأنام» وكتب أبي طالب المكي ككتاب «قوت القلوب» وكتب البكري ككتاب «بلغة المريد» وكتب ابن عربي ككتاب «فصوص الحكم»، وكتاب «الفتوحات المكية»، وكتاب «مواقع النجوم»، و «ذخائر الأعلاق»، و «البد» لابن سبعين، و «خلع النعلين» لابن قسي، و «على اليقين» لابن برخان، وكتب الحلاّج وابن الفارض وأشعاره

وشرحها لابن الفرغاني، وغيرها الكثير التي ينصح الجفري بقراءتها، والإحالة إليها، والتي نبرأ إلى الله منها ومما فيها؛ ففيها أخطار ودمار على العقيدة والشريعة، وفيها المعارضة الصريحة للقرآن والسنة، وفيها الكذب والسموم الطّافحَة بالشُّرور والمنكرات، وفيها الشُّبَه الخطَّافة لأصحاب القلوب الضعيفة، والفهوم السَّقيمة.

طلب المدد من المقبورين وأنهم سبب لحصول مسبب هو عين الشرك:

فلهذا لا تستغرب من الصوفي الجفري عندما يطلب المدد من رسول الله ﷺ، ويقول: إن النبي ﷺ وغيره من المقبورين هم سبب لحصول مسبب، وأن الفاعل هو الله وحده، وهذا الاعتقاد الذي بثَّه في أشرطته، هو عين ما كان يعتقده مشركو العرب ولا فرق، وهو الشرك الأكبر والذَّنْب الذي لا يُغفر، وهو قول أهل وحدة الوجود الذين يقولون: إن من اعتقد أن هناك فاعلاً غير الله فقد أشرك، وهو قول الجَبْرِيَّة، ويقول به الجفري الضال المضل، وكأنه لا يعلم أن المشركين القدامى كانوا يقولون مثل قوله، فيقولون: إن أوثانهم لا تخلق بنفسها، ولا أنها تنفع لنفسها، ولا أنها تفعل بنفسها، بل يقولون: إن الفاعل والمدبر هو الله تعالى، كما قال الله عنهم: ﴿**وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ**﴾(يونس: ٣١)، وقال عنهم -عز وجل-: ﴿**قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ**﴾(المؤمنون: ٨٨، ٨٩).

فأولئك المشركون إنما أشركوا شرك واسطة، لا شرك خلق وإيجاد، وأشركوا شرك تسبب لا شرك استقلال، فتأمل قول الجفري: إن المقبورين يَسمَعون ويُسْمعون ويُطلب منهم المدد، وأنهم سبب لحصول مسبب، ثم قارن بين قول المشركين: ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ**﴾(الزمر: ٣)، وبين قول الجفري وما يدعيه: إنهم ينفعون بإذن الله، فهذه والله لفتنة عظيمة أرجو من الله أن يخرج المسلمين منها.

ولزيادة في الإيضاح انظر إلى قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿**قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨) وَمَا أَضَلَّنَا إِلاَّ الْمُجْرِمُونَ (٩٩) فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ**﴾(الشعراء: ٩٦-١٠٠)، واجمع بين هذه الآية وهذه الآية: ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾(لقمان: ٢٥).

تجد بعد الجمع أن تسوية المشركين معبوديهم برب العالمين، لم تكن في الخلق والإيجاد، بل سووهم برب العالمين في التوجه والعبادة، أما الموحِّد التوحيد الخالص فيقول: حق ألا يُتَوَجّه بطلب المدد والغفران ورفع الدرجات والعطاء والرحمة وغيرها إلا من الله تبارك وتعالى، أما المشركون فقد توجهوا بطلب المدد من أصنامهم الممثلة على صور الصالحين المنصوبة على قبورهم، وكان شعارهم هو: ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ**﴾ فتبين باليقين القاطع أن تسويتهم معبوداتهم برب العالمين، إنما هي بالمحبة والتعظيم والتوجه والقصد وطلب الشفاعة والواسطة، فالقرآن حق كله، وأحسن وأعلى ما فُسِّرَ به القرآن القرآن.

ثم اعلم أن اتخاذ الشفعاء، ودعاء المقبورين طلبًا لشفاعتهم شرك، وهو عين شرك الجاهلين، وشركهم كان في الألوهية في التسوية بين الله وبين خلقه، في التوجه والقصد طلبا للشفاعة والدعاء والتسبب، فقول علي الجفري في أشرطته: إن هذا سبب، وينفعون بإذن الله؛ كذب على الشَّرع، فإن الله لم يجعل هذا سببًا لقبول الدُّعاء، ولا أمر به، ولم يشرعه لعباده، قال الله تعالى: ﴿**أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (١٩٢) وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ (١٩٣) إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٩٤) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنظِرُونِ (١٩٥) إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (١٩٦) وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ**﴾ (الأعراف: ١٩١-١٩٧).

افتراء الجفري على رسول الله ﷺ :

أما استدلال الجفري في الأشرطة الموزعة، بأن نبينا ﷺ توسل بموسى في قصة المعراج في تخفيف الصلاة بجواز التوسل بالأموات، فنقول:

إن هذا بهتان عظيم بأن نَتّهِمَ رسولَ ربِّ العالمين بالشرك والتوسل بالمقبورين، وقصة المعراج ليس فيها أي شيء مما يدعيه الجفري المفتري الضال المضل، ولكن الذي فيها أن

النبي ﷺ رأى بعض الأنبياء عليهم السلام في السموات، منهم موسى عليه السلام وليس فيها أي نوع من أنواع التوسل من النبي ﷺ، وكل ما في القصة: أنه ﷺ لما رجع من عند ربه مر على موسى عليه السلام فقال له موسى: ما فرض الله على أمتك؟ فقال ﷺ: «**فرض عليهم خمسين صلاة**»، فقال: فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك، فرجع إلى ربه فوضع شطرها... إلخ.

فانظر يأيها المسلم إلى الجفري وجرأته! وعلى من! على رسول الله ﷺ، وانظر إلى تحريفه الكلم عن مواضعه، وادعى أن النبي ﷺ توسل بالنبي موسى -عليه السلام- فوالله إنها: ﴿**تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا**﴾(مريم: ٩٠)، أن ادعى الجفري أن النبي ﷺ أشرك بشرك التوسل بالأموات، قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٨) مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩) وَلا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾(آل عمران: ٧٨-٨٠).

فالجفري عليه من الله ما يستحقه يلوي أعناق النصوص؛ ليحسبها الناس أنها من عند الله وفي كتاب الله وفي سنة رسول الله، وما هي من عند الله، ولا في كتاب الله، ولا في سنة رسوله، ولكنه الكذب على الوحيين، والافتراء عليه.

الرسول يتوسل بغير الله؟! آلرسول يأمرنا أن نتخذ النبيين أربابًا من دون الله كما زعم أنه توسل بموسى - عليه السلام- ؟! آلرسول يأمرنا بالكفر بعد إذ كنا مسلمين؟! فوالله يا أيها المتصوفة ﴿**لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا**﴾(مريم: ٨٩، ٩٠).

ولم يكتف الجفري بهذا الهراء والافتراء؛ بل زعم أن النبي ﷺ ما جاء بالرسالة فقط، بل جاء للتوبة إليه بعد مماته، فهذا الجفري لا يدري ما يخرج من رأسه، وكأنه لم يقرأ القرآن ولو مرة واحدة، فالله سبحانه تعالى يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى**

اللَّهِ..﴾، وقوله: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا..﴾، وقوله: ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ..﴾، وقوله: ﴿فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾، وقوله: ﴿واللهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ وغيرها من الآيات الكثيرة التي فيها أن التوبة لله تعالى، ليست لغيره كما يدعيه الجفري بتشريك النبي ﷺ مع الله بالتوبة، فلا يغضب أحد من أتباع الجفري إن قلنا: إن الجفري واقع في شركيَّات كثيرة وهذه بعضها .

محبة الرسول ﷺ عند الجفري:

ثم لم يكتف بافتراءاته؛ بل زاد عليها بزعمٍ جديد وبحكمٍ غير رشيد؛ وهو أن محبة النبي ﷺ لا تكون باتِّباعه، فيقول: إن هذا القول باطل باطل باطل - هكذا بلفظه- رادًّا على كل نصوص كتاب الله وسنة رسول الله، ويدعي أن المحبة هي شعور ووجدان وشوق وأنين وتذكار، وهذا عنده ثمرة المحبة، وهي ليست في اتباعه ﷺ .. فأقول: هذه هي المحبة التي أردته إلى ظلمات التصوف؛ التي أوصلته إلى الغلو في النبي ﷺ، فجعلته يقول : مدد يا رسول الله !

المحبة عند أهل السنة لرسول الله ﷺ:

أما أهل السنة والجماعة فهم يؤمنون أن المحبة الموصلة إلى محبة الله، هي اتباع النبي ﷺ، وهي طاعته فيما أمر، والانتهاء عما نهى عنه وزجر، وتصديقه فيما أخبر، وألا يُعبد الله إلا بما شرع.

وهذا في قوله تعالى : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(آل عمران: ٣١)، وفي قوله تعالى: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾(النساء: ٨٠)، ففي هاتين الآيتين دليل على أن من لم يتبع الرسول، وادعى محبته لله فهو كاذب في دعوته؛ لأن عصيان الرسول هو عصيان الله، وعصيان الله ينافي محبته، وفي قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (النساء: ٦٤)، فالطاعة هي الاتباع لا غير، وهي من لوازم شهادة أن محمدًا رسول الله، وهي توحيد النبي ﷺ بالاتباع، وهذه الطاعة التي أمرنا الله بها هي حقيقة إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام، فالله سبحانه وتعالى لم يرسل الرسل إلا ليطاعوا بإذنه، فتكون الطاعة لهم لا

لغيرهم؛ لأن طاعتهم طاعة مرسلهم سبحانه وتعالى، لهذا يقول الله تعالى: ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾(النساء: ٦٥).

فتحكيم الرسول ﷺ هو اتباعه في حكمه، وطاعته فيما قضى؛ برضى وانشراح صدر، دون حرج ولا ضيق، بل نطيع ونحب ما أمر به، وهذا هو حال الاتّباع الموصل إلى مرافقته ﷺ مع المُنْعَم عليهم كما قال الله تعالى: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا**﴾(النساء: ٦٩).

وكما قيل: إن المُحب لمن يُحب مطيع، فلا فلاح إلا بمرافقة المُنْعَمِ عليهم، ولا سبيل إلى مرافقتهم إلا بطاعة الله والرسول، ولا سبيل إليها إلا بمعرفة سنة النبي ﷺ وما جاء به، فدل على أن مَن عدِم العلم بسنة النبي ﷺ وما جاء به؛ فليس له مرافقة هؤلاء المنعم عليهم من سبيل، بل هو ممن يعض على يديه يوم القيامة ويقول: ﴿ **يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً**﴾(الفرقان: ٢٧).

فلن يلحق أحد من الخلق بأولئك الأطهار، حتى يكون هواه تبعًا لما جاء به النبي ﷺ، فيتبع ولا يبتدع، فالمرء مع من أحب كما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ، والمحبة هي الطاعة الموصلة إلى المحبوب، وإلا ﴿ **فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ**﴾ (القصص: ٥٠)، فاتباع الهوى هو طاعة الهوى، ولكني أقول للجفري وأتباعه وللمتعاطفين له: هذا حكم الله، فهل نردّه بالهوى والاصطلاحات والآراء التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ**﴾ (المائدة: ٥٠).

تسويغ الجفري للبدع وزعمه أنها ليست كلها ضلالة بتأويله الفاسد:

ولم يكتف الجفري في نشر جهله وبث ضلاله في الأشرطة، فيدعي أن البدع ليست كلها ضلالة، رادًّا على رسول الله ﷺ القائل: « **إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل**

محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة » فينسخ الجفري قول النبي ﷺ بزبالة فهمه فيقول: إنه ليس كل محدثة بدعة، وليست كل بدعة ضلالة، ويستدل بقصّة الخضر - عليه السلام- وخَرْقه للسفينة، كما في سورة الكهف، فيقول: إن الخضر -عليه السلام- ما خرق السفينة إلا لعلمه أن الملك لا يأخذ إلا السفينة الصالحة لا الخربة، ويتأول قوله تعالى: ﴿**يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا**﴾(الكهف: ٧٩). والكل ليس معناه كل السفن، ولكن الصالحة منها.

فنقول ردًّا على هذا التأويل الفاسد، والتحريف الباطل، والقياس مع الفارق:

إن هذه الآية الكريمة المحكمة تدل على أن السفينة الصالحة هي التي كانت يأخذها الملك، فلهذا خرقها الخضر -عليه السلام- ليعيبها، ولهذا كان من قراءة هذه الآية: ﴿أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبًا﴾ وهي قراءة ابن عباس .

والقصة قد بينها النبي ﷺ ، وهي موجودة في صحيح البخاري وفي عدة مواضع من كتابه الصحيح؛ فهي في كتاب العلم، وكتاب التوحيد، وفي كتاب الإجارة، وفي الشروط، وفي كتاب التفسير، وفي بدء الخلق، وفي أحاديث الأنبياء، وفي الأيْمان والنذور، والقصة موجودة في مسند الإمام أحمد، وفي سنن أبي داود، والترمذي، وأيضا في صحيح مسلم في كتاب الفضائل، وغيرهم؛ كلهم يذكرون هذه القصة، ويذكرون السفينة في تفسير النبي ﷺ ، وهي السفينة الصالحة، ولم يفهم أحد من أهل التفسير هذا التفسير الذي فهمه الجفري، بأن ليس كل بدعة ضلالة، وإنما هناك بدعة حسنة، وأن الرسول ﷺ لم يكن جادًّا بما يقول في أحاديثه المحذرة من البدع ، مثل قوله ﷺ : «**إن كل محدثة بدعة**» ، وقوله: «**إياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة**»، وقوله: «**من عمل عملا ليس عيه أمرنا فهو رد**» ، وقوله: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» وغيرها الكثير من الأحاديث المحذرة من البدع. . . .

انظر رسالتي (البدع وأثرها السيئ):

فهل بالله عليكم! هل نستطيع أن نستدرك على رسول الله ﷺ ، فنقول: إنه ليس كل محدثة بدعة، أو نقول: عليكم بمحدثات الأمور فإنها ليست كلها ضلالة، أو نقول: اعملوا أعمالاً ليست من الدين؛ لتتقربوا بها إلى رب العالمين فإنها غير مردودة عليكم؟! فهل بالله عليكم أكثر من هذا الاستدراك استدراك؟

يا أهل الإسلام أفيقوا ! ويا أمة الإسلام احذروا !:

فيا أهل الإسلام ! فلتتحرك غيرتكم على دينكم، وليتحرك حبكم الحقيقي لنبيكم، فسنة النبي تُحارب بهذا الهُراء بدعوى حب النبي ﷺ ، ودين النبي ﷺ يُبَدّل بدعوى الذوبان في الذكر الموصل إلى نور الذكر، وأن نور الذكر هو الوصول إلى علم الله الخاص بالله، الذي يخترق الغيوب، وعلمَ علام الغيوب.

فيا أمة الإسلام ! الدين يحارب باسم الدين، وحب الله يُعمل به بما يبغضه الله والرسول، فيا أمة الإسلام! حاربوا البدع وأهلها، فإن محاربتها وأهلها جهاد أكبر من جهاد غير المسلمين، فتبليغ السهام في نحور العدو يفعله كثير من الناس، أما تبليغ السنن ومحاربة البدع لا يفعله إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم، أسأل الله أن يجعلنا منهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» (٤/ ١٣): «فالرّاد على أهل البدع مجاهد، حتى كان يحيى بن يحيى يقول: الذّب عن السنة أفضل من الجهاد ». ا هـ.

وقال الحسن البصري -رحمه الله- : «زعم قوم أنهم يحبون الله؛ فابتلاهم الله بهذه الآية ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾»(آل عمران: ٣١). ا هـ.

فنحن مأمورون بطاعة الرسول ﷺ كما تقدم، وطاعته هي اتباعه الموصل إلى محبة الله تعالى، فالرسول يقول: «**إياكم ومحدثات الأمور**» فلزم منا طاعته، وإلا الخسران المبين، قال النبي ﷺ : « **كلكم يدخل الجنة إلا من أبى**» قالوا: ومن يأبى يا رسول لله ؟! قال: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**» وقد وعظ النبي ﷺ موعظة وأوصى بها فقال: «**قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**» وفي رواية: «**فعليكم ما عرفتم من سنتي**» .

فإذ كانت هذه وصية رسول الله ﷺ ؛ فكيف نستدرك أو نقبل من يستدرك عليه، ونقول مقولة الشؤم: إن هناك بدعة حسنة فاتت النبي ﷺ ، ولم يعمل بها ليتقرب بها إلى ربه، أليس هذا انتقاص من قدر الرسول ﷺ الذي لا يدانيه بمعرفة قدر ربه أحد؟ أليست البدع هي دين غير دين الإسلام؛ لأنها شرع لم يشرعه الله ولم يأذن به؟ أليس الدين هو ما شرعه الله على لسان رسول ﷺ من العقائد والعبادات والمعاملات؟ أليس الله جل ثناؤه هو الذي رسم لعباده في نوع العبادات رسومًا لبيان كميتها وكيفيتها؟ أليس واجب على المسلمين أن يقفوا عندها ولا يتعدوها؟ ومن يتعداها فقد تعدى حدود الله،

أليس الله هو الأعلم بما يصلح الأرواح ويزكي النفوس، والمرجع إليه وحده وإلى رسوله رسول الهدى ﷺ؟ أليس المرجع في بيان العبادة وكيفيتها إلى الله والرسول، وليس لأحد كائنًا من كان، أن يخترع عبادةً أو يحدث فيها هيئة من عند نفسه، بزعم التقرب إلى الله؟ إذن فلماذا هذه البدع؟ ولماذا هذه المشاقة لله وللرسول؟

فوالله إن هذا لهو الضلال المبين، فالزيادة على ما شرع الله والرسول بدعة ضلالة، كما أن النقص في الشرع تفريط، وكلاهما ضلال وظلام يصل بأمة الإسلام إلى تدهور وتهور، ينتج عنه تأجيج نار الخلاف والخصومات الذي يبعثر الجهود، والذي يغلّب العدو على المسلمين، والواقع خير شاهد على الذي أقول، والله المستعان... قال الله تعالى: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾(النور: ٦٣).

زعم الجفري أن الرسول ﷺ يمكن أن يُرى يقظة:

ومن المصائب التي جاء بها الجفري في أشرطته؛ أنه ادعى أنه من الممكن أن يُرى النبي ﷺ يقظة ! وهو يستدل بحديث بتره ولوى عنقه كعادته، فالحديث الذي استدل به ليس فيه أن من رآه فسوف يراه يقظةً، وحقيقة هذا الحديث أنه من رأى النبي ﷺ في المنام وبالأوصاف التي وُصِفَ لنا فيها ﷺ في أحاديث الشمائل؛ فهو هو النبي ﷺ؛ لأن الشيطان لا يتمثل به .

فجاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «**من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، أو لكأنما رآني في اليقظة**» ويؤيده قوله في صحيح مسلم أيضًا: «**من رآني فقد رأى الحق**» أي هو الرسول ﷺ وليس الشيطان، أما قول الجفري في هذا؛ فهو من تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، وتحريف الغالين.

وأما ما يعتقده أهل السنة والجماعة أن النبي ﷺ في حياة بَرْزَخِيَّة، وفي عليين، لا يأتي إلى الحياة الدنيا، ولا يعلم ﷺ ما يحدث من حوله من أمور الدنيا، إلا السلام عليه ﷺ، وحتى السلام فهو يُبَلَّغَه؛ وإن كان المسلِّم عليه في أقصى بقاع الدنيا، ولا يسمعه من المسلِّم عليه؛ وإن كان المسلم يقف بجانب قبره.

وأما الأحاديث التي تقول غير هذا فهي أحاديث موضوعة مكذوبة عليه، مثل حديث من صلى عليّ عند قبري سمعته، ومن صلى عليّ نائيًا وكل بها ملك يبلغني. فهذا حديث موضوع ذكره ابن الجوزي في «المَوْضوعات»، فالنبي ﷺ في برزخ لا يعلم ما

يحدث من حوله، ولا يعلم ما أحدثه المحدثون، ولا يعلم شيئًا من أحوال الدنيا كما مر معنا من الآيات.

ونذكر هنا حديث الحوض، والذين يُذادون ويُبْعَدون عنه من أمة محمد ﷺ، فيقول النبي ﷺ: «**أُمَّتي أُمَّتي، فيقول الملائكة: لا تدري ماذا أحدثوا بعدك، فيقول: سحقًا سحقًا..**».

فالحديث فيه دلالة واضحة أنه لا يدري ماذا يحدث في هذه الدنيا، فالملائكة يقولون له: لا تدري، والمبتدعة يقولون: يدري، فأي الفريقين أحق بالتصديق؟!

فالنبي ﷺ ما يعلم إلا ما علّمه الله في أثناء حياته؛ من أشراط الساعة، وغيرها من الغيبيات الواردة في الأحاديث الصحيحة، وبوحي من الله تعالى، أما غير هذا فلا يجوز لأي أحد أن يدَّعيه، وإلا قال على الله بغير علم، وافترى على الله كذبًا، والله بالمرصاد.

البدع المُحَرَّمة عند الجفري:

ومن عجائب الجفري أنه يدعي أن البدع هي المعاصي، من تبرج وغيرها من المعاصي المعروفة، وهذا الزعم شنشنة نعرفها من أخزم، فهو يريد من هذا الزعم أن يبرر البدع التي أحدثها المحدثون؛ ليلبسها على الناس حتى يظنوا أنها من الدين، وهي أبعد ما تكون منه، فالمعاصي كانت في عهد النبي ﷺ وأُقيمت عليها الحدود، أما البدع فلم تكن في عهد النبوة، وإذا ظهر منها شيء أبطلها النبي ﷺ كما في حديث «**ما بال أقوام**» محذرًا من الزيادة في الدين بالرأي، أو الاستحسان، فكان ﷺ يحذر من الوقوع في البدع وإن كان لها أصل في الشرع كما في «**ما بال أقوام**» فكيف بالبدع التي ليس لها أصل في الشرع، وهي البدع الحقيقية، والأولى هي الإضافية.

تحذير السلف الصالح رحمهم الله من البدع:

أما السلف فقد كانوا يحذرون من البدع؛ كما كان ﷺ يحذر منها، فهذا ابن مسعود رضي الله عنه كان يقول: «الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة»، وقال سفيان الثوري: «البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ المعصية يُتاب منها، و البدعة لا يتاب منها»، وهذه المقولة من هذا العالم الجهبذ مقولة حق، وعلم وفي غاية الدِّقة؛ لأن العاصي يعلم أنه يعمل معصية، أما المبتدع يظن أنه يحسن صنعًا، ويظن أنه على طاعة، فهو لا

يظن أنه يعمل إثمًا، فهو لا يتوب من إثم يظن أنه حسن، وهو ممن ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، لهذا كانت البدعة أحب إلى إبليس من المعصية.

وقال الفُضَيْل بن عياض: «إذا رأيت مبتدعًا في طريق فخذ في طريق آخر، ولا يُرفع لصاحب بدعة إلى الله عمل، ومن أعان صاحب بدعة؛ فقد أعان على هدم الإسلام» وهذا القول أيضًا في غاية الدقة، فنحن نرى كثيرًا من الناس يماشي أصحاب البدع، بزعم أنه سوف يردهم إلى السنة بزعمه، فيخرج معهم في سفراتهم المبتدعة، ويزورهم ويُآخيهم، ويتودد إليهم، و.. و.. إلخ، ثم ما لبث إلا أن صار معهم ومنهم، ويدافع عنهم، وينشر لهم، فيحمل معهم من أوزارهم، هذا هو داء المبتدعة ومن تساهل معهم، فالمرء مع من أحب، وهو لمن أحب.

فيا أخي المسلم إيّاك أن تجالس أهل البدع، أو أن تروج لهم، أو تقرأ لهم، أو تتساهل معهم، وإن زعموا أنهم من أهل السنة، كما زعم الجفري في أشرطته، وكما زعم موزعوها.

فنحن ولله الحمد قد ناصحناهم وحاققناهم، ودققنا كلامهم، فثبت لنا خطْل كلامهم، وفشل مرامهم، وقسناه بميزان السلف الصالح - الكتاب والسنة - فأظهرنا سوءاتهم، وكشفنا للناس بهرجاتهم. فأسأل الله أن يرينا الحق حقًّا ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه، وأساله تعالى أن يوفق المسلمين إلى الفهم الصحيح لهذا الدين والعمل به، فالله على ذلك قدير وبالإجابة جدير.... وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وسلم.

وكتبه

أبو ماجد أحمد بن عبد القادر تركستاني

٦ / ٦ / ١٤٢١ هـ

إضـــافـــة:

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فلقد استمعت إلى بعض تسجيلات للجفري جديدة؛ سماها «رحلة الإيمان» وهي تُعرض في القنوات الفضائية الفضائحية الخزعبلاتية؛ أضاف فيها بدعًا وضلالات سوف يحمل أوزارها، وأوزار من عمل بها، إلاّ أن يتوب إلى الله، ويرجع عنها؛ منها: الغلو في آل بيت النبي ﷺ على الطريقة الشيعيَّة القبورية وافترائه على الرسول ﷺ.

ترى الجفري في محاضرته هذه يغلُو في آلِ بيتِ النبي ﷺ وآثارِهم؛ محاكيًا في هذه المَحَبّة الشِّيعة، الذين وصلوا في غُلُوِّهم بآل البيت إلى عبادتهم في أضرحتهم وصلواتهم، فيشجع الجفري العامة إلى شَدِّ الرِّحال إلى قبورهم، كقبر البدوي؛ بِحُجّة أنه من آل بيت النبي، وكذا قبر السيدة زينب، ونفيسة، وقبر الحسين، والتمسح بأعتاب قبورهم، وكذا قبر الجيلاني والرّفاعي والدّسوقي، وغيرهم، مصرحًا بعقيدته تجاههم في طلب المدد منهم.

افتراء الجفري على الرسول ﷺ بزعمه أنه شد الرحال إلى القبور في قصة الإسراء:

ولم يكتفِ الجفري بهذه العقيدة القبورية؛ بل اتَّهَمَ النبيَّ ﷺ بأنه شد الرحال إلى القبور، ويستدل بقصة الإسراء والمعراج، وأن النبي ﷺ شد فيها الرّحل إلى قبر موسى-عليه السلام- فرآه يصلي في قبره، هكذا يوهم العامة المساكين الذين سوف يُسْأل عنهم في يوم لا ينفع فيه الندم، إلا من جاء فيه وهو من الشِّرك سَلِم.

وقصة الإسراء ليس فيها أيّ شيء مما ادّعاه الجفري؛ لا شدّ رحل، ولا توسّل؛ كما أوضحناه في الرد الأول المتقدم الذكر، فحاشاه ﷺ أن يشد رحله إلى قبر، أو أن يتوسل بتوسل الجفري المضل، وهو ﷺ يقول: «**لا تُشَدُّ الرِّحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجدي هذا، ومسجد الأقصى**» متفق عليه، فهذا قوله ﷺ، وقارن بينه وبَين قول الجفري الذي يريد من النَاس قولَه، ويُترك قول الصادق المصدوق ﷺ، فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول: «**لا تُشَدّ الرِّحال**» والجفري يقول: بل تُشَدّ الرحال، فأيّهما نتبع، الحبيب ﷺ، أم الجفري المدَّعى بأنه حبيب؟! ما لكم لا تنطقون؟؟!!

فنحن والذي نؤمن به - ولله الحمد - وندعو - بل ونأمر- الناس إليه: هو اتباع الحبيب الحقيقي عليه أفضل السلام وأزكى التكريم، فإذا قال؛ فنحن نقول بقوله، أما مخالفيه، فنردّهم ولا كرامة، فليس في ذلك ندامة.

معنى: «**لا تُشَدُّ الرِّحال**»:

أما عن معنى قوله ﷺ: «**لا تُشَدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ...**» فالاستثناء هنا مفرغ والتقدير: لا تشد الرحال إلى موضع، ولازمه منع السفر إلى كل موضع غيرها؛ لأن المستثنى منه في المفرغ مقدر بأعم العام، لهذا كان استنكار بصرة بن أبي بصرة لأبي هريرة على إتيانه الطور، فدل على أنه يرى حمل الحديث على ظاهره وعمومه، فوافقه أبو هريرة رضي الله عنه، وليس كما لبَّس الجفري على مستمعيه ومريديه؛ فقال: إن أبا هريرة راوي حديث: «**لا تشد الرحال ..**» قد شدّ الرحال إلى الطور باترًا هذا الأثر بطوله، ولم يذكر إنكار بصرة له، وموافقة أبي هريرة لأبي بصرة، وهذا الفعل يُعتبر من الخيانة العلمية، وهذا كثير عند الجفري، فتراه يبتر النصوص؛ ليحرف المراد منها، حتى توافق مشربه الصوفي القبوري، وقد تقدم الكلام عنه في هذا، ومثل الجفري في مثل هذه الأمور؛ كمثل الذي يقرأ قوله سبحانه تعالى: ﴿**فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ**﴾ ولا يكمل باقي قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ**﴾(الماعون: ٤، ٥) . فعليه من الله ما يستحقه.

أما الذي يعتقده أهل السنة والجماعة في قوله ﷺ: «**لا تُشَدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد.. الحديث**» فهذا يعني أنه ليس في الأرض بقعة لها فضل لذاتها، حتى تُشَدّ الرحال إليها لذلك الفضل غير البلاد الثلاثة، أما غيرها من البلاد فلا تُشَدُّ الرحال إليها لذاتها، بل لزيارة، أو جهاد، أو علم، أو تجارة، أو نحو ذلك، فالسفر حينئذ يكون لطلب تلك الحاجة حيث كانت، لا لخصوص المكان، فالمساجد الثلاثة هي مساجد الأنبياء، وقصة الإسراء ليس فيها شد رحل، فضلاً من أن يكون فيها شد رحل إلى القبور. فإن كان فيها شدٌّ للرحل؛ فهو لأحد المساجد الثلاثة؛ وهو المسجد الأقصى، كما قال الله تعالى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ**﴾ (الإسراء: ١).

فالمسجد الأقصى تُشَدُّ الرحل إليه؛ لفضله الوارد في الأحاديث الثابتة عن الحبيب ﷺ؛ بحيث جعل الصلاة فيه بمائتين وخمسين صلاة فيما دونه من المساجد، إلا المسجدين؛ المكي والمدني، بل وجعل شد الرحال إليه للصلاة فيه تُرجع العبد من خطيئته كيوم ولدته أمه كما ثبت في الحديث، فأسأل الله تعالى أن يردّه للمسلمين ردًّا جميلاً، ولكن هذا الرد لن يكون حتى يرجع المسلمون إلى دينهم الذي ارتضاه لهم، وهو الدين الكامل الذي ليس بحاجة إلى زيادة، فضلاً في أنه لا يجوز فيه النقص، فهو دين قد أتم الله به النعمة، ورضيه للعباد، ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾(آل عمران: ١٩)، فالإسلام هو الذي جاء من عند الله، والبدع ما جاءت من الله، بل هي من صُنع الناس، فما كان من صُنع الناس، فهو ليس من الإسلام؛ لأنه ليس من عند الله ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ (آل عمران: ٨٥).

المنع من اتخاذ قبر النبي ﷺ عيدًا أو مسجدًا، فكيف بقبر غيره؟!

فنقول نحن للجفري وطَقَّته: أيْنَ الفضل في شد الرحال إلى القبور المذكورة التي تدعون إليها، أنتم وصاحبكم الجفري الفاتح لأبواب الشرك إلى مصراعيها ؟

بل نقول وبقوة: إن الذي يعتقده أهل السنة والجماعة: أن شد الرحال إلى قبر النبي ﷺ لا يجوز؛ لكون النبي ﷺ نهى عن شدّ الرحال إلاّ إلى المساجد الثلاثة، بل نهى ﷺ أن يُتَّخَذَ قبره عيدًا؛ أي: يُقصد في أوقات معيّنة، ومواسم معروفة، للتعبد عندها كالمساجد الثلاثة، أو كالمسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة، التي جعلها الله عيدًا في كل سنة مرة يجتمع الناس فيها من كل فج عميق، يَنْتابونها للدعاء والذكر والمناسك، فقال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا**».

وفي هذه المناسبة أذكر قصة ثابتة بسند مسلسل بآل البيت، لعل من يحبهم؛ يتبعهم في عقيدتهم واتجاههم ومنهجهم واهتمامهم، لا كالذي يدعي أنه منهم، ثم لا يتبعهم في عقيدتهم، ولا في اتجاههم، ولا في منهاجهم، ولا في اهتمامهم؛ بل بالمخالفة المجازفة والافتراء عليهم رضي الله عنهم، بل وعلى نبيهم ﷺ.

فعن علي بن الحسين أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ،

فيدخل فيدعو، فدعاه فقال: ألا أحدثك بحديث سمعته من أبي عن جدي رسول الله ﷺ؟ قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وصلوا عليَّ، فإن صلاتكم وتسليمكم تبلغني حيث كنتم**» أخرجه ابن أبي شيبة، وفيه أيضًا عن سهيل بن أبي سهيل أنه رأى قبر النبي ﷺ فالتزمه ومسح، قال: فحصبني حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب فقال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تتخذوا بيتي عيدًا، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر، وصلوا عليَّ حيثما كنتم، فإن صلاتكم تبلغني**» وكذا أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه»، والحديث أصله في أبي داود (١/ ٣١٩) وفي «المسند» (٢/ ٣٦٧) على شرط مسلم، فإذا كان قبر النبي ﷺ - وهو أفضل قبر على وجه الأرض - قد نهى ﷺ أن يُتَّخذ عيدًا؛ فقبر غيره أولى بالنهي كائنًا من كان، فماذا يُقال للجفري الذي يحث الناس على اتخاذ القبور أعيادًا، ويُشَدُّ إليها الرحال، أليس هذا هو الضلال، الذي ما بعده اضمحلال؟ ثم لننظر إلى من هم آل بيت النبوة، كيف فهموا وضبطوا هذه المسألة، وهم الذين لهم من رسول الله ﷺ قرب النسب وقرب الدار، فكانوا من أعرف الناس بِسَدِّ الذرائع الموصلة إلى المنكرات؛ إذ فهموا من رسول الله ﷺ معنى قوله: «**لا تتخذوا قبري عيدًا**» أي مكانًا يُقْصد الاجتماع فيه، وإتيانه للعبادة عنده، ففهموا رضي الله عنهم أن اعتياد قَصْدِ المكان المعين، وفي وقت معين؛ عائد بعود السَّنَة أو الشهر أو الأسبوع هو بعينه معنى العيد، لهذا نهوا رضي الله عنهم من رأوه من الناس من يفعل ذلك بقبر سيد الخلق، فكيف بقبر غيره ممن دعا الجفري بشد الرحال لهم؟! فتأمل رعاك الله كيف يكون التلبيس على ناس ليس عندهم كثير علم في المسائل العلميَّة فضلاً عن المسائل العمليَّة؟

كلام سَلَفِيّ نفيس لابن تيمية السَّلَفِي:

وبهذه المناسبة أذكر كلامًا نفيسًا في هذه المسألة، لشيخ الإسلام ابن تيميَّة السَّلفي رحمه الله، في كتابه المِعْطار «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم»، قال - رحمه الله- (٢/ ٥٥٧): (... ووجه الدَّلالة أن قبر النبي ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض، وقد نهى عن اتخاذه عيدًا، فقبر غيره أولى بالنهي كائنًا من كان، ثم قرن ذلك بقوله ﷺ: «**ولا تتخذوا بيوتكم قبورًا**» أي: لا تعطلوها عن الصلاة فيها، والدعاء والقراءة، فتكون بمنزلة القبور، فأمر بتحري العبادة في البيوت، ونهى عن تحريها عند القبور، عكس ما يفعله المشركون من النصارى ومن تشبه بهم.

ثم قال: إن أفـضل التابعين من أهل بيتـه؛ علي بن الحسين رضي الله عنه ، نهى ذلك الرجل أن يتحرى الدعاء عند قبره، واستدل بالحديث الذي سمعه من أبيه الحسين عن جده علي. وهو أعلم بمعناه من غيره، فتبين أن قصده أن يقـصد الرجل القبر بالسلام عليه ونحوه عند غير دخول المسجد، ورأى أن ذلك من الدعاء ونحوه اتخاذٌ له عيداً.

وكذلك ابن عمه حـسن بن حسن شيخ أهل بيته، كره أن يقصـد الرجل القبر للسلام عليه ونحوه عند دخـول المسجد، ورأى أن ذلك من اتخاذه عيـداً، فانظر هذه السّنة كيف مخـرجهـا من أهل المدينة وأهل البـيت، الذين لهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم قـرب النسب، وقرب الدار؛ لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم، فكانوا له أضبط.

والعيد إذا جاء اسماً للمكان فهو المكان الذي يُقصد الاجتماع فيه، وإتيانه للعبادة عنده أو لغيـر العبادة، كـما أن المسجد الحـرام ومنى ومزدلفة وعـرفة جعلهـا الله عيداً، مـثابة للناس، يجتمعون فيها ويَنْتابونها، للدعاء والذكر والنّسك. وكان للمشركين أمكنة ينتابونها للاجتـماع عندها، فلما جاء الإسـلام محا ذلك كله، وهذا النوع من الأمكنة يدخل فـيه قبور الأنبياء والصالحين.

ثم قال الشيخ -رحمه الله -: ولهذا كره مالك رحمه الله وغيره من أهل العلم لأهل المدينة، كلما دخل أحدهم المسجد أن يجيء فيسلم على قبر النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه.

قال: وإنما يكون ذلك لأحدهم إذا قدم من سـفر، أو أراد سفراً ونحو ذلك، ورخص بعضـهم في السلام عليـه إذا دخل المسجـد للصلاة ونحـوها، وأما قـصده دائمـًا للصلاة والسلام فما علمت أحداً رخص به لأن ذلك نوع من اتخاذه عيداً. . .

قال: فخـاف مالك وغيره أن يكون فـعل ذلك عند القبر كل ساعـة، نوعًا من اتخاذ القبر عيداً.

وأيضًا فإن ذلك بدعة، فقد كان المهاجرون والأنصار على عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم يجيئون إلى المسـجد كل يوم خمس مرات يصلون، ولم يكونوا يأتون مع ذلك إلى القبر يسلمـون عليه؛ لعلمهم رضي الله عنهم بما كان النبي صلى الله عليه وسلم يكـرهه من ذلك، وما نهاهم عنه، وأنهم يسلمـون عليه حين دخـول المسجـد والخروج منه، وفي التـشهـد كمـا كانوا يسلمون عليه كذلك في حياته . . .

ثم قال: ومـا أحسن مـا قال مالك: لن يصلح آخـر هذه الأمة إلا مـا أصلح أولها، ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بـعهود أنبيائهم، ونقص إيمانهم؛ عـوضوا ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك وغيره، ولهذا كرهت الأئمة استلام القبر وتقبيله، وبنوه بناء منعوا الناس أن يصلوا إليه . . .

ثم قال: وذكرنا عن أحـمد وغيره أنه أمر من سلم على النبي ﷺ وصاحـبيه، ثم أراد أن يدعو أن ينصـرف فيستـقبل القبلة، وكذلك أنكر غـير واحد من العلماء المتـقدمين كمالك وغـيره، ومن المتأخرين مـثل أبي الوفاء بن عقيل، وأبي الـفرج بن الجوزي، ولا أحفظ لا عن صـحاب ولا عن تابع، ولا عن إمـام معروف أنه اسـتحب قـصد شيء من القـبـور للدعـاء عنده، ولا روى أحـد في ذلك شـيـئًـا، لا عن النبي ﷺ ، ولا عن أصحابه، ولا عن أحد من الأئمة المعـروفين، وقد صنف الناس في الدعاء وأوقاته وأمكنته وذكروا فيه الآثار، فـما ذكر أحد منهم في فضل الدعاء عند شيء من القبـور حرفًا واحدًا فيـما أعلم، فكيف يجوز والحـالة هذه أن يكون الدعاء عندها أجـوب وأفضل؟! والسلف تنكره ولا تعرفـه ، وتنهى عنه ولا تأمر به؟! ثم قال -رحمـه الله-: إن اعتقاد اسـتجابة الدعاء عندها وفضله، قد أوجب أن تنتاب لذلك وتقصـر، وربما اجتمع عندها اجتماعات كثيـرة، في مواسم معينة، وهذا بعـينه هو الذي نهى عنه النبي ﷺ بقوله: « **لا تتخذوا قبري عيدًا**» وبقوله ﷺ : «**لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبـور أنبيائهم مساجد**» وبقوله ﷺ : «**لا تتخـذوا القبـور مساجـد ، فإن من كـان قبلكم كانوا يتـخذون القـبور مساجد ، فإني أنهاكم عن ذلك**» حتى إن القبور يجتمع عندها في يوم من السنة، ويُسافر إليهـا لإقامة العـيد: إما في المحـرم، أو رجب، أو شعبـان، أو ذي الحجة، أو غـيرها. وبعضها يُجـتمع عنده في يوم عاشوراء! وبعضها في يوم عرفـة، وبعضها في النصف من شعبان، وبعضها في وقت آخر، بحيث يكون لها يوم في السنة تُقصد فيه، ويُجتمع عندها فيه؛ كـما تُقصد عرفة أو مـزدلفة ومنى، في أيام معلومة من السنة، وكمـا يقصد المصلي المصر يوم العيدين، بل ربما كان الاهتمام بهذه الاجتماعات في الدين والدنيا أهم وأشد.

ومنها مـا يسافـر إليه من الأمصـار، في وقت معين أو في وقت غـير معين؛ لقـصد الدعاء عنده، والعبادة هناك، كما يقصد بيت الله لذلك، وهذا السفر لا أعلم بين المسلمين خلافًا في النهي عنه، إلا أن يكون خلافًا حادثًا. . .

ثم قال -رحمه الله-: وفي الجملة: هذا الذي يُفعل عند هذه القبور، هو بعينه الذي نهى عنه رسول الله ﷺ بقوله: «**لا تتخذوا قبري عيدًا**» فإن اعتياد قصد المكان المعين، وفي وقت معين، عائد بعود السنة أو الشهر، أو الأسبوع؛ هو بعينه معنى العيد.

ثم ينهى عن دقّ ذلك وجله، وهذا هو الذي تقدم عن الإمام أحمد إنكاره لما قال: «قد أفرط الناس في هذا جدًّا وأكثروا» وذكر ما يُفعل عند قبر الحسين. وقد ذكرت فيما تقدم: أنه يُكره اعتياد عبادة في وقت إذا لم تجئ بها السُّنة، فكيف اعتياد مكان معين في وقت معين؟ ويدخل في هذا: ما يُفعل بمصر، عند قبر نفيسة وغيرها، وما يُفعل بالعراق عند القبر الذي يقال: إنه قبر علي ﷺ، وقبر الحسين، وحذيفة بن اليمان، وسلمان الفارسي، وقبر موسى بن جعفر، ومحمد بن علي الجواد ببغداد وعند قبر أحمد ابن حنبل، ومعروف الكرْخي، وغيرهما، وما يُفعل عند قبر أبي يزيد البسطامي، وكان يُفعل نحو ذلك بحرّان، وعند قبر يسمى قبر الأنصاري، وإلى قبور كثيرة، في أكثر بلاد الإسلام لا يمكن حصرها . . .

ثم قال -رحمه الله-: فأما اتخاذ قبورهم أعيادًا؛ فهو مما حرمه الله ورسوله، واعتياد قصد هذه القبور في وقت معين، أو الاجتماع العام عندها في وقت معين؛ هو اتخاذها عيدًا، كما تقدم، ولا أعلم بين المسلمين من أهل العلم في ذلك خلافًا، ولا يغتر بكثرة العادات الفاسدة، فإن هذا من التشبه بأهل الكتابين، الذي أخبرنا النبي ﷺ أنه كائن في هذه الأمة. وأصل ذلك: إنما هو اعتقاد فضل الدعاء عندها، وإلا فلو لم يقم هذا الاعتقاد بالقلوب؛ انمحى ذلك كله، فإذا كان قصدها للدعاء عندها يجر هذه المفاسد كان حرامًا، كالصلاة عندها وأولى، وكان ذلك فتنة للخلق، وفتحًا لباب الشرك، وإغلاقًا لباب الإيمان) .اهـ

قلت: انظر يا رعاك الله إلى كلام ابن تيمية وتأمله، وكيف يحتج بالأحاديث الصحيحة؛ فيحرم شدّ الرحال إلى القبور، وإن كان قبر خير الخلق ﷺ، مع أنه رحمه الله لا يقول بتحريم زيارة قبر النبي ﷺ مطلقًا، بل يقول باستحبابها، وإنما يقول: تحريم شد الرحال إليها بحديث الباب، وقد يتوهم بعض الجهلة أنه يقول بتحريم الزيارة مطلقًا، وهذا خطأ عليه، كما وضح هو بنفسه، كما قرأت في أعلاه، فعلى كل المسلم أن

ينوي المسجد النبوي عند شد الرحل، فإذا وصل هناك ، توجه للزيارة ؛ لأنها مشروعة في أصلها إجماعًا، فهذا أسلم وأبرأ للدين، قال ﷺ : « **من اتقى الشبهات ؛ فقد استبرأ لدينه وعرضه** » .

مقارنة بين كلام ابن تيميّة الموحِّد، وكلام الجفري المُشْرِك:

تأمل - أخي المسلم! - كلام ابن تيمية النفيس؛ ففيه أعظم دليل على سد الذرائع الموصلة إلى الشرك الذي وصل إليها الجفري بعد مخالفته لحديث رسول الله ﷺ ؛ بحيث أوصلته هذه الذريعة إلى جواز الدعاء عند المقبورين، وطلب منهم الشفاعة والمَدَد، وأنهم سبب لحصول مسبب، وأنهم ينفعون بإذن الله؛ محاكيًا المشركين الأوائل كما تقدم بيانه في أعلاه، بظنه أنهم يَسْمَعون ويُسْمِعون، ثم قارن بين كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وقول الجفري، الذي يردّ فيه على من زعم أنه منهم، ويتقرب إلى الله بحبهم - علي وأبنائه ﷺ - فالجفري يقول: إن حديث النهي عن شد الرحال إلى المساجد الثلاثة ليس على ظاهره؛ ليصرف الحديث الصحيح الصريح، عن منطوقه الواضح بلا دليل صحيح صريح يدعو إليه، بزعم أنه من علماء النحو واللغة، فيؤوِّله على مزاجه وطريقته الجِفْرِيَّة؛ ليروج عقيدته القبورية، وإن كانت مخالفة لفهم رواته؛ علي وآله ﷺ ، الذين كانوا من أشد الناس على الحق وعلى حماية جناب التوحيد، الذي عنه الجفري بعيد، وقد تقدم نقل فهمهم الذي وافق الحق، الذي ما بعده إلا الضلال.

فنقول: هل الجفري هو المحب لآل البيت ومن وافقه؟ أم شيخ الإسلام ابن تيمية ومن وافقه من العلماء المعروفين المحققين الفاهمين، المعروفين بالتعمق في الفقه والفهم على مراد الله ومراد رسوله ﷺ ؟

أم نقول مقولة السوء التي سمعناها منه - أي الجفري -: إن الذي يخالف عقيدته الجفريَّة في القبور؛ عنده حساسية من القبور؟! وفي المحاضرة يقول هذه المقولة الفاجرة؛ وهو يحك يده كالذي عنده حساسية أكزيمية؛ فاللهم اهده، وإلاّ فعامله بما يستحقه.

الأمم الوثنية هي أمم قبورية على مرِّ العصور:

ما علم الجفري أن الأمم الوَثَنِيَّة، هي أمم قبوريَّة، جعلوا القبور أوثانًا؛ يعظمونها

بالتبرك بها، والدعاء عندها، فالأمم الشركية - كلها - من زمن نوح -عليه السلام- إلى هذا الزمان؛ إنما كان شركهم في القبور: بتقديس الموتى، والبناء على قبورهم، وشد الرِّحال إليها، والتّمَسّح بها، واتخاذها مزارات ومشاهدًا وأعيادًا، وأقاموا عليها الأصنام التي هي رموز للمقبورين، فكان أول هذه الأصنام: ودًّا وسواعًا ويغوثَ ويعوقَ ونسرًا، وهذه الفتنة ما وقعت في المسلمين إلا من جهة الرّوافض، وما تفرع عنهم من فرق الباطنية، وأصحاب الطرق الصوفيَّة، وكلها تُعتبر امتدادًا للفرق الحاقدة على الإسلام؛ كالإسماعيليّة والقرامطة والنُّصَيْرِيَّة والاتّحادية والحلوليَّة، فهم الذين أشاعوا هذه الفتن، ونشروا هذه الشركيّات وأقاموها في بلاد المسلمين.

فمن ضحاياهم هذا الجفري الذي ما زال ينفخ ببوقهم كل يوم، وهو يحاول الآن أن يبثّ هذه العقيدة الشركية في بلاد السعودية، وفي بعض دول الخليج، بحجة حُبِّه لآل البيت الطاهرين، وهو من هذه المحبة من المبعدين، فمثله مثل عمرو بن لُحَيّ الذي غير دين إبراهيم عليه السلام - الحنيفيّة السَّمْحَة - إلى عبادة الأوثان والأصنام، المنصوبة على القبور، على شكل صور وأضرحة، كاللات والعُزّى ومناة الثّالثَة الأُخرى، فاللات هو ضريح رجل، بُني عليه صنم على صورته، واتخذ الضريح وثنًا، وكان هذا الرجل من الناس الذين يعملون الخير للناس ، فكان يَلُتُّ السَّويقَ سويق الحجاج، كما جاء في صحيح البخاري ، فلما مات صنعوا له هذا الوثن والصنم ، كما صُنع في كثير من قبور الصالحين والطَّالحين من المسلمين والكافرين، وكذا العُزّى فكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة، وهي بين مكة والطائف، وكانت قريش يعظمونها، قال ﷺ : «**من حلف فقال في حلفه: واللات والعُزّى؛ فليقل: لا إله إلا الله**» ونحن نقول لعباد البدوي والذي يدعو الجفري إلى شد الرّحال له ولغيره من المقبورين: قولوا: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وانفثوا عن شمائلكم ثلاثًا، وتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم، ثم لا تعودوا .

وأما مناة فكانت بالمشَلّل عند قديد بين مكة والمدينة، وكانت خُزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظّمونها، ويهلّون منها للحج إلى الكعبة، فبعث رسول الله ﷺ خالدَ ابن الوليد إلى العُزّى فهدمها وجعل يقول: يا عزّى كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله

قد أهانك، أما اللاّت فقد بعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة وأبا سفيان صخر ابن حرب رضي الله عنهما فهدماها وجعلا مكانها مسجدًا بالطائف. أما مناة فبعث رسول الله ﷺ أبا سفيان رضي الله عنه فهدمها، وقيل: علي رضي الله عنه .

وكانت طواغيت كثيرة غيرها تعظمها العرب كتعظيم الله، وتطوف حولها كالطواف حول الكعبة، ولها سدنة وحجّاب، وتُهْدَى لها القرابين، وتُنْحر عندها، فكانت ذو الخَلَصَة لدوس وخَثْعَم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة، قال ابن كثير في تفسير «سورة النجم»: وكان يقال لها - أي: ذو الخَلَصَة - الكعبة اليمانية، وللكعبة التي بمكة الكعبة الشامية، فبعث إليه رسول الله ﷺ جرير بن عبد الله البجلي فهدمه، ثم ذكر ابن كثير أصنامًا وأوثانًا كانت العرب تعبدها في جاهليتهم، وقد بعث النبي ﷺ البعوث لهدمها .

نعم لقد هدمها رسول الله ﷺ ، وأقام المساجد محلها، بعد هدم القبور التي كانت فيها؛ لأن لا يعبد مع الله أحد ﴿**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**﴾(الجن: ١٨).

بناء المساجد على القبور، أو دفن الموتى في المساجد، لمن أكبر الذرائع الموصلة إلى الشرك.

هكذا نحن -الموحدين- الواجب علينا أن نهدم المساجد التي بُنيت على القبور، وألا ندفن الموتى في المساجد، فنتخذ قبورهم مساجد؛ فإنها من أكبر الذرائع الموصلة إلى عبادة غير الله، أو عبادة الموتى مع الله، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: « **لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» قالت: فلولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خُشي أن يتخذ مسجدًا. الحديث متفق عليه.

فقولها: (لولا ذلك أبرز قبره. . إلخ) مرادها أنه دُفن خارج مسجده؛ لسد الطريق على من عسى أن يبنيَ عليه مسجدًا، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في «الفتح»: وكأنه ﷺ علم أنه مرتحل من ذلك المرض، فخاف أن يُعَظَّم قبره كما فَعَلَ مَنْ مضى، فلعن اليهود والنصارى إشارة إلى ذمٍّ من يفعل فعلهم. اهـ .

وفي «صحيح مسلم» عن جندب بن عبد الله البَجَلِي رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ قبل

أن يموت بخمس وهو يقول: « . . . **ألا من كان قبلكم يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك** » وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا، لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» رواه الإمام أحمد (٧٣٥٢) بسند صحيح .

ففي هذه الأحاديث وغيرها الكثير؛ يحذر النبي ﷺ سائر الأمة من سوء صنيع الأمم قبلهم، الذين اتخذوا قبور أنبيائهم قبلة للدعاء، ومسجدًا يقصدُ للصلاة فيه، كما فعلت اليهود والنصارى وغيرهم بمقبوريهم، فجعلوها أوثانًا يعظمونها كما يعظمون الله أو أشد تعظيمًا، فالنبي ﷺ كان يحذر ما صنعوا؛ لكون هذا الفعل فيه سَخَطٌ من الله وغضبه، قال ﷺ : « **اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد ، اشتدَّ غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** » انظر: «الصحيحة» للألباني رقم(٦٨) .

قال ابن عبد البر[١]: (فكل ما يُعبد من دون الله فهو وثن، صنمًا كان أو غير صنم؛ وكانت العرب تصلي إلى الأصنام وتعبدها، فخشي رسول الله ﷺ على أمته أن تصنع كما صنع بعض من مضى من الأمم: كانوا إذا مات لهم نبي، عكفوا حول قبره كما يُصنع بالصنم؛ فقال رسول الله ﷺ : «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُصلى إليه، ويُسجد نحوه ويُعبد، فقد اشتد غضب الله على من فعل ذلك**»، وكان رسول الله ﷺ يحذِّر أصحابه وسائر أمته من صنيع الأمم قبله، الذين صلوا إلى قبور أنبيائهم، واتخذوها قبلة ومسجدًا، كما صنعت الوثنية بالأوثان التي كانوا يسجدون إليها ويعظمونها؛ وذلك الشرك الأكبر؛ فكان ﷺ يخبرهم بما في ذلك من سخط الله وغضبه، وأنه مما لا يرضاه خشية عليهم امتثال طرقهم . انتهى كلام ابن عبد البر رحمه الله تعالى.

المسجد والقبر لا يجتمعان في دين الإسلام:

ولكن انظروا هداني الله وإياكم إلى ما يدعو إليه الجفري وطغمته؛ فيدعون إلى بناء المساجد على القبور، واتخاذ القبور مساجد، وهذا عين المُحَادَّة لله ورسوله، والمخالفة لدينه، وابتداع دين لم يأذن به الله، مخالفين صريح أقوال المبعوث رحمة للعالمين؛ الذي بَيَّنَ للعباد: أن المسجد والقبر لا يجتمعان في دين الإسلام، وهم يدّعون أنهم من آله

(١) «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» (٥/ ٤٥).

وأحبابه وأصفيائه من خلقه، فالرسول يلعن من اتخذ القبور مساجد، وهم يدْعون إلى بناء المساجد على القبور، واتخاذها مساجد، ونحن نلعنهم بلعنة رسول الله ﷺ ، ولا كرامة لهم، فهم شرار الخلق كما قال ﷺ عنهم : « ... **أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، ثم صوروا تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة** » متفق عليه، فنحن نقول: لعنة الله على من دعا الناس إلى اتخاذ القبور مساجد فإنهم شرار الخلق، وإن ادَّعوا محبة من خالفوه - أي النبي ﷺ وآله- فالمحبة بالموافقة، لا بالمخالفة؛ فإن المحب لمن أحب مطيع، فنحن نحب آل البيت؛ لأنهم دعونا إلى دعوة نبيهم، فهذا علي رضي الله عنه قال لأبي الهيّاج الأسدي: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ؟ ألا تدع تمثالاً إلا طَمَسْتَه، ولا قبرًا مشرفًا إلا سوّيته». رواه مسلم (٣/ ٦١)وغيره .

فآل بيت النبي ﷺ متفقون على النهي من اتخاذ القبور مساجد، أو شد الرحل والاختلاف إليها، أو البناء عليها من قباب وغيرها، أو التمسح بها، أو التبرك بها؛ خشية الوقوع في الفتنة والضلال، لا سيِّما عند انطفاء العلم، وكثرة الجهل، وقلة الناصحين، وتعاون شياطين الجن والإنس على إضلال الناس، وإخراجهم من عبادة الله، إلى عبادة غير الله، أو العبادة مع الله بالشرك.

فالذي ينبغي على كل مسلم أن يكون على بصيرة في دينه؛ لئلا يُبْتَلى بمن يورد عليه شبهة من علماء المشركين، فيقع في الشرك الأكبر والذنب الذي لا يُغفر بسبب عدم احترازه من الشُّبه، وبسبب عدم حرصه على العلم وطلبه من أهله الحقيقيين.

ولكن الواجب التحذير من أمثال هؤلاء المغرضين المفسدين، المُنْدَسِّين بين أظهرنا؛ لينشروا جراثيم الشرك بين إخواننا، فالحذر والتحذير منهم واجب على الجميع؛ حتى يُقْطَعَ دابر هذه الفتنة العمياء الصماء قبل أن تستفحل، فهي الآن بدأت تظهر وتخرج عنقها، فإذا أُغْفِلَ عنها فسوف تظهر إلى دبرها، فتمشي بقدميها دون ستر لسوءتها، فيقع المحذور، فيسلط الله علينا الدَّمار، ويَنْزِع الأمن والتمكين من هذه البلاد، فنكون مثلاً يُعْتَبَرُ به، كما نحن الآن نعتبر بمصائر الأمم السابقة الذين عبدوا القبور، فضرب الله لنا الأمثال بهم فقال: ﴿**أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ**

وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾(التوبة: ٧٠).

فَمِنْ قَبْلِ هذه الأقوام المذكورين في الآية؛ لم يُعبد إلا الله وحده، وكان الناس على التوحيد الخالص، ثم طرأ عليهم الشرك في عهد نوح - عليه السلام- فبعث الله نوحًا إليهم؛ لينذرهم من عذاب أليم، فكانت عبادة قوم نوح لأصنام نصبوها على قبور ومجالس أناس كانوا عبادًا صالحين، فجعلوها أوثانًا؛ يعكفون على قبورهم، بحجة محبتهم، وتذكّرهم، وتذكر أعمالهم الصالحة، فكانت عبادتهم لهم بطلب المدد منهم، والشفاعة، والوساطة بينهم وبين الله، وأنهم ينفعون بإذن الله -بزعمهم- وأنهم سبب لحصول مسبب، وقربى إلى الله زلفى، فبعث الله نوحًا إليهم آمرًا لهم بأن يعبدوا الله وحده؛ بكل أنواع العبادة التي يُتعبد بها، من خوف ورجاء وتوكل واستعاذة واستغاثة وذبح ونذر وصلاة وطلب مدد، وطلب تفريج كرب، و . . إلخ، ولكنهم لم يستجيبوا لنبيهم إلا قليلاً منهم، فكان ما كان.

جاء في البخاري (٨/ ٨٥١)، عن ابن عباس رضي الله عنهما عن هؤلاء الخمسة - أي ودًا وسواعًا ويغوثَ ويعوقَ ونسرًا - : « . . . أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم؛ أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تُعبد ، حتى إذا هلك أولئك وتنسّخ العلم عُبِدت ». فيجب أن نحذر أن نكون مثلهم في أعمالهم، حتى لا نكون مثلهم في العذاب المقيم.

قال الله سبحانه تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾(التوبة: ٦٩).

فهم قد استمتعوا بدينهم ونصيبهم وبقوتهم، التي صرفوها لغير دين الحق، بعبادة الأصنام المنصوبة على القبور، وبالاعتقادات الباطلة المخالفة لما جاء به أنبياؤهم؛ من بدع حقيقية أو إضافية أو شركيَّة؛ فيها الشهوات والشبهات من جميع نواحيها، فحذرنا الله من حالهم وحال أتباعهم الذين يستمتعون بخلاقهم - أي بشبههم وشهواتهم - كما استمتع

الذين من قبلهم بخلاقهم، وهذا التحذير من الله تبارك وتعالى؛ يُعتبر تحذير من داء المبتدعة من أهل الأهواء والخصومات، لهذا قال تعالى في آخر الآية: ﴿**أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ (التوبة: ٦٩)، فالتشبه بهم في دينهم ودنياهم ذم وخسران وصغار، قال ﷺ: « **وجُعل الذّل والصّغار لمن خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم**» رواه أحمد وغيره .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « **لتأخذنّ كما أخذت الأمم من قبلكم: ذراعًا بذراع، وشبرًا بشبر، وباعًا بباع، حتى لو أن أحدًا من أولئك دخل جُحْرَ ضَبّ لدخلتموه** » قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿**كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا**﴾ (التوبة: ٦٩)، قالوا: يا رسول الله ! كما صنعت فارس والروم وأهل الكتاب ؟ قال: «**فهل الناس إلا هم؟**»[(١)] .

وجاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل سمتًا وهديًا، تتبعون عملهم حذو القذة بالقذة، غير أني لا أدري أتعبدون العجل أم لا ؟» .

فأقول والله المستعان: نحن رأينا ما كان ابن مسعود رضي الله عنه يشير إليه، فقد عبدت الأمة أكثر من وثن - والجِفْري يدعو إليها - وهي أوثان كثيرة، ويقول عنها: إنها ليست أوثانًا، وإنما يُتبرّك بها، ويُطلب منها المدد والغفران، ورفع الدّرجات والرّحمات، ويُتقرب بها إلى الله زلفى بطلب الشّفاعات والواسطات، وأنها سبب لحصول مسبب، وأنها تنفع بإذن الله، و. . و. . . إلخ، فأقول: وهل هذا المعنى هو غير المعنى المعروف للوثن؟ أم ما هو الوثن عنده ؟، قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «المنافقون الذين منكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ ! قلنا: وكيف ؟ قال: أولئك كانوا يخفون نفاقهم، وهؤلاء أعلنوه» ذكره ابن أبي شيبة.

فاللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن. . . . آمين .

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير (١٠/ ١٢١)، وأصل الحديث في الصحيحين والسنن والمسانيد .

مخالفة الجفري للحكمة التي من أجلها أرسلت الرسل:

إن حكمة الله البالغة، التي اقتضت بإرساله خاتم النبيين، هي التبيين للناس ما نُزِّل إليه من ربه، ومن أعظم ما بينه للعباد: هو التحذير - الذي من أجله بُعِثَ هو والنَّبِيُّون من قبله - من عبادة غير الله، والتحذير من الوسائل الموصلة إلى عبادة غير الله، وسد الذرائع الموصلة إليها؛ كبناء المساجد على القبور، وشد الرحال إليها، واتخاذها أعيادًا، والحلف بأصحابها، وكلها من ذرائع الغلو، المفضي إلى عبادتها من دون الله سبحانه وتعالى.

وهذا الغلو هو الذي أفضى بالجفري بالتَّمسح بالقبور وبأعتاب القبور، وهو تراه يستغيث بأصحابها ويطلب منهم المدد وينذر لهم، ثم يقول: هذا ليس بشرك!!

فقل لي بالله! كيف يعبد الجفري اللهَ حق عبادته؛ وهو يَصْرِف سؤاله وتَذَلُّلَهُ واضطراره وخوفه ورجاءه، وإنابته وذبحه ونذره لمن لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا؟ من ميّتٍ رميم في التراب، أو بناءٍ مشيّد من القباب، فضلاً عما هو شر من ذلك؟

تشبيه الخالق سبحانه وتعالى بالمخلوق:

وأقول أيضًا: كيف يَعْبد الجفري ربه حق عبادته؛ وهو يشبه المخلوق بالخالق في خصائص الإلهية؛ من ملك الضر والنفع والعطاء والمنع، الذي يوجب تعلق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل وأنواع العبادة كلها بالله وحده ؟!

قد يقول الجفري: أعوذ بالله أن أشبه المخلوق بالخالق، أو يقول: قولي مجاز ليس على الحقيقة، أو غيرها من اللف والدَّوران الذي فيه التجاوزات، التي لا تُقْبَل فيها المجازات .

فنقولُ لَه: إن من علَّق خصائص الخالق لمخلوق؛ فقد شبَّه بالخالق المخلوق رضيَ أم أبى، فلا يجعلن الجفري وطقته من لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا - فضلاً عن غيره- شبيهًا بمن له الخلق كله، وله الملك كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله -فأزمَّة الأمور كلها بيده سبحانه، ومرجعها إليه- فما شاء كان، وما لم

يشأ لـم يكن، لا مانع لما أعطى، ولا مـعطي لما منع، الذي إذا فتح لـلناس رحمـة؛ فلا ممسك لها، وما يمسك؛ فلا مـرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم، فأقبح تشبـيه وقع فيه المتصوفة من عبدة القبور؛ هو تشبيههم هذا - حَسُّوا أو لم يَحسُّوا - بحيث جعلوا العاجز الفقـير شبيـها بالقادر الغنـي سبحانه وتعـالى، فوالله إنه أقبح الـقبح، وأظلم الظلم؛ إذ مضمون هذا تنقيص ربّ الـعالمين، وصرف خالص حقه لغيره، وعدل غـيره به، كما قال تعالى : ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (الأنعام: ١) وهو غاية المعـاندة لرب العالمين، والاستكبار عن طاعته والذل له.

فإذا قال الجـفري: إنه لا يعتقد هذا ! وإنما جـعل المقبورين سَبَب لحـصول مُسَبِّب، وأنهم ينفعون بإذن الله -كما قالها كما تقـدم- فنقول كما تقدم: هذه هي عقيدة المشركين الذين يتقـربون بأصنامهم المنحـوتة على صورة البشـر، ومنصوبة على القـبر، أو أوثانهم المُشكَّلَة على أيِّ حال، كالأضـرحة، والأعتاب، وما جاورها من أحجـار وأطيان وقباب وأبواب، حـتى الأزمان كـالموالد والوقائع والأحـداث، فهم يتـقربون بهـا إلى الله زلفى بزعمهم، فهي عندهم أسباب لحصول مُسببات.

أخي المسلم! احذر الصوفية:

فاحذر أيها المسلم من الشرك وإن زيّنه لك المزيّفون، واعمل بالحق فإنه أبلج، واجتنب الباطل فـإنه لَجْلَجْ، واحذر من الضّـالين المُضلِّين، الذين يُورِدُونَ الشُّبَـه في الدين، وكن على بصيـرة من دينك، ولا تجعل لأحد من المضلين أن ينتزع منك أغلى مـا تحمله، وهو دينك، وسبيل نجاتك، فهؤلاء المتصوفة لا صِلَة لهم بالزهد ولا بالعبادة الحقيقية، التي هي على مراد الله، بل عبادتهم عـبارة عن ملابسهم الخاصة بألوانها، وعـمائمهم التي أعْمَت بصائرهم، وبِجُبَبِـهِم الموروثة عن مقبوريهم، وبتصاريف سُبَـحِهِم الطويلة التي شغلت عن عدِّ سيئاتهم، وشيء من الأذكار الخاصة بهم وبعقيدتهم وبطُرُقِهِم.

فهـم إن ارتكبوا مـعصيـة، أو بدعة، أو شـركًا؛ فـهي لا تدنس ثيابهم، ولا تحـبط أعمـالهم - بزعمـهم- وإن تكلمـوا؛ فتكلمـهم بالرموز، والتـشدقِ، والتّـفَيْهُقِ، فـيظن المستمعون السذج أنهم عارفون عالمون، وهم في الحقيقة أبعد ما يكونوا من الدين، وأقرب إلى نارٍ كتابُ أهلها في سجين.

فإذا كُشِفَتْ أخطاؤهم، وبانت نواياهم، قال المريدون: هذه ليست أخطاء، وإنما هي الرّموز، وتصاريف الأذكار، وانكشاف علوم الحقيقة، و. . . ، و. . . إلخ، فحالهم كحال ذاك الرجل الذي دَيْدَنه الكذب، وله صاحب يُؤَوِّل كذبه، فقال الكذّاب مرة: خرجت للصيد، وأطلقت، فهدّفت غزالاً، فخرج رصاص البندقية من شقِّ الحافر، ثم ضرب الرأس وكسره! فضحك الناس فقالوا: أين الحافر وأين الرأس؟! فقال صاحبه المؤوِّل: لعلّ الغزال كان يحك رأسه بحافره . . .

فهكذا الصوفية يخترعون كرامات؛ ثم يؤولونها، ويرتكبون المخالفات، ثم يؤولونها، وكتبهم مليئة بهذا النوع من الخرافات والترهات والمجازفات، وقد نبهت على بعضها في أعلاه، والله المستعان(١).

شبه الجفري التي يجوز بها البناء على القبور:

قد يقول قائل: إذا كان قد تبين لدينا أن بناء المساجد على القبور، أو دفن الموتى في المساجد محرم شرعًا، على ما تقرر بالأدلة الشرعية الصحيحة الصريحة، فعلى ماذا يحتج علينا الجفري بخلاف هذا ؟!

فأقول: إن الجفري كغيره من المبتدعة -في سائر عصور الإسلام- يحاول الطعن في السنة، ونقض عرى التوحيد، ببث الشبهات، من كل جانب، حتى بعلماء الأمة الفضلاء، فتراه مرة يغمز، وتارة يلمز، وتارة ينتقد وبسرعة، وأخرى يعترض ولو خلسة، ولكن بعيدًا عن النصح والإرشاد صراحة! ولكن ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ (الفجر: ١٤) فيما يقول وينشر ويزخرف ويزين بدعه وشركيّاته، ونحن ما نرد عليه إلا لكشف باطله، وهتك زوره وباطله؛ حتى تموت بدعه وشركيّاته، وتظهر لكل طالبٍ للحق تحريفاته وتمويهاته ومماطلاته، أما الهمج الرعاع، السذج الجهلة، المفخمون للورم، المزيّدون للألم، المتزودون بما لم يُعْطوا، فما لنا عليهم من سبيل، فاللهم اهدهم إلى صراطك المستقيم، وإلا فنحن نخاف عليهم سواء الجحيم، والله بما أقوله عليم . . . إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

(١) انظر إلى رسالتي : «هل هذه الجماعة من الفرق المبتدعة؟»

فلننظر بماذا يحتج الجفري على إباحته البناء على القبور واتخاذها مساجد ؟ وهو يخالف كل الأحاديث الواردة في دواوين السنة التي تنهى عن هذا الفعل المشين .

أولاً : يستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿**قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا**﴾(الكهف :٢١) ، فيدعي الجفري في تلفيقاته أن هذا دليل على ما يقوله ، وهو يعلم أن شريعتنا قد نهت عن اتخاذ القبور مساجد ، كما في الأحاديث الواردة في دواوين السنة ، عن النبي ﷺ الذي نهى عن البناء على القبور ، فضلاً عن اتخاذها مساجد ، ولكن يريد هو لنفسه مخرجًا ؛ فأراد أن يرد على هذه الأحاديث وعلى قائلها عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، فذهب يستدل بكلام الله سبحانه وتعالى ، ويؤوله بالتحريف والتزييف ، حتى يروج على الناس عقيدته القبورية التي يقول عن محاربيها : إن عندهم - وهو يَحُكّ يده - حساسية من القبور !

فقل لي بالله عليك : هل هذا حب حقيقي لرسول الله ﷺ ؟ أم هو محاربة حقيقية لرسول الله ﷺ الذي يدَّعي الجفري الانتساب إليه وإلى آله الأطهار ؟ وهل القرآن يدل على غير ما تدل عليه الأحاديث ؟

ألم أقل لكم: إن الجفري ضال مضل ؟!

ولكن قبل أن أبين زغله ، فأريد أن أذكركم بمقولة مشهورة عن الصدّيق حبيب النبي ﷺ حيث قال : «أي أرض تُقلني ، وأي سماء تُظلني ؛ إذا قلت في القرآن برأيي ، أو بما لا أعلم»(١) .

فمثل هؤلاء الناس الذين يَرُدُّون كلام رسول الله ﷺ ، ولو بأدنى الحيل ، أو باتباع المتشابه ، يقع فيهم قول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ**﴾ (محمد :٢٥) ، فالشيطان هو الذي زيّن لهم مفارقة الهدى وحسَّن لهم هدْيه ، وغرّهم وخدعهم ، ولكن الله كشف لنا أمرهم : ﴿ **وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ**﴾ (محمد : ٣٠) . ففضحهم بأفعالهم الزّائفة ، وما يعتمدونه من الأفعال الدّالة على حقْدهم على أئمة الهدى الذين قاموا على نصر الدين ومحاربة أعدائه كانوا من

---

(١) رواه العكبري في «الإبانة» (ص١٢٠) ، والبغوي في «الشرح» (١/ ٢٤٤) في كتاب العلم .

كانوا، فترى الجفري يلمز بهم فيقول : إن لبس العمامة عبادة، وليس لبس الغُتْرَة الحمراء -يعني: الشِّماغ الأحمر- وهو يقصد العلماء الذين حاربوا الشرك الذي هو يدعو إليه أمة الإسلام، وحتى يغير لهم دينهم الذي ارتضاه الله لهم.

فهنا يريد الجفري أن يصد عن دين نبينا محمد ﷺ، بإيراده الشبه التي يريد بها أن ينسخ كلام الحبيب ﷺ، إلى كلامه، فأورد للناس آية «الكهف»: ﴿**قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا**﴾(الكهف: ٢١). وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿**قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ**﴾ ولا يبين للناس الذين أمامه - وأكثرهم عوام- أن الذين غلبوا في هذه الآية هم أهل الغلبة على الأمور، وليسوا أهل العلم والفضل، فأهل الغلبة هم أصحاب الكلمة والنفوذ، ولكن هل هم محمودون على كلامهم أم لا؟

فهذا يبين حالهم من هو أعرف بحالهم منا، وهو النبي ﷺ الذي كان يعلم أن هؤلاء كانوا أصحاب شريعة غير شريعتنا، فإما أن يكونوا يهودًا أو نصارى، ولكن الرسول ﷺ ردَّ ما أراده هؤلاء من بناء المسجد على القبور، فقال ﷺ : «**ألا وإن من كان قبلكم، كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك**».

وقد لعنهم رسول الله ﷺ فقال: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» قالت عائشة رضي الله عنها: « يحذر مثل الذي صنعوا». متفق عليه

وقال ﷺ : «**أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا، ثم صوروا تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**».

فالنبي ﷺ لم يقر فعل أولئك القوم الذين من قبلنا من الذين غلبوا على زمام الأمور والنفوذ، بل لعنهم، وحذّر من فعلهم في غير موطن، حتى في وقت مفارقته للدنيا، وبيّن أن فعلهم هذا؛ جعلهم من شِرار الخلق يوم القيامة، فهل يقول قائل بعد هذا: إن هذه الآية من سورة الكهف تدل على جواز البناء على القبور؟ أم بعدم الجواز ؟

فالذي يقول بالجواز لا شك أن كلامه باطل عاطل، وفاسد كاسد، لا يصح الاستدلال به على أي وجه من الوجوه، فأي ضلال يريده الجفري بعد هذا، وأي إحسان

ظنٍ به وبطراز طائفته الضالة ؟! فهل بعد هذه الغواية غاية؟ وهل يؤتمنون في قبول دينٍ أو عِلْم؟

الجفري محارب للتوحيد بجنب الشيطان العنيد:

وهل بعد هذا يقول أحد: إن الجفري موحد لله أم محارب لله؟ فإن قال الجفري بلسانه: إنه ليس كذلك، فنقول له: لِمَ ذلك؟! لماذا تحارب بِجَنْبِ الشيطان، لماذا تحارب التوحيد، وتخالفه بهذه المخالفات، وتَبُثُّ الشبهات التي تفتن بها العامة؟! لماذا تخالف عقيدة أهل السنة والجماعة وتدعي أنك منهم؟! لماذا ترد أحاديث رسول الله ﷺ بدعوى محبته؟! لماذا تنتصر للبدعة، وتقول: إن منها ما هو حسن، وترد على كل الأحاديث الواردة في التحذير منها، وتقول: إنها على غير ظاهرها؟! فما هو الظاهر عندك؟ هل هو أفيون عقلك، أم هو زبالة فهمك؟!

لا أشك في أنّك منتصر لهواك، فحسبك برهانًا على ما قلتَ في محاضراتك التي أقبرت كل الأحاديث المتواترة في تحريم البناء على القبور، أو بناء المساجد عليها، أو اتخاذها مساجد، وخالفتَ جميع الأئمة الذين يحاربون الذي تدعو إليه.

ولكن الذي نقوله عنك: إنك فِعْلاً جريء، ولكن في محاربة الحق، ومحاربة الدِّين، باسم الدين، وباسم حب سيد المرسلين عليه الصلاة وأزكى التسليم، كيف لا نقول هذا بأعلى أصواتنا، ونحن نراك ترد جميع الأحاديث التي ذكرناها دون حجة، إلا اتباع المتشابه من النصوص كآية الكهف وغيرها، فنعوذ بالله من أناس عبدة للشيطان؛ الذي يزخرف لهم الأقوال، فينفخون ببوقه برد النصوص المحكمات بالمتشابهات.

عقيدة الجفري في القرآن وفي الأحاديث الصحيحة المخالفة لعقيدته:

وبعد ما تبين لنا عن الجفري أنه يرد الأحاديث الصحيحة وإن كانت متواترة؛ يمكن أن يقال عنه - إضافة على ما هو عليه-: إنه من أهل الأهواء الذين يكتفون بالقرآن فقط، - علم أم لم يعلم- ولا يقيم للسنة الصحيحة وزنًا وإن كانت الأسانيد صحيحة بنورها الوَهّاج، ومع اكتفائه بالقرآن؛ فإنه يلوي به اللسان، ويحرف عنه صحيح المعاني.

نعم! قد يقول قائل: إن الجفري يذكر في محاضراته أحاديث كثيرةً!

فنقول: نعم، ولكن منها الضعيف ومنها الموضوع، وأما إذا كانت صحيحة؛ فهو يلوي أعناقها بالتأويل والتحريف، أو أنه يقول: إنها على غير ظاهرها، أو يقول: إنها مجاز، أو إنها على غير المراد، وغير ذلك من المجازفات، فيحرف أقوال الرسول ﷺ، بل ويحرف الألفاظ، فيأتي بروايات منكرة، فهذا ليس بكبير عنده؛ فقد حرف كلام رب العالمين، فقام بالتحريف في التأويل، وبالتحريف في التنزيل، فيلوي لسانه حتى يُظن أن كلامه هو قول رب العالمين، أو قول سيد المرسلين ﷺ، فتجده يلوي لسانه في آيةٍ في سورة الكهف، ويقول: إن الله أقر البناء على القبور ولم يرد عليهم في سورة الكهف، مع أن الله لعنهم على لسان من قال عنه سبحانه وتعالى: ﴿**مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾ (النجم: ٢-٤). وقال ﷺ: «**ألا إني أُوتيت القرآن ومثله معه**».

ولكن مثل الجفري كمثل من يستدل بجواز صنع التماثيل والأصنام والصور، مستدلاً بقوله سبحانه وتعالى: ﴿**يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ**﴾ (سبأ: ١٣). ثم يرم بالأحاديث الصحيحة التي تحرم التماثيل والتصاوير، فهل نقول عن الجفري: إنه يؤمن بالأحاديث الصحيحة الصريحة، أم هو كالذين لا يؤمنون ؟

قبر النبيّ ﷺ في مسجده:

أما الشبهة الثانية التي تشبث بها الجفري، ويبثها في محاضراته؛ فهي أن قبر النبي ﷺ في مسجده، كما هو مشاهد اليوم، فكيف تمنعون البناء على القبور؟! ثم يدعي أن الذي أدخل القبور الثلاثة في المسجد هو عمر بن عبد العزيز، فيقول: فهل نقول: إن عمر ابن عبد العزيز مشرك - هكذا يقول - ثم يقول: لا يضحك عليكم أحد. . .

قلت: هذه الشبهة هي نفسها التي عند القبوريين من قديم الزمان؛ والجفري الآن ينفخ ببوقها ليحييها، ولكن تصدى لها جميع أهل السنة على مر العصور، منهم ابن جرير في تاريخه (٥/ ٢٢٢)، وابن كثير (٩/ ٧٤)، وابن عبد الهادي في «الصارم المُنْكي» (ص١٣٦)، وغيرهم الكثير ممن دافع عن السنة ودافع عن جناب التوحيد، وفك رموز المشتبهات مخازي الشهوات، ورد على أهل الباطل الناثرين للشبهات بالشهوات، فقالوا: إن الذي هو مشاهد اليوم في القبور الثلاثة، لم يكن في عهد الصحابة حماة التوحيد

ﷺ، وإنما حدث هذا بعد انقراض الصحابة، وفي عهد الوليد بن عبد الملك الذي وسَّع المسجد النبوي، وأدْخَل القبور الثلاثة فيه مع التوسعة، فأرسل له عامله عمر ابن عبد العزيز بِقَوْلِ أهل العلم؛ فلم يأبه بهم، فسكت أهل العلم خوفًا من الفتنة، كما ذكره المناوي في «فيض القدير» فكان الوليد بن عبد الملك بن مروان هو أوّل من أحدث هذه البدعة في الإسلام، التي اتخذها الناس لهم سنة، والسنة منها براء، ولم يذكر أهل التاريخ أن الذي أمر بإدخال الحُجر في المسجد هو عمر بن عبد العزيز، فهذا بهتان عظيم في حق هذا الخليفة الزاهد الورع، ثم إن هذا الخليفة الزاهد الورع، هو أحد رواه الأحاديث التي تنهى عن اتخاذ القبور مساجد(١).

فانظر يا رعاك الله كيف الجفري يلبس على الناس؟! ويريد منهم الظن السيئ بأهل التوحيد، كالإمام عمر بن عبد العزيز، الذي ضُرب به المثل في التقوى والصلاح، واتباع الأثر، فقد أمره الوليد ببناء المسجد وتوسعته من جميع الجهات، وكانت حُجَر أمهات المؤمنين ضمن التوسعة؛ ومنها حجرة عائشة ﵂ التي فيها القبور الثلاثة، فدخلت هي الأُخْرى في ضمن التوسعة، فحصل المحذور والله المستعان، فقال رجاء ابن حيْوَة الثقة الفقيه: فما رأيته باكيًا -أي: عمر بن عبد العزيز- أكثر من يومئذ. ثم بناه كما أراد - يعني: الوليد - ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (٣/ ٣٢٦)، ولكن لما بنى المسجد رحمه الله؛ أمر أن يُحَرّفَ بالحجرة التي فيها القبور الثلاثة عن يمين القبلة، وأن يُسنّم مؤخرها؛ لئلا يُصلي أحد إلى القبور، فهذا عمر بن عبد العزيز الذي اتهمه الجفري بعقيدة القبورية وهو أبعد ما يكون منها، ثم إن الوليد بن عبد الملك عندما عمل هذا العمل المشين، لم يقصد به الذي يقصده الجفري من عبادة المقبورين، من الأنبياء ومن دونهم، بطلب المدد منهم والتوسل بهم واتخاذهم واسطة بينهم وبين الله، وجعلهم سبب لحصول مسبب، وأنهم يَسْمَعون ويُسْمِعون، وأنهم ينفعون بإذن الله.. إلخ، فلم تكن هذه عقيدة الوليد، ولكن فعله المشين كان أكبر ذريعة أوصلت المتصوفة الخرافيّة إلى المحذور الذي كان الرسول ﷺ وأصحابه ﵃ يخافونه، كما تقدم من قول عائشة ﵂: «لولا ذلك أُبْرِزَ قبره غير أنه خشي أن يُتّخذ مسجدًا»، وفي رواية: «اللعن لمن اتخذها مساجد» قالت ﵂: «يحذر مثل الذي صنعوا» والروايتان في الصحيحين.

---

(١) رواه ابن سعد (٢/ ٢٥٤).

فالشارع الحكيم عندما نهى عن بناء المساجد على القبور، إنما هو لسدّ الذريعة الموصلة إلى أكبر ما يُعصى الله به؛ وهو الشرك، وهو الواقع الآن في الأمة، والذي يدعو إليه الجفري، ويدَّعي أن الأمة لا يدخلها الشرك، وقد تقدم الرد على هذه التُّرَّهة في أعلاه.

ومن هذا يتبين أن قبر النبي ﷺ إنما أُدخل إلى المسجد؛ حين لم يكن في المدينة النبوية أحدٌ من الصحابة، فلا يجوز لأحد كائنا من كان أن يحتج بما وقع بعد الصحابة رضي الله عنهم ؛ لأن إدخال القبور في المساجد مخالف للأحاديث الصحيحة، ومخالف لما عليه الصحابة رضي الله عنهم ، ومنهم آل بيت النبوة الذين نقلت عنهم هذه العقيدة السلفيّة في أعلاه، أما من زعم أن إدخال الحجر كان ضرورة. . فنقول له: إن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان قد وسعا المسجد؛ فلم يدخلاها في المسجد، ولم يتعرضا لها؛ لعلمهما بهذه الذريعة العظيمة، ولعلمهما بأقوال الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام، فوسعا المسجد من الجهات الأخرى، حتى أنه جاء عن عمر الفاروق أنه قال عن الحجرة التي فيها قبر النبي ﷺ - وهي حجرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها - عند توسيعه للمسجد: «إنه لا سبيل إليها» [(١)]، وهذا من فقه عمر الفاروق الذي فرق بين الحق والباطل، حيث أشار إشارة إلى محذورٍ قد يقع إذا ضَمّ الحجرة، التي فيها القبر الشريف إلى المسجد، وهذا العلم الذي عند عمر قد تلقاه من المعلم الأول ﷺ .

ولكن المحذور قد وقع ولا حول ولا قوة إلا بالله، فقد ضُمّت الحجرات كلها إلى المسجد في عهد الوليد، وكان السلف أرادوا أن يخففوا أو يقللوا المخالفة ما أمكنهم، فبنوا على الأقبر حيطانًا مرتفعة مستديرة حولها؛ لئلا تظهر في المسجد فَيُصَلِّي إليها العوام؛ فَيَصِلُوا إلى المحذور، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحَرَفوهما حتى التقيا، حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر، وسُدَّ باب الحُجْرة، فهذا أكثر شيء فعله السلف؛ لصيانة قبر النبي ﷺ ؛ لئلا يُتّخذ عيدًا، أو وثنًا[(٢)].

اقتراح وجيه فيه المصلحة الشرعية المنشودة لكل موحِّد:

أما القبة الخضراء العالية التي في أعلى القبر، والزخارف التي على الأبواب،

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٤/ ٢١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢/ ٤٧٨).

(٢) امظر إلى رسالتي: «رسالة إلى القبوريين» .

وغيرها؛ فهي مما لا يرضاه الله تعالى، ولا رسول الله ﷺ، وقد كتبت في هذا بحثًا في سنة ١٤١٣ هـ فاسأل عنه، سميته «رسالة إلى القبوريين» فانظره غير مأمور.

فالواجب على المسلمين أن يطالبوا بالرجوع بالمسجد النبوي إلى عهده السابق، وذلك بالفصل بينه وبين القبور الثلاثة - قبر النبي ﷺ وقبري وزيريه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما - فيُجْعل حائط يمتد من الشمال إلى الجنوب، فَتُفْصَل القبور الشريفة الثلاثة عن المسجد نهائيًّا، دون أن تُمَسَّ بسوء، فتبقى في مكانها، ولكن خارجة عن المسجد بالجدار الفاصل المعمول من الشَّمال إلى الجنوب، وهذا الفعل يكون تنفيذًا لوصية النبي ﷺ - التي تواترت في دواوين السنة- وتحقيقًا للمصلحة الشرعية التي سوف تنقذ المسلمين -بإذن الله- من ظاهرة الشرك التي وقع فيها الكثير، بحجة أن مسجد النبي ﷺ فيه قبور، وقد قامت الدولة السّعودية - دولة التوحيد - بتوسعة المسجد النبوي، فراعت بعضًا من هذا الشيء، فوسعت المسجد من خلف القبور الشريفة الثلاثة، كما هو ملاحظ، فلم تدخلها في التوسعة الجديدة، ولكن بقي الفصل المشار إليه، ولكن درءًا للمفسدة أجّلت هذا، ولعل الله أن يهدي الأمة المحمدية لفهم دينها، فتطلب هي هذا الاقتراح؛ ودولة التوحيد سوف تنفِّذه على الفور، والله من وراء القصد.

الصلاة في المسجد النبوي مع وجود القبور الثلاثة فيه :

قد يُشْكِل على بعض الناس في صَحّة الصلاة في المسجد النبوي، وفيها القبور الشريفة الثلاثة! فنقول: نعم يُحرم الصلاة في المساجد التي بُنيت على القبور، أو المساجد التي أُدخلت القبور فيها، لعموم الأدلّة، ولا يستثنى منها شيء إلا المسجد النبوي الشريف؛ لأن له فضيلة خاصة لا توجد في شيء من المساجد المبنية على القبور؛ لقوله ﷺ : «**صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه ، إلا المسجد الحرام**» متفق عليه ، وقوله ﷺ عن نفسه، وعن مسجده: «**فإني آخر الأنبياء ، وإنه** -أي: مسجده- **آخر المساجد**» رواه ابن ماجه بسند صحيح ، وقوله ﷺ : «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة**» متفق عليه ، وقوله ﷺ : «**إن قوائم منبري هذا رواتب في الجنة**» رواه النسائي (١/ ١١٣)، على شرط مسلم، وقوله ﷺ في أن مسجده هو أول مسجد أسس

على التقوى؛ كما في «صحيح مسلم» (٤/ ١٢٦)، وقوله ﷺ: «**لا تُشَدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدِ الحرام، ومسجدي هذا، ومسجدِ الأقْصى**» متفق عليه.

فهو مسجد لا يستوي مع غيره من المساجد، فالفضائل الواردة فيه؛ هي ثابتة له قبل أن تُدخل فيه الحجرة، فلا يظن أحد من الناس أن المسجد النبوي صار أفضل بعد دخول الحجرة فيه، أي صار أفضل في عهد الوليد بن عبد الملك من عهد رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ، فهذا لا يقوله إلا جاهل مكذّب لما جاء عن النبي ﷺ، رضيَ أم أبى، فالنبي ﷺ قد نهى أن تُتَّخَذَ القبور مساجد، ونهى أن يُتّخذ قبره عيدًا؛ لسدٍّ ذريعة الشِّرك الأكبر والذَّنب الذي يُغفر.

أتباعُ الجفري وزُمْرَتُه:

فالشِّرك الأكبر، والذَّنْب الذي لا يُغفر؛ قد وقع فيه الجفري ومن معه، وهم من زمرته الهمج الرِّعاع، أتباع كل ناعق، الذين يميلون مع كل ريح، الذين لم يستضيؤوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق.

فهؤلاء القوم أوقعهم الجفري في الضلال، فاستغل جهلهم بدينهم، فبث عقيدته المسمومة لهم، فما كان منهم إلا أن يكونوا راضين بالمنزلة التي في الحضيض الأَوْهَد، والهبوط الأسفل، التي لا بعدها في هول، ولا دونها في السقوط، وهذا كله بسبب إهمالهم لأنفسهم، وعدم طلبهم لعلم الكتاب والسنة، وكفى بالمرءِ جهلاً ألا يعرف دينه؛ فأتاهم من استطاع أن يبدل عليهم دينَهم، إلى دينه دين القبوريين المشركين، فهو إذا قال أخطأ، وإذا أخطأ؛ لم يدروا أنه أخطأ، أو أين أخطأ؟! فكان لهم فتنة، ولمن اتّبَعَهُ نِقْمَة، فقادهم للشبهات، وجادل في آيات الله وأحاديث رسول الله بغير سلطان أتاه، إن في صدره إلا كِبْر ما هو ببالغه، فهو كالحيَّة؛ لين ملمسها، وسمّها يقتل.

فاقتحم أنفس الناس بسلاح الشّبهات؛ ليفسد أفكارهم ليضلّوا بضلاله، وبسلاح الأهواء ليفسد سلوكهم فيغووا، فنحن نحاربه بسلاح أقوى من أسلحته.

فأول سلاح هو سلاح اليقين، الذي يحطم شبهاته وأوهامه، والثاني: سلاحِ الصَّبْر الذي يحطم أهواءَه، كما قال الله تعالى عن هذين السِّلاحين ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّة**

يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾(السجدة: ٢٤). فالأرض لا تخلو من قائم لله بحجة؛ لئلا تَبْطُلَ حجج الله وبيِّناته، فلا تستوحش أخي المسلم طرق الهدى وإن قل سالكوها، ولا تَغْتَرّ بطرق الضلال وإن كثر الهالكون فيها، واحذر البدع في الدين، واحذر المتكلمين بالبدع، أو الجلوس إليهم، فالسلامة في ترك مجالستهم، والخوضِ معهم في بدعهم وضلالهم، فإنهم يلبِّسون عليك بدعهم، فيأتون بالحجج المُحالة؛ ليزينوا بها بدع الضلالة، فيوردونها على القلوب، فتصيب القلوب بالشكوك بعدما كانت مُستَيْقَنَة، فأمرضوها بعد صحّتها، وكل ذلك بسبب صحبة أهل البدع، التي أوردت النار أولئك الهمج الرعاع، فلا تكن معهم فتصير بهم منصاع، أو معهم مِطْواع على شفا جرف هارٍ، أو تكون منهم على المُخاطرة بالدين؛ فتكون معهم ممن ضاع، فإنهم والله أشد فتنة من الدّجال، وأحرق للقلوب من اللهب، فأسأل الله تبارك وتعالى أن يمسّكنا بعروته الوثقى، وأن يعيذنا من مضلات الهوى، وأن يحفظنا من الفتن في ديننا، وأن يمسّكنا بالإسلام والسُّنة، ويعصمنا بهما بفضله ورحمته. . آمين

غلوّ الجفري بآل البيت:

أما عن غلو الجفري بآل البيت؛ فحدث عنه ولا حرج ! فكلامه عنهم بالإطراء، وكأنه لابس ثوب شيعي، فتراه يحرف في القرآن والسنة، ويلوي أعناق النصوص، فيأتي بالأحاديث الضعيفة، وأحاديث الشيعة، كل ذلك بزعمه حب آل البيت، وهو أبعد ما يكون من المحبة الحقيقية التي عليها جماهير المسلمين؛ من حب صحابة النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار الذين آووا ونصروا النبي ﷺ ، سواء كانوا من أهل قرابته أو غيرهم من المسلمين، فترى الجفري في محاضراته منحازًا إلى مذهب التشيع لآل البيت تارة، وتارة تراه منحرفًا إلى فئة معينة لها صبغة في الغلو في آل البيت، فتراه يدعو الناس إلى شد الرحال إلى قبورهم، ولو كانوا ممن اتفق جمهور المسلمين بكفرهم؛ كالبدوي الذي في مصر، فيقول: تُشد الرحال إلى قبره؛ لأنه من آل البيت، ويدعو الناس إلى شد الرحال إلى قبر السيدة نفيسة لكونها من آل البيت، وكذا إلى قبر الدّسوقي والرِّفاعي والحسين وغيرهم لطلب المدد منهم والشفاعة، وغيرها من الشركيّات التي تقدم الكلام عنها فلا نطيل. .

هل ينفع النَّسب الشريف مع الشرك والبدع ؟!

فالجفري يدعي أنه من آل بيت النبوة ، وبهذا الادعاء يظن أن هذا النسب سوف يغنيه ، وإن خالف ما كان عليه آل بيت النبي ﷺ من صحة العقيدة وسلامة المنهج ، فإن كان الجفري من آل بيت النبي ﷺ ؛ فعليه أن يتقيَّد بعقيدتهم واتجاههم واهتمامهم ، وإلاَّ فلن ينفعه هذا النسب الشريف ، فهذا النسب يشرِّف من اقتدى بهم ، قال ﷺ : «**من أبطَّأ به عَمَلُهُ لم يسرع به نسبه**»(١) .

بل إن الله سبحانه وتعالى قال لنبيه ﷺ : ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ**﴾(الزمر :٦٥) . فكيف بمن هو دونه ﷺ ؟! فهل سوف يغنيه نسبه ؟!

وقال الله تعالى عن ابن نوح لنوح عليه السلام : ﴿**يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ**﴾(هود :٤٦) .

فما أغنى ابن نوح نسبه الكريم:

ولكن الله تعالى لم يكن نَسِيًّا سبحانه ، فإذا جاء أحد من هؤلاء المدَّعين للانتساب إلى خير الخلق ﷺ ، فنجيبهم بمثل هذه الأدلة التي تبين أن ميزان التقوى هو الذي يحدد الشرف عند العباد ، وخاصة مثل هؤلاء الذين يدَّعون محبة النبي ﷺ وآل بيته الأطهار ، ويدّعون الانتساب إليهم ؛ ثم يأتون بما يناقض دعواهم .

قال ﷺ : «**إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء، إنما وَلِيِّيَ الله وصالح المؤمنين، ولكن لهم رحمٌ أَبلُّها ببَلالها، يعني أصله بصلتها**» متفق عليه وفي رواية أخرى : « **إن أوليائي يوم القيامة المتَّقَون، وإن كان نسب أقرب من نسب، فلا يأتيني الناس بالأعمال، وتأتوني بالدنيا تحملونها على رقابكم، فتقولون: يا محمد! فأقول هكذا وهكذا: لا، وأعرض في كلا عطفيه**» رواه البخاري في الأدب المفرد بإسناد حسن وفي رواية :

«.. **حليفنا منا، وابن أختنا منا، وموالينا منا، وأنتم تسمعون: إن أوليائيَ منكم المتقون؛ فإن كنتم أولئك فذاك، وإلاّ فانظروا، لا يأتي الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتوا بالأثْقال؛ فيُعرض عنكم** » الأدب المفرد بإسناد حسن .

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩) .

فمعنى هذه الأحاديث المتقدمة: إن وليِّيَ من كان صالحًا وإن بعد مني نسبه، وليس وليي من كان غير صالح وإن قرب مني نسبه، والمعنى: إني لا أوالي أحدًا بالقرابة، وإنما أحب الله تعالى لما له من الحق الواجب على العباد، وأحب صالح المؤمنين لوجه الله تعالى وإن كانوا موالي، فأوالي من أوالي بالإيمان والصلاح؛ سواء كان من ذوي رحم أو لا، ولكن أرعى لذوي الرحم حقهم لصلة الرحم.

فأي انتساب إلى النبي ﷺ يدعيه الجفري، ثم نراه يقرر أنواعًا كثيرة من البدع والضلالات والشِّركيَّات، تكفي آحادُها لتضليل أمَّة! وهل هذا الادعاء سوف ينجيه مع طعنه في معتقدات أهل السنة والجماعة وانتقاص أئمتهم؟!

بل أقول: هل سوف ينجيه مع تحريفه لنصوص الوحيين الشريفين ؟! -كما رأيت والذي وسوف تراه إن شاء الله - ألا يخجل الرجل من هذا كله؛ ثم يدعي الانتماء إليهم ومحبتهم ويغلو في إطرائهم ؟! فرحم الله من قال:

عليك بتقوى الله في كل حالة

ولا تترك التقوى اتكالاً على النَّسب

ولكن كما قيل:

يعيش المرءُ ما استحيا بخيرٍ

ويبقى العودُ ما بقيَ اللحاءُ

فلا والله ما في العيش خيرٌ

ولا الدنيا إذا ذهب الحياءُ

التَّصوُّف والتَّشيُّع وَجْهان لِعمْلة واحدة:

أما عن انحياز الجفري إلى التشيع؛ فنراه في تفسيره للقرآن والسنة، فيفسرهما تفسيرًا شيعيًّا، كما سنبينه إن شاء الله تعالى: **أولاً**: كما في قوله تعالى: ﴿**قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ**﴾(الشورى: ٢٣).

فعلق على حصر هذه الآية في أولاد علي وفاطمة رضي الله عنهما.

ثانيًا: في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ (الأحزاب:٣٣). فيفسر أهل البيت في هذه الآية علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، ويزعم أن من لم يفسرها بتفسيره؛ فقد قصَّر بحبه لآل البيت، وأعرض عن حقوقهم، وأضاع مقدارهم، وجهل بمكانتهم.. إلخ.

أما الآية الأولى: وهي قوله تعالى: ﴿**قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ**﴾ (الشورى:٢٣).

فهذه الآية ليست كما فسرها الجفري! وقال: بأنها نزلت في علي وفاطمة وولديهما رضي الله عنهم، محتجًّا بحديث ضعيف كعادته في الاستدلال بما يوافق هواه؛ وإن كان الحديث الضعيف مخالف للصحيح.

فقد جاء في البخاري في كتاب التفسير باب قوله تعالى: ﴿**إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ**﴾ عن ابن عباس رضي الله عنه أنه سُئل عن قوله تعالى: ﴿**إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ**﴾ فقال سعيد بن جُبَيْر: قربى آل محمد، فقال ابن عباس: عجلت، إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال: «**إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة**»، وفي «المستدرك» للحاكم (٢/ ٤٤٤)، عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لا أسألكم على ما آتيتكم من البينات والهدى أجرًا إلا أن توادوا الله وأن تتقربوا إليه بطاعته**».

وفيه أيضًا عن الشعبي أنه قال: أكثرَ الناسُ علينا في هذه الآية: ﴿**قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ**﴾ فكتبنا إلى ابن عباس نسأله عن ذلك، فكتب ابن عباس: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أوسط بيت في قريش، ليس بطن من بطونهم إلا قد ولده، فقال الله عز وجل: ﴿**قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا**﴾ إلى ما أدعوكم إليه إلا أن تودوني بقرابتي منكم، وتحفظوني بها.

أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش: لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم مالا تعطونيه، وإنما أطلب منكم أن كفوا شركم عني، وتذروني أبلّغ رسالات ربي، إن لم تنصروني؛ فلا تؤذوني بما بيني وبينكم من القرابة، يعني كفوا عني أذاكم، فلا تؤذوني لقرابتي منكم، أن تكونوا أولى بي من غيركم، فاتبعوني؛ فاتباعكم

لي هو صلة رحم بي وبكم، فهذا الذي فهمه الصحابة ﷺ في هذه الآية الكريمة المحكمة.

أما الحديث الذي احتج به الجفري في محاضرته التي سماها «رحلة الإيمان» وهو عن ابن عباس؛ قال: لما أنزلت هذه الآية: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم؟ قال: علي وفاطمة وولداها ﷺ. فهذا الحديث إسناده ضعيف؛ ففيه مبهم لا يُعرف، عن شيعي محترق وهو حسين الأشقر ولا يُقبل خبره، وفيه قيس بن الربيع تغيّر لما كبر وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه، فحدّث به، والآية كما هو معروف آية مكيّة كما تقدّم، ولم يكن إذ ذاك لفاطمة أولاد، فهي لم تكن قد تزوجت بعلي ﷺ بعد، فقد تزوجت في المدينة النبوية في السنة الثانية من الهجرة بعد غزوة بدر الكبرى .

ما هو الحب الحقيقي لآل البيت ؟

وما تقدَّم من الكلام لا يعني ولا يُفهم منه بغض آل بيت، بل يجب الإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم، فهم من ذرية طاهرة ومن أشرف الأنساب نسبًا، وأشرف بيت حسبًا وفخرًا، ولاسيما إذا كانوا متّبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجليَّة، كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه، وعلي وأهل بيته وذريته ﷺ .

أما المبتدعة ممن انتسب إليهم؛ فلا كرامة لهم، بل هم أبعد من أن يكونوا فضلاء، بل هم عملاء لكل من حارب الدين باسم الدين، كيف لا؟ وهذا علي وأبناؤه قد حفظوا وصية رسول الله ﷺ ، من التحذير من مشابهة اليهود والنصارى، من الوقوع في مغبَّات الشرك؛ باتخاذ القبور مساجدًا وأعيادًا وأوثانًا كما تقدم الكلام عنهم في هذا الموقف، وأيضًا حفظوا وصيةً أخرى قالها رسول الله ﷺ : «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**» فأخلصوا دعاءهم وعبادتهم لله، ولم يترددوا على قبور الأموات؛ ليسألوهم من دون الله، أو مع الله الحي الذي لا يموت سبحانه الذي بيده النفع والضر وحده لا شريك له في ذلك.

أما الجفري الذي يقول أنه من آل البيت، فهو يدعو إلى الذّهاب إلى القبور، والتمسح بها وتقبيل أعتابها وأحجارها، والبكاء عندها، ويطلب منهم المدد، و. . و. . إلخ كما تقدم، ثم يحتج بهذه الأفعال بالأحاديث الضعيفة والموضوعة في فضل زيارتهم، وبنظم

الأدعية الخاصة التي تُتْلى عندهم، وبالأشعار الشركية التي تُنشد عندهم، وهو يستبدل أماكن العبادة - وهي المساجد - بالقبور، وتعظيمها أكثر منها.

فلم يكن علي رضي الله عنه ولا أبناؤه يترددون على قبر النبي صلى الله عليه وسلم، ولا قبور أقربائهم فيقبلونها أو يتلقون عنها كما يفعل كثير ممن ينتسب إليهم اليوم،لم يكن أحد من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم - علي وأبناؤه رضي الله عنهم - يفعل كما يفعل اليهود والنصارى والهندوس والبوذيون في معابدهم من تقبيل العتبات والبكاء عندها، وتقديم النُّذور وإلقاء الأموال وطلب الحاجات إلى الأموات، من دون الحيّ الذي لا يموت سبحانه وتعالى، ولم يكن في أهل السنة من أفرط في حب آل البيت حتى أداه حبه إلى التوجه إليهم بالأدعية وشد الرحال إليهم، وجعل شد الرحال إليهم أكثر ثوابًا من زيارة بيت الله.

فأهل السنة يستنكرون أن تكون القبور واسطة بين العباد وبين ربهم، بل الذي عند أهل السنة، أنه لا يجتمع المسجد والقبر في دعاء الموحِّد الواثق بالله، فالمسجد والقبر عند أهل السنة نقيضان لا يجتمعان في عبادة عابد لله تعالى، كما قال تعالى: ﴿**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً**﴾(الجن:١٨)، فكيف يجتمع إسلام رجل يصلي في المسجدِ لله، ثم يخطو قليلاً إلى قبر فيه، ويقول: يا فلان، ويا علاّن، هذا هو التأليه بعينه لغير الله، فلم يكن هذا في علي وأبنائه رضي الله عنهم، فهم تربّوا في مدرسة رسول الله صلى الله عليه وسلم، مدرسة التوحيد، وسد ذرائع الشرك، مدرسة الموحدين المحاربين؛ لإعلاء الكلمة الطيبة «(لا إله إلا الله»). وأما الآية الثانية: وهي قوله سبحانه تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ (الأحزاب: ٣٣)

فهذه الآية الكريمة المحكمة، ليست كما زعم الجفري أنها نزلت في فاطمة وعلي وأولادهما رضي الله عنهم وفي نسلهم إلى يوم القيامة... كما قال في محاضرته! بل هي كما قال الله عز وجل أنها في أمهات المؤمنين رضي الله عنهن؛ فانظرها في كتاب الله، حيث قال الله عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ...**﴾(الأحزاب:٢٨)، إلى قوله سبحانه: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (٣٣)**

﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ إلى آخر الآيات التي نزلت بخصوص أمّهات المؤمنين، أي: خاصة بهن .

وكان عكرمة رحمه الله يقول: من شاء باهلته، إنها نزلت في شأن نساء النبي ﷺ ، وروى ابن جرير في تفسيره (٨/ ٢٢) أن عمر ﷺ كان ينادي في السوق: «**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**» نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة، وكذا عن عكرمة رحمه الله كان يفعل فعل عمر ﷺ .

من هم أهل البيت ؟

واعلم أخي المسلم! أنه لا يعني المراد بأهل البيت هم أزواج النبي ﷺ فقط، بل إن أزواج النبي ﷺ من أهل بيت النبي ﷺ ، وإلاَّ فأهل النبي ﷺ كثير، يدخل فيهم أزواجه أمهات المؤمنين ﷺ، وهذه الآية نص صريح في دخولهن في أهل البيت، ولكن الآية نزلت خاصة بهن دون غيرهن - أي سبب النزول - فأهل النبي ﷺ أعَمّ مما فهمه الجفري الصوفي الخرافي؛ الذي حصر أهل البيت بعلي وفاطمة وأولادهما ﷺ ومن نسل منهم، فأهل البيت يدخل فيه أولاد وبنات النبي ﷺ ، وأزواجه، ويدخل فيه أولاد فاطمة من علي ﷺ ، ويدخل فيه بيت نسبه كالعباس وأبنائه وبنو أعمامه منهم، وعلي ﷺ يدخل في أهل البيت لكونه زوج فاطمة، وابن عم رسول الله ﷺ ، وكذلك الصحابة ﷺ كما سوف نبينه إن شاء الله.

ففي صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: نزلت هذه الآية: **﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾**(آل عمران: ٦١). دعا رسول الله ﷺ عليًّا وفاطمة وحسنًا وحسينًا فقال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي**» .

وفي مسلم أيضًا عن أم المؤمنين عائشة ﷺ قالت: خرج النبي ﷺ غداةً وعليه مِرطٌ مُرَحَّل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾** .

وفي رواية عند ابن جرير وزاد فيها: عن واثلة بن الأسقع ﷺ قال: وأنا

يا رسول الله صلى الله عليك من أهــلك ؟ فقال ﷺ : «**وأنت من أهلي**» ، قال واثلة رضي الله عنه : «وإنها من أرجى ما أرتجي» ، وفي رواية قال : « فوالله إنها لأوثق عمل عندي» .

أما الرواية الـتي جاء بها الجـفري في مـحاضـرته ؛ أن جبريل أدخـل رأسه في المرط معـهم ؛ فهـذا من إدخالات الجـفري على الأحاديـث وليّ أعناقها ، ولـو بالضعيف مـنها والموضوع .

وعن أسامـة بن زيد رضي الله عنهما : عن النبي ﷺ أنه كان يأخـذهُ والحسنَ فـيقـول : «**اللهم أَحبَّهما؛ فـإني أُحبُّهما**» وفي رواية : قال أسامة : كان رسول اللـه ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه ، ويقعد الحسن بن عليٍّ على فخـذه الأخرى ، ثم يضمهما ، ثم يقول : «**اللهم ارحمهما فإني أرحمهما**» رواه البخاري .

وعن عليّ رضي الله عنه قال : مـا جمع رسول الله ﷺ أباه وأمه إلا لسـعد بن أبي وقاص قال له يوم أحد : «ارمِ فداك أبـي وأمي» رواه الترمذي ، وعن جابر قال : أقبل سـعد فقال النبي ﷺ : «**هذا خالي ! فَلْيُرِني امرؤٌ خاله**» رواه الترمذي والحاكم ، وإسناده حسن قال الترمذي -رحمه الله- : كـان سعد من بني زهرة ، وكانت أم النبي ﷺ من بني زهرة ؛ فلذلك قال النبي ﷺ : «**هذا خالي**»، وقال ﷺ لفاطمة ابنته : «**يا بنية ! ألا تحبين ما أحب؟**» قالت : بلى ، قال : «**فأحبّي هذه**» يعني : عائشة . متفق عليه .

وكـان الأنصار من أحـب الناس إلى رسول اللـه ﷺ فقـال لهم : «**اللهم أنتم من أحب الناس إلي**» متفق عليه .

وكـان سلمان الفـارسي رضي الله عنه - وهو رجل من فـارس - من أهل البيت كـغيـره من الصحابة رضي الله عنهم ، فعن أبي البـختري سعيد بن فيروز قال : قـالوا لعليٍّ : أخبرنا عن سلمان ، قـال : «أدرك العلم الأول ، والعلم الآخـر ، بحر لا يـنزح قعـره ، هو منّا أهل البـيت» رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» بإسناد صحيح ، وهو كما قيل عنه :

فـقـد رفع الإسـلامُ سلمـانَ فـارسٍ
وقـد وضع الـكفـرُ النسب أبا لـهب

أما الرواية المرفوعة التي يحتج بها الجفري ؛ «سلمان منا أهل البيت» فهي رواية ضعيفة

جدًّا، في أسانيدها ضعاف وكذابين وروافض؛ انظر: السلسلة الضعيفة للألباني -رحمه الله- (٤٠٣٧).

فالجفري لا يتقي الله في روايته للأحاديث، فتراه كثيرًا ما يحتج ببدعه بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، ولا يدافع عن رسول الله ﷺ بتبرئته من أقوال غيره المنسوبة إليه، ومن العجب العجاب أن هذا الدَّعْبوس يدعي علم الجرح والتعديل، وهو لم يشم رائحة هذا العلم العزيز العظيم.

فإن قال: أنا عالمٌ بهذا العلم، ودخلت بحره، وخضتُ لُجَّته؛ فنقول له حينئذ: أين أنت من حديث رسول الله الصادق المصدوق ﷺ والثابت في الصحاح، والذي قال فيه ﷺ: «**من قال عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار؟**» ونقول أيضًا: أين المحبة لرسول الله الذي قال: «**إن كذبًا عليّ ليس ككذبٍ على أحد، فمن كذب عليَّ متعمدًا؛ فليتبوَّأ مقعده من النار؟**» متفق عليه.

فمن الأحاديث الضعيفة التي يقول بها الجفري في محاضرته «رحلة الإيمان»: قال: قال رسول الله ﷺ: «النجوم أمان للسماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض».

فالجفري يقول بهذا الحديث ليبرر حصره لأهل البيت بفاطمة وعلي ونسلهما رضي الله عنهم غلوًّا فيهم، وهذا الحديث أقرب ما يكون للوضع كما قال الذهبي في «التلخيص»[(١)].

فالحديث وإن كان ضعيفًا موضوعًا، فهو ليس على ما يريد الجفري؛ فنحن لا نسلّم له بأن أهل البيت محصور على عليّ وفاطمة وأولادهما رضي الله عنهم كما تقدم، فلو أن الحديث صحَّ -وهو لم يصح سندًا- فمعناه فيما رواه مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**النجومُ أَمَنَةٌ للسماء، فإذا ذهبت النجومُ أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**».

فأهل بيت النبي هم الصحابة الذين حملوا الدين؛ فنفوا عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، وقد تحقق ما قاله ﷺ إلا الطرف الأول من الحديث،

---

(١) «المستدرك» (٢/٤٤٨)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٤٦٩٩).

وهو آتٍ لا محالة، وقريب جدًّا؛ فالذي بقي من الدنيا أقل بكثير مما مضى منها، والله المستعان.

لقد أتى الأمَّةَ ما تُوعد:

لقد ذهب الرسول ﷺ والصحابة ﵃ وماتوا جميعًا، فأتى الأمة ما كانت توعد؛ فظهرت البدع، وتغلّبت الأهواء، واخْتَلَفَت العقائد، وتعاظمت الفتن والمصائب، وكثر الجهل وعم في الأمة وطمّ؛ حتى صار كثير منهم لا يعلم أين الحق ومع من ؟! لجهله وتقصيره في طلب العلم الشرعي، أو أخذ العلم ممن ليس بأهل؛ حتى صار المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، وهذا هو علامة اندثار العلم، وعُطِّل الحكم بما أنزل الله إلا عند من رحم الله، وسُخِّرت الفتاوى لنصرة الهوى والرغبات والشهوات، فانقسم المسلمون على أنفسهم، وتفرقوا شيعًا وأحزابًا ﴿**كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾(المؤمنون: ٥٣).

نعم لقد كان العز والنّصر والمجد والرِّفعة في عهد رسول الله ﷺ وأصحابه، وها نحن الآن نتخبط في دياجير الظلام، فلا يُسْمَع لنا صوت إلا في الأنين والشكوى وطلب الإنصاف، فنرجو رحمة الأمم الكافرة، ونخشى قهرها وتدميرها، فالأخبار والصحف تتحدث عما يمسنا من قتل واحتلال وغزو واستعباد، ومؤامرات وخطط تحاك لأمتنا، والحزبية البغيضة من جهة أخرى تنهش بأظفارها في جسم الأمة، وباسم الإسلام يُهاجم الإسلام ويُهاجم العلماء الربانيون والدعاة، وباسم أهل البيت يُسب أهل البيت، بدعوى حب أهل البيت يُشرك بالله، ويُكذب على رسول الله، والبدع تُقدَّس وكأنها سنن وأصل من أصول الدين وركن من أركانه، حتى صار صاحب السنة المدافع عنها كأنه مبتدع، أما صاحب البدعة فكأنه صاحب سنة، يُلزم اتباعه وحرام مناقشته ورد شُبَهِهُ، كثر الكذب على رسول الله ﷺ دون حياء ولا خوف من الله تبارك وتعالى.

لقد مات رسول الله ﷺ وأصحابه؛ فأتى الأمة ما توعد، فامتطى الإسلام ذوُوا الأهواء والشبهات؛ حتى أصبح الحليم في حيرة وقلق، وحتى صار من العسير على عامة الناس تمييز الصحيح من السقيم، حتى صار من يدعو الناس؛ يخالف هدي سيد الناس في سمته وملبسه؛ فترى بعضهم يُحبِّب الناس بهدي النبي ﷺ ، وهو حالق للحيته وكأن

شيئًا لم يكن، وإذا سُئل عن هذه الفعلة الخارمة للمروءة قال: اللحية تعيقني عن الدعوة! وترى بعضهم يدعو إلى تصحيح الأخلاق وهو يلبس لباس الكفار، الذي قال ﷺ عنه: «**إنه لبس من لا خلاق له**»، وقال: «**إنه لبس الكفار فلا ألبسه**»، وترى بعضهم يدعو الناس إلى التحلي بشمائل النبي ﷺ ولكن تراه مسبلاً لثوبه، الذي قال ﷺ عن هذا الفعل: «**ما جاوز الكعبين من الإزار ففي النار**»، وهذا من كبائر الذنوب، وترى بعضهم يدعو إلى الفضيلة ومحاربة الرذيلة، فتراه يجمع الرجال والنساء في مجلس واحد، مع تسليط أضواء الكاميرات على جميلات الحضور.

هذه هي الحيرة التي حيرت عامة الناس، بل وأقلقت الدعاة الربّانيين، حتى لو أن أحدًا من أولئك قال: قال رسول الله ﷺ؛ لزم الدعاة الربانيون أن يبحثوا عن صحة الحديث من ضعفه، فإذا عرفوا؛ لزمهم أن يتعرفوا على فقهه وما يُرشد إليه؛ لئلا يُغالَط الدين باسم الدين، فيُخالف مراد الله ومراد رسوله إلى الهوى والعصبية والغلو، فعليهم - أي: الدعاة الربانيون- حينئذ أن يغوصوا في بحور أصول الفقه؛ لعلّهم يخرجوا على شواطئه بنتيجة، فإذا وصلوا من هنا وهناك بأمان؛ نسوا العمل بما علموا، وقعدوا عن الدعوة بما ينبغي أن يعملوا إلا من رحم الله وأعان، والله المستعان.

أليست هذه المصائب والمتاعب من نتاج موت النبي ﷺ وأصحابه الأطهار؟ أليس هذا كله مِنْ تَرْكِ العمل بالقرآن والسنة الصحيحة؟

إن الخروج من هذه الحالات المريرة ما يكون ولن يكون إلا بالعمل بهذين الوحيين اللذين ما مات النبي ﷺ إلا وحث الأمة بتتبع ما فيهما من الكنوز، فإن لم نفعل فهي الضلالة التي عند اليهود والنصارى - المغضوب عليهم والضالين - عصمنا الله منهم ومن أفعالهم.

مَنْ هُم العِتْرَة؟

الجفري من الدعاة الذين يريدون تغيير دين الله، الذي أُرسل به رسول الله، فيدعي أن قول النبي ﷺ: « **يا أيها الناس! إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا؛ كتاب الله، وعترتي أهل بيتي** »، وفي رواية: «... **الثّقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله**

حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا وإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض »، وفي رواية: « . . . **فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي** » فهذه الأحاديث صحيحة رواها أحمد ومسلم والترمذي وغيرهم، فالجفري أراد تضليل الأمة في المراد من قوله ﷺ : « **عترتي أهل بيتي** »؛ فيدعي أن المراد بهم هم فاطمة وعليّ والحسن والحسين رضي الله عنهم وما تناسل منهم، وقد تقدم الكلام في هذا مفصلاً، فلله الحمد والمنة ، ولكن بقي الكلام في العترة، فمن هم العترة؟

فمن السهل أن نتعرف على العترة من الحديث نفسه، فيقول النبي ﷺ : « . . .**وعترتي أهل بيتي** » فالعترة هم أهل بيت النبي ﷺ ، والأصل هم نساؤه رضي الله عنهن ، كما هو صريح آية الأحزاب المتقدمة الذكر، أما تخصيص الجفري في العترة أنهم فاطمة وأبناؤها، فهذا ما يقول به إلا من مرض قلبه بالتشيع، فالجفري هنا يحاكي الشيعة الذين ديدنهم تحريف آيات الله؛ انتصاراً لمذهبهم وأهوائهم.

أما أهل السنة؛ فقد أعطوا النصوص حقها، وعملوا بها وبمجموعها، فعلموا أن العترة في هذا الحديث، هم أهل العلم المطلعون العارفون، سواء كانوا من نسب النبي ﷺ أو من أزواجه، أو من صحابته، فأعظم من تمسك بسنَّة النبي ﷺ هم الخلفاء الراشدون، فقد وصى بهم ﷺ بقوله « . . . **أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن كان عبداً حبشيًّا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيراً؛ فعليكم بسنّتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة** » رواه الخمسة، وقال تعالى: ﴿ . . .**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾ (النساء: ٨٣)، قال القارئ في «المرقاة» (١/ ١٩٩)، بعد ذكره للحديث المتقدم: «فإنهم لم يعملوا إلا بسنتي، فالإضافة إليهم، إما لعلمهم بها، أو لاستنباطهم واختيارهم إيّاها». ا هـ .

فأهل العلم لن يعملوا إلا بسنة نبيهم ﷺ ، لهذا وصى بهم النبي ﷺ فقال: «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما؛ كتاب الله وسنة رسوله**»، رواه مالك في «الموطأ» .

فهـذا الحديث يبين لنا فيه النبي ﷺ أن الخـلفاء الراشدين المهديين هم من عـترته، ومن أهل بيته الذين وصى بهم، قـال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمـه الله: «العترة هم أهل بيته ﷺ؛ الذين هم على دينه، وعلى التـمسك بأمره ﷺ، وهذا يعني أنهم هم العلمـاء الصالحـون المتمـسكون بالكتاب والسنة، وقـال ابن الأثير في «الـنهاية»: (عـترة الرجل: أخص أقاربه، وعتـرة النبي ﷺ: بنو عبد المطلب، وقيل: أهل بيـته الأقربون، وهم أولاده وعلي وأولاده، وقيل: عترته الأقربون والأبعدون منهم، ومنه حديث أبي بكر رضي الله عنه: «نحن عـترة رسـول الله ﷺ وبيـضتـه التي تفـقّأت عـنهم»؛ لأنهم كلهم من قـريش، ومنه حديثـه الآخـر: قال للنبي ﷺ حين شـاور الصـحابة في أسـارى بدر: «**عترتك وقومك**»، أراد بعترته العباس ومن كان فـيهم من بني هاشم، وبقومه: قريشًا، والمشهور المعروف أن عترته أهل بيته الذين حُرّمت عليهم الزكاة..) اهـ.

ومن هذا كله وبمجـموعه نعلم أن المراد من الحـديث الذي فيه الـعترة، هم أهل بيـته بوجـه العـموم، لا بالـتخـصـيص، وهم الذين تمسكوا بسـنته ﷺ، سـواء كـانوا من صلبه ﷺ، أم كانوا من قومه من المهاجـرين والأنصار رضي الله عنهم، أم كانوا من الذين اتبعوهم بإحسـان، وكل من هؤلاء لهم أحكام تتقـيد بهم، فأهل بيـته لا تحل لهم الصدقـة، فهم يحملون نسبه الشريف، والمهاجرون هم من أول الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا، والأنصار دخلوا معهم، فصاروا منهم، فهم كَرش النبي ﷺ وبطانته وأهل سره، والذين اتبعوهم بإحسان صاروا منهم أيضًا، والذين جاؤوا من بعدهم هم منهم، وآخرون منهم لم يلحقوا بهم؛ فهم أيضًا منهم، وكلهم قد أذهب الله عنهم الرجس وطهـرهم تطهيرا، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤) وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ (الأنفال: ٧٤، ٧٥) وقال الله تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ (التوبة: ١٠٠) وقال تعـالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ**

الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: ٦٤)، فـ« **المرء مع من أحبّ**»، و«**من أحب قومًا فـهو منهم**»، و «**حُشر معهم**» كمـا جاء في الأحـاديث النبوية الصحـيحـة الثابتة، فـويلٌ لمن أبغض أو سبَّ أو انتقص أحدًا منهم، ولا سيِّما الصّحابة سـادة الأُمَّة، وعلى رأسهم الصديق الأكبر والخليفة الحق الأعظم حبيب رسـول الله ﷺ وحبيب أمته، أبو بكر، ثم فاروق الأمـة عمر، ثم عثـمان الحيي، ثم علي أبو الحـسن والحسين رضي الله عنهم، فنحن نواليهم، ونعـادي من عاداهم، فنواليهم ونوالي من والاهم؛ لأنهم متبعون لا مبتدعون، ولأنهم يقتدون ولا يبتدون، فهم حزب الله المفلحون، وعباده المؤمنون.

قال ابن عمـر رضي الله عنهما: «كنا نُخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخـير أبا بكر ثم عمـر بن الخطاب ثم عثـمان بن عـفان»[١] وفي رواية له: «كنا في زمن النبي ﷺ لا نعـدل بأبي بكر أحـدًا ثم عمـر ثم عـثمـان ثم نتـرك أصحـاب النبي ﷺ لا نفـاضل بينهم»[٢]، وفي رواية عند أبي داود والترمذي: «كنا نقول ورسول الله ﷺ حيّ: أفضل أمة النبي ﷺ بعده أبو بكر ثم عـمر ثم عثمان»، وفي رواية عند الطبـراني وغيره بزيادة صحيحة: «فيسمع ذلك النبي ﷺ فلا ينكره»[٣].

فـهؤلاء هم الخلفـاء الراشـدون المهديون ومـعهم علـي رضي الله عنه الراشد الرابع؛ لفـضله وإجماع أهل عصـره بخلافته، وهو من أهل الشورى الذين قدمهم عمـر رضي الله عنه في اختيار الخليفة بعده، فاختاروا أفضلهم؛ وهو عثمان الحيي رضي الله عنه وهم المذكورون في هذا البيت:

علي وعـــثـــمـــان وســعـد وطلحـــة
وزبيـــر وذو عـــوف رجـــال المشـــورة

أما من لم يتمسك بالسنة، ولم يقتـدِ بأهلها، وابتدع في الدين، ولبس على عباد الله بالتزييف والتزيين؛ فهو ليس من العترة، وإن كـان نسبه متصل صحيح إلى النبي ﷺ، فالتمسك بالكتاب والسنة سماه النبي ﷺ «**ثقلين**» كما في بعض الأحاديث كما تقدم، قال ابن الأثيـر في «النهاية»: (ثقل: « **إني تارك فـيكم الثقلـين: كتـاب الله وعتـرتي** »

(١) رواه البخاري (٣٦٥٥)
(٢) البخاري (٣٦٩٧)
(٣) انظر: «فتح الباري» (٧/ ٢١).

سماهما ثقلين؛ لأن الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل. ويقال لكل خطير نفيس: ثقل، فسماهما ثقلين؛ إعظامًا لقدرهما وتفخيمًا لشأنهما). انتهى.

بناء عقيدة الجفري بأحاديث ضعيفة أوهن من بيت العنكبوت:

ومن الأحاديث التي بنى عليها الجفري عقيدته القبوريَّة، من شد الرحال إلى القبور للدعاء عندها، وطلب المدد من أصحابها: «أدِّبوا أولادكم على ثلاث خصال: على حب نبيكم، وحب أهل بيته، وعلى قراءة القرآن. . .» فهذا الحديث ضعيف جدًّا، رواه الديلمي (١/ ١/ ٢٤) وفيه عدة علل ذكرها الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٢١٦٢)، وهو مع ضعفه فليس فيه الترغيب بشد الرحال إلى قبور آل البيت كما زعم في محاضرته، ولكن فيه الترغيب بحب النبي ﷺ وأصحابه الأطهار، وبقراءة القرآن، ولكن نحن لا نحتج به، بل نحتج بما صح عن النبي ﷺ بهذه الأمور، فننظر إلى ما صح عنه ﷺ في ذكر الأمور التي توصل إلى حب النبي ﷺ .

فالحب له ﷺ ليس حبًّا عاطفيًّا مجردًا من اتباع ما جاء به، فإن المحب لمن يحب مطيع، فالمحبة الموصلة إلى الاجتماع به في الجنة هي تصديقه فيما أخبر، واتباعه فيما أمر، والانتهاء عما نهى عنه وزجر، وألا يُعبد الله إلا بما شرع، وهذا كله نستنبطه من أحاديث فضائله وشمائله وأخلاقه وسيرته، وتطبيقها على النفس بقدر الطاقة والاستطاعة، وأما التأدب بحب أهل بيت النبي ﷺ ، فهو لا يمكن أن يكون إلا بالتأمل في سيرهم ومناقبهم، ومناقب الصحابة لا يخلو منها كتاب، فنبدأ بمناقب الصحابة وأقربهم بالنبي ﷺ ، فأولهم الصديق ثم الفاروق ثم ذو النورين ثم الصهر أبو تراب ثم باقي العشرة المبشرين بالجنة.

وهكذا نتبع ما كانوا عليه من المسابقة بالخيرات والفوز بالجنات، فمحبة الرسول ﷺ والصحابة ليست محبة عشق، التي سماها الجفري لأهل مصر بقوله في محاضرته: محبة المصريين لآل البيت محبة سُنِّيَّة، فهم عشاق آل البيت، هكذا قال في المحاضرة وبهذا اللفظ .

فقوله هذا ومدحه لهم؛ لكونهم عظموا قبورهم بالدُّعاء عندها، والنذر لها، والطواف حولها، وذبح القرابين لها، وطلب المدد منها، وطلب الشفاعة ، و. . و. . إلخ.

ثم يشيد بأفعالهم تجاه قبر البدوي والسيدة نفيسة، وزينب والدسوقي والرفاعي وغيرهم، وما يفعله هو معهم تجاه المقبورين من الشرك الأكبر والذنب الذي لا يُغفر، ثم يُنكر على من سمى أفعاله عند القبور شركًا؛ من توسل، وطلب الغوث والمدد من المقبورين، بالادعاء أنهم يَسْمَعون ويُسْمِعون ويَنْفَعون ويُنْفِعون، فيقول في محاضرته: إن الذين يتَّهمون من يفعل فعله بالشرك؛ إنهم أتباع كل ناعق، ثم يبرر شركياته - التي يعتقد أنها ليست شرْكيَّات- بقوله: إن التمسك بحب آل البيت أمان من الشرك، فتراه يشرك بآل البيت، ويدَّعي أن محبتهم أمان من الشرك، فيفعل ما يفعله تجاه قبورهم، فيقول في المحاضرة: حب آل البيت عبادة؛ فوجه الناس إليها بعقيدة عبّاد القبور الجاهليين، فما أدري ماذا يخرج من رأسه من التناقض العجيب، فتراه يدعو إلى محبة القرآن، وما ينتبه إلى آيات الله وما فيها من الذكر الحكيم.

فالله العليم الخبير يقول: ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ (محمد: ٢٤).
فتراه في محاضراته مطبق قلبه على البدع، مزينها بفهمه القاصر دون ورع، وهذا هو الذي أوصله إلى الإعراض عن معاني القرآن الواضحة النيرة، وهذا هو القفل الذي أُطْبِقَ على قلبه، فيفهم القرآن على فهم المبتدعة؛ من أصحاب وحدة الوجود، وغيرهم، ففي محاضرته المسماة برحلة الإيمان - والحق أنها رحلة الشيطان ببني الإنسان إلى جحيم النيران - يتكلم بكلام غريب في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾(الأحزاب: ٣٣). فيتكلم في التطهير، محاكيًا كلام المبتدع الضال ابن عربي في «الفتوحات المكية» (١/ ١٩٦-١٩٨)، حيث قال: فإنه لو صدر من أهل بيت النبي ﷺ - يقصد الحصر بعلي وفاطمة وابنيهما رضي الله عنهم - أي شيء؛ فقد عفا الله عنه، وأنه لو أن سلمان الفارسي على أمرٍ يشنؤه الله؛ فهو مطهر بالنّص: «**سلمان منا آل البيت**»، فسلمان قد ورث هذا الشرف، فسلالة فاطمة رضي الله عنها مُحَرّمين على النار كما في الحديث: «**إن فاطمة حصنت فرجها فحرم الله ذريتها من النار**». ا هـ. وهذا حديث ضعيف جدًّا كما بين عواره الألباني -رحمه الله- في «الضعيفة» (٤٥٦).

والجفري يدَّعي أنه من سلالتها، فيستحيل عليه وعلى من انتسب إلى النبي ﷺ أن يدخل فيهم الشرك بهذا الحديث، بل الذي يفعلونه في قبوريّاتهم هو خالص التوحيد،

وصريح الإيمان، وكأنهم أمِنوا من الشرك الذي استعاذ منهم شيخ الموحِّدين إبراهيم – عليه السلام – فوقع الجفري فيما زعم أنه معصوم منه، فدخله هو ومن اتبعه من الغاويين من أوسع أبوابه .

قال ﷺ : «**إن الله عز وجل أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء، الناس بنو آدم، وآدم من تراب، مؤمن تقي، وفاجر شقي، لينتهين أقوام يفتخرون برجال إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع النتن بأفواهها** » (رواه أبو داود والترمذي وحسنه)، ففي هذا الحديث توجيه من النبي ﷺ لأمته بعدم الافتخار بالأنساب، فلعل من كان منهم على غير الصراط المستقيم، فيفخر بهم؛ فيقع في جاهليتهم دون أن يدري، فيكون كالجعلان التي تدفع النتن بأفواهها .

فهذا ما بنى الجفري عليه عقيدته التي هي أوهن من بيت العنكبوت، وخالف عقيدة السلف الصالح الذين بُنيت بيوتهم من الحديد وصخور الجلاميد؛ فقرآن ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ (فصلت :٤٢) . وسنَّة نبوية صحيحة صدرت من صفي الله وسفيره إلى الثقلين محمد بن عبد الله ﷺ ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾(النجم :٣، ٤) وفهم ثاقب من سلف أبرار أطهار عدول أكابر، لا تخاض لجتهم، ولا تُنقض حجتهم ﴿**فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾(الأنعام :٨١) . والجواب من الله تبارك وتعالى :﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾ (الأنعام :٨٢) .

فأيُّ الطائفتين أصوب؟ هل هي الطائفة التي بنت بيتها من الحديد والجلاميد؛ فعبدت ربها الذي بيده الضر والنفع، أم الطائفة التي بنت بيتها من نسيج العنكبوت، أومن خميلة شعاع الشموس، فعبدت من لا يضر ولا ينفع، فأيهما أحق بالأمن من عذاب الله يوم القيامة؟

لا شك أن الجواب الذي في الآية الكريمة هو الجواب المنقذ من العذاب : ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ**﴾ فأخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له، الذي لا شبيه له، ولا ند له، فأولئك هم الآمنون يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، وهم المهتدون في الدنيا والآخرة .

جاء في البخاري بسنده عن علقمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ قال أصحابه: وأينا لم يظلم نفسه؟! فنزلت: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ وفي المسند والبخاري عنه رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ شقّ ذلك على الناس فقالوا: يا رسول الله ! أينا لم يظلم نفسه؟ قال: «**إنه ليس الذي تعنون! ألمْ تسمعون ما قال العبد الصالح: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ إنما هو الشرك**» .

فاحذر الشرك يا عبد الله، فإنه أعظم ذنب عُصيَ الله به، فإنه الظلم العظيم، ولا يغفره الله حتى يلج الجمل في سم الخياط: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾.

فاللهم اهد الأمة فإنه مُلَبَّسٌ عليهم في دينهم، اللهم اكشف عن أمة محمد ﷺ الغمّة والغمامة التي لُبِّستها، واكشف أمر الملبسين عليها، وافضحهم بصفحات وجوههم وفلتات ألسنتهم، حتى يبدوَ ويتضح للأمة من كلامهم الدّال على مقاصدهم، فاللهم أخرج أضغانهم، فإنهم كرهوا ما أنزلتَ، واتبعوا ما أسخطتَ، وكرهوا ما ارتضيتَ، فعليك اللهم بهم، وبما أسروا وما أعلنوا. . . . . آمين. .

الخاتمة: - أسأل الله تعالى حسنها -:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين؛ نبينا وحبيبنا وقدوتنا وأسوتنا محمد، وعلى آله وأهله وأزواجه وأصحابه وعترته، ومن اتبع هديه إلى يوم الدين، وبعد:

فكانت هذه وقفات مع علي الجفري، الذي كُشِفَ أمره، وافتُضِح على رؤوس الأشهاد؛ فالأشهاد هم الذين أرادوا الحق للوصول إلى السعادة والتوفيق، أما غيرهم من الذين رفضوا الحق؛ فإنهم متشبّعون بما لم يُعطوا، فلم ينفعهم كلام، ولم يهتدوا إلى مرام، فهم محرومون من التوفيق في الدنيا والآخرة، وهم مخدوعون بالطّشاش، فلم يسْلموا من الرّشاش، ويحسبون أنهم على شيء، وهم يحملون الحقد والبغض لأهل الحق، فيحاولون تشويه سمعتهم بإساءة الظن بهم، وتضليلهم بشتى الطرق ولو بالكذب

الصّراح على الوحيين الشريفين ؛ وبالافتـراء على معانيهما ، ونسبة العقـائد الضالة إليهما ، وهما بريئان براءة الشمس من اللمس ، وبراءة الذئب من دم يوسف عليه السلام .

ومع هذا كله يدّعي الجفري وطقته أنه من طائفة أهل السنة والجماعة ، ومن أتباع أهل بيت النّبوة ، وهو على خـلاف كبير مـعهم ؛ فهم على بعد سـحيق من تصوّفـات الجفري وتصوراته ، بعيدون عن عـقيدة ابن عربي وابن الفارض اللذين يدعو الجـفري إلى الانتماء إليهما ، وبقراءة كتبهما ، فأهل البيت بعـيدون كل البعد عن عقيدة وحدة الوجود وقائليها ، وبعيدون عن الاستغاثة والاستعانة بغير الله، لا بنبيٍّ مرسل ، ولا بملك مقرَّب ، فضلاً عن غيـرهما ، فـأهل البيت بعـيدون كل البعـد عن تعليق التـمائم والتعـويذات ، ولم يكونوا منشغلين في قصد المشاهد والتبرك بـها ، وطلب الإمداد وكشف الكربات منها ، فلا وحدة وجـود عندهم ، ولا توسل بيـا رسـول الله، ولا بيـا عليّ ، ولا بيـا غـوث الفـلاّني ولا العلاّني ! فآل البيت ليـسوا من المشتغلين بشدِّ الرِّحال إلى المقـبورين ، بل جعلوها بدعة في الدِّين ، وذريعة إلى محاربة رب العالمين . كما وضحنا في أعلاه .

بل الذي هم به موقـنون - أي أهل البيت ومن تبعـهم- أن الذي يكْشف الكربات ، ويذهب البليّـات ، ويشـفي المرضى ، ويغـيث المضطرّين ، ويقـضي الحاجـيّـات ، وكفـاية المهمّـات ، ومفـرّج الشّدائد والمضـايقات ، ومنجي من المصـيبـات ؛ ليس إلا الله سبـحانه وتعالى ، سبحانه القريب المجيب ، بمحض فـضله ومشيئته وحده لا شريك له ، ولا ندّ له ، ولا شبيه له سـبحانه ، فهو تعالى المستجـيب لمن دعاه من الصالحين ، ولمن أتاه بقلب سليم ولسان مبين ، ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ**﴾ (البقرة : ١٨٦) .

فقضاء الحاجات ، وكشف الكـرُبات و . . و . . إلخ ، ليست بتعليق الحجب والتمائم في الأعناق والآباط ، وليـست بشد الرحـال إلى القبـور ، وطلب منها الوصـول إلى رب الأرباب ، بل باللجوء الصحيح الصادق إلى الله الذي ﴿**لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ**﴾ (الرعد :١٤) ، فالذي يلجأ إلى ضريحٍ أو شجرٍ أو حجرٍ أو حجاب ، واعتقد البركة فيها والنفع . . ويقول : إنها أسباب لحصـول مسببات ؛ فلعمـري إنه عين الضّلال والاضْمِحْلال ونهايـة الخسار وسبب لكل دمـار ، فـمن ذا الذي يعـصم من الله إن أراد بنا سـوءًا ؟ هل هو الضـريح ؟ هل هو

الحجـاب؟ هل النّسب؟ هل . . هل . . ؟ مالي أراكم لا تنطقون؟! مـا الذي تعلمناه من كتـاب ربنا ومن سنَّة نبينا ؟ أليس يقـول الله لنبيـه رسول الله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠) قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ (الجن: ٢٠- ٢٢).

فالله تعالى يقول لنبيِّه: إن الدعاء هو العبادة، فمن دعا غير الله، أو دعا مع الله فقد أشرك كـما في الآية، ويقـول الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠). فجـعل الله الدعاء هو العبادة، فمن يكشف الضر؟ أليس هو الله وحده لا شريك له، كما قال سبحانه: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ﴾(الأنعام: ١٧) ، وكما قال : ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا﴾ (الأعراف: ٨٨). وغيـرها من الآيات الكثيرة التي تعنـي: أن من لم يأت بها على مراد اللـه فهو على خـطر عظيم، ما بعـده خطر؛ إنه الخلود في النار، إنه الذنب الأكـبر الذي لا يُغـفر، إنه الشـرك بالله؛ بحـيث يُظَنّ أن هناك أحـدًا لـه قوة وقـدرة وجبـروت وكبرياء، بحيث ينفع ويضـر ويشفع ويكشف الهم والكرب مع الله، أو منْ غير الله، هذا الذي رأيناه من الجفري الذي ما قدّر الله حق قدره؛ بجـعله المقبورين يُرجَوْن النفع والضر والبركـة والمدد، والنجاة، فيـدعو إلى التمـسح بها وبما جـاورها من أعتاب مـصنوعة من النحاس والخشب والحـجر، ثم يدعو إلى شد الرحل لها والطواف بها، والنـذر لها، كما يُفعل الآن بها: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الزمر: ٦٧).

فما قدّر الجفريُّ اللهَ حق قدره، ولـم يعظمه حق تعظيمه؛ وما علم أن كل خلقه تحت قهـره وقدرته سبـحانه وتعالى، فله سـبحانه الخـلق والأمر، وله وحده منزلة الإله، فـهو سبـحانه المعبـود الحق، وهو النّافع الضار، فنسيَ الجـفري أو تناسى أن الأنبيـاء والأولياء والشّهـداء والملائكة وملوك الأرض والجبـابرة، وكل الخلائق من الأزل إلـى الأبد؛ سوف يقـفون في يوم لا ينـفع فيـه مال ولا بنـون إلا من أتى الله بقلب سليم، سـوف يقفـون ويقـولون: اللهم سلِّم سلم، سوف يقـفون وهم خـاشعـون مُرهـقون: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ (مريم: ٩٣-٩٥).

فالكل فقير إلى إحسان الله ورحمته، والكل ضعيف بإزائه، والكل خائف منه ومن شدّته وبطشه، فهل بعد هذا لنا سوى الله تعالى؟

كفى بك عزًّا أنك له عبدٌ
وكفى بك فخرًا أنه لك ربٌّ

وقيل:

وابغ الكرامة في نيل الفخار به
فأكرم الناس عند الله أتقاها

هل بعد هذا نعتقد بالأضرحة والقبور، فنرجو النفع والضر من ساكنيها؟ فهل رأينا رسول الله يدعو إلى خوف غير الله؟

لا والله! لقد رأينا رسول الله شديد الخوف من الله العزيز الجبار، شديد العجز أمام إرادة الله، الذي خلقه والخلق أجمعين سبحانه صاحب القوة المتين، سبحانه الكبير المتعال، كان رسول الله ﷺ عبدًا من عبيد الله خلقه الله من تراب، وآثره بالوحي، فهو خير ما خلق الله، ولكنه ما زال عن كونه عبدًا لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا إلا بإذن الله، لا يملك لنفسه ولا يملك لسواه موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، فكيف بالله عليكم بباقي البشر؛ من صاحب ضريح محلل في التراب، يُظن به وببركته قضاء الحاجيّات، وكشف الكربات، ودفع البليّات؟ فوالله إن هذا ما بعده ضلال، وما بعده قصور في الإدراك.

والذي رأيناه من الجفري كثير وكثير، فكثيرًا ما يحارب الدعوة السَّلفية المباركة في محاضراته، وينتصر إلى دعوة المحاربين لها؛ فتراه ينصح بقراءة كتب المبتدعة الذين حاربوا دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب - كما تقدم في أول هذا الرد - فهو يدعو إلى قراءة كتب من استخف بشخصية هذا الإمام، واستحقر شأنه، وإن لم يذكر اسمه؛ فهو أحال إلى من ذكره في كتبهم، كما تقدم الكلام عنهم.

فهل يكون الجفري - بعد ما تقدم عنه - داعيًا إسلاميًّا؟ وهل يكون داعيًا إلى توحيد

رب العالمين وهو يطعن بدعوة إمام دعوة التوحيد، الذي أخرج الله العباد بدعوته من دعاء العباد إلى دعاء رب العباد؟ هل يكون الجفري داعيًا إسلاميًّا وهو يدعو العباد إلى عبادة غير رب العباد؟ بدعوته إلى شد الرحال إلى القبور، وذبح القرابين عندها والنذور، ثم يدعي أن هذا العمل مغفور؟ والله عز وجل قال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً**﴾(النساء: ١١٦) ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا**﴾(النساء: ٤٨)، فالجفري يعيش الآن في بلد السُّعودية! التي خلّص مؤسسوها بلادهم من قاذورات البدع والشرك والوثنيَّة، فهم يقيمون الشريعة الإلهية، وجاهدوا لذلك جهادًا عظيمًا، ولكن معيشته في هذه البلاد الطاهرة لم يستفد منها بأخذ عقيدته واتجاهه واهتمامه منها، بل استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، فوقع في أوحال الشرك بأخذه عقيدته من أناس ذكر أسماءهم وكتبهم، فهو يقلِّدهم، ويقلّد عقيدتهم في قلبه؛ كالشعراني والغزالي والحداد وابن عربي وابن الفارض والتّلمساني وابن سبعين وغيرهم ممن ذكرناهم في أول الرد، فهؤلاء القوم يقولون: إن الله هو عين الخلق -أي: هو الخلق- فالوجود عندهم واحد، وهو وجود الله، وسائر الأشياء موجودة بهذا الوجود، وليس لها وجود مستقل، يعني أن وجود الله هو عين وجود المخلوقات، لا أن المخلوقات وجود آخر، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا .

فهذه العقيدة الفاسدة ورثها الجفري منهم، فتراه يبثها للناس دون أن يشعروا، ويزكي أهلها، ويدس ويدش في ثنايا كلامه عقيدتهم هذه، وبالفعل فقد انطلى على الناس كثير مما يدعو إليه.

عاشوا كما عاش آباءٌ لهم سلفوا
وأُورثوا الدين تقليدًا كما وجدوا

والذي أدعو إليه أمة الإسلام أن يهجروا أهل البدع؛ بالابتعاد عنهم، وترك محبتهم وموالاتهم والسلام عليهم وزيارتهم وعيادتهم. . ونحو ذلك، فلا مجالسة معهم ولا مشافهة ولا مراسلة، بل الهجر الكامل في حقهم، حتى النظر في كتبهم، فإنه لا تؤمن

الفتنة منهم، فالابتعاد عن مواطن الضلال واجب لقوله ﷺ في الدّجال: « **من سمع به فَلْيَنْأَ عنه، فوالله إنَّ الرجل ليأته وهو يحسب أنه مؤمن، فيتبعه مما يَبْعَثُ به من الشبهات**»(١)، أما على من أراد أن يرد على أهل البدع؛ فلا بد من قراءة كتبهم بعد الحصانة منها بالعلم والعقيدة الصحيحة، فإذا وجد نفسه قادرًا على الرد؛ فإن الرد منه عليهم واجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، والرد على المبتدعة جهاد؛ لإثبات الحق وإبطال الباطل ولنصرة الله بنصر دينه من كل دخيل غريب؛ سواء كان الدخيل على الدين في الأقوال أو الأفعال أو العقائد، وسواء كان الدخيل بسبب التعصب للآراء والأشخاص، أو كان بسبب الكراهة لأئمة الإسلام والدين، أو كان بسبب الجهل بأمور الدين الذي بسببه انجر المسلمون إلى الذّل الصّغار والعار والدّمار والانهيار، و. . و. .إلخ.

ونحن إذ نقول هذا كله؛ لكي نرد العباد إلى حظيرة الإسلام، فإذا وقع أحد من العباد في أمور مخالفة لما جاء به الشرع المطهَّر، سواء كان في الأصول أو في الفروع - إن صح التعبير - فيجب رده إلى الحظيرة، وبيان ما وقع فيه من تلك المخالفات، حتى يسلم له إسلامه، فينجو في الآخرة بإيمانه، فهذا هو الدَّيْدَن الذي ندور حوله، فلا يُؤمِن أحدٌ حتى يحبَّ لأخيه ما يحبه لنفسه من الخير.

وقد يقول قائل: أنا مسلم مؤمن بأركان الإسلام الخمسة، وبأركان الإيمان الستة ! وأنا مطبق لأحكام الدين من أخلاق وأوامر، ومجتنب للمنهيات جملة واحدة ! فهل يلزمني الدخول في التفصيلات؟! وهل إذا دخلت فيها يكون لها أثرٌ إيجابيٌّ في العمل والسلوك؟!

فأقول وبالله أستعين: إن جميع أُمورِ وتفاصيل عقائد أهل السنة مرجعها إلى أركان الإسلام والإيمان، والذي نلزمه للعباد هو الإتيان بها جملة، وتفاصيلها جاءت منصوصة في القرآن والسنة الصحيحة، ولا يجوز لأحد كائنًا من كان أن يستدل عليها بغير الكتاب والسنة المطهرة.

فمثلاً نقول في أركان الإسلام الخمسة: أولها الشهادتان؛ شهادة أن لا إله إلا الله أولاً، وأن الله سبحانه وتعالى هو الإله الحق، وأن ما دونه هو الباطل، فنقول في هذا الأمر العظيم: هل آمن بالله جل وعلا صدقًا وحقًّا من دعا غيره، وطلب من غيره المدد،

(١) رواه أبو داود (٤٣١٩)، وأحمد (٤/ ٤٣، ٤٤١) وصححه الألباني.

وادّعى أن الذين يدعون من دونه ينفعــون بإذن الله، وأن الموتى يَسْمَعون ويُسْمِـعون؛ فهم بهذا ينفعون ويضرون مع الله أو من دون الله؟

وهل آمن بالله ربًّا من ادعى أن غيــره يغيث المضطر إذا دعاه ويكشف الســوء؛ سواء كان نبيًّا مرسلاً أو مَلَكًا مقربًا، أو أنهم ينفعون، بزعمهم بإذن الله؟

وهل آمن بالله من يزعم أن العــبد بوجــائد ذكره يذوب في الله، فـيكون متــحدًا مع الله؟

وهل من آمن بالله صدقًــا مَنْ جحد صفة من صــفات الله التي أثبتهــا الله جل وعلا لنفسه أو أثبتها له نبــيه ﷺ، أم أخرج هذه الصفات الإلهية العليَّة عن معانيهــا الحقيقية اللائقة بالله تعالى إلى التأويل أو التعطيل أو التشبيه بزعم التَّـنْزيه ؟

وكذلك نقول في شهادة أن محمدًا رسول الله: هل آمن حق الإيمان بهذه الشهادة من أنكر شيئًا صح عنه ﷺ ؟ مثلاً في قوله ﷺ : «**إياكم والبدع**» وقوله: «**إن كل محدثة بدعة وكل بدعــة ضلالة** »، ونحوها من الأحاديث الصــحيحة الصريحــة في التحذير من البدع وأهلها، ونحن نعلم أن الذين يذادون ويُبْعدون عن حــوضه ﷺ يوم القيامة، هم الذين بدَّلوا الدين الذي رضيه رب العالمين بالبدع، التي أحدثها الناس وأدخلوها في الدين ظلما وزورًا، والتي حاربها الله بقوله: ﴿**اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ**﴾(الأعراف: ٣). وأن المبتدعة وأتباعــهم اتبعوا من دون الله أولياء، وهل آمن به ﷺ من زعم أن اتِّباعه ﷺ ليس دليلاً على محبته، وإنما المحــبة هي المحبة العاطفية فقط ولو كانت من غير اتباعه ﷺ ؟ ونحن نعلم أن المحب لمن يحب مطيعُ!

وهل آمن بالله ورسوله حق الإيمان من دعا إلى الله بغير إذن من الله ؟ فمثلاً دعا عن طريق الفرق والأحزاب الموجودة في ساحــات المسلمين، والتي حذر منها الله بقوله: ﴿**وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْــرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَـرَّقُوا دِينَهُم وَكَــانُوا شِـيَعًـا كُلُّ حِزْبٍ بِمَـا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾(الروم: ٣١، ٣٢).

وقوله: في أن الأمــة ستفتــرق إلى ثلاث وسبعين فرقــة - أي في الأهواء - كلها في النار إلا واحدة، والواحــدة هي ما كان أهلها علــى ما كان عليه النبي ﷺ وأصــحابه، وهي الوحيدة الناجية المنصورة؛ الناجية بنصرة الله لها، المنصورة بنجاتها !

وكذلك نقول في الركن الثاني من أركان الإسلام والذي هو عموده: فهل يقبل الله صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود؛ فلا يقيم الأركان ولا يأتي بالشروط ؟

وكذلك قل في الصيام والزكاة والحج، هل أنه لا يلزم بيان الحق لمن اعتقد خلاف الصواب، أو لا يلزم بيان الصواب في بعض فروع ومسائل تلك الأصول ؟

وكذلك قل في مسائل الإيمان الستة، التي زَلَّت بها أقدام كثير من الناس، هل لا يلزم بيان الحق بدليله لمن اعتقد أو جهل الحق، واعتقد الضلال أو الخطأ في مسائل تلك الأصول وما يتفرع عنها ؟

ألا نظن أن توجيه المسلمين إلى الحق هو محض الخير لهم، وتركهم في الضلال أو الحيرة هو الشر الذي ما بعده شر؟

فإذا نحن اتفقنا على ما تقدم؛ فعلينا جميعًا أن نرد إلى حظيرة الإسلام كل من اعتقد أمورًا مخالفة لما جاء به الشَّرع المطهر بالبيان والتَّبْيين؛ سواء كانت تلك الأمور في الأصول أو في فروع تلك الأصول؛ ليسلم إسلام العبد، فينجو في الآخرة بإيمانه، وبالله التوفيق.

أسألُ اللهَ تعالى أن يعْصِمَنا من البدع والفتنة، وأن يحيينا على الإسلام والسنة، وأن يجعلنا ممن يتبع رسول الله ﷺ في الحياة، وأن يحشرنا في زمرته بعد الممات برحمته وفضله وكرمه وعفوه، وأسأله تعالى أن يهدي جميع المسلمين للهدي السليم، وصلى الله على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه وأهل بيته وعترته وأزواجه وأحبابه وجميع أنصاره إلى يوم الدين. آمين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكتبه

أبو ماجد أحمد بن عبد القادر تركستاني

٢٣/ ١٠/ ١٤٢٣هجرية

(ننصح الإخوة الغيورين بِنَشْرِ هذا الرّد لتُحْسَم مادة الشِّرك ويُقضى عليها)

منهج الثوار والتّكْفير والتّفْجير في الميزان الإسلامي ورسالة قائد القاعدة الأخيرة (ابن لادن)

بسم الله الرحمن الرحيم

منهج الثوار والتكفير والتفجير في الميزان الإسلامي ورسالة ابن لادن الأخيرة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد أنَّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أمَّا بعد:

فإن ظاهرة التكفير من أكبر البدع الخطيرة التي ظهرت، وهي أول بدعة ظهرت في الإسلام على يد الخوارج المارقين، وهي فتنة قد حذر منها النبي ﷺ بقوله: «**لا يرمي رجلٌ رجلاً بالفسق أو الكفر؛ إلا ارتدّت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك**» (رواه البخاري).

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يراهم شرار الخلق، فقال: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار؛ فجعلوها على المؤمنين. (ذكره البخاري معلقًا في صحيحه).

وهذه الفرقة - بلا شك - من أخطر الفرق على الإسلام وأهله، مع العلم أن أهل السنة لا يكفرون بكل ذنب إلا لمن استحله، فإذا أرادوا تكفيرًا معينًا؛ فإنهم يكفرونه تحت ضوابط شرعيَّة، وأحكام مرعيَّة، وذلك بتوفر شروط التكفير على ذلك المعين، ثم النظر بعد ذلك إلى انتفاء موانع لتكفيره، فإذا اجتمعت الشروط؛ وانتفت الموانع؛ فعندئذ لا يتحرجون من تكفير من تعاطى أسباب الكفر.

ولا شك أن تحكيم شريعة الله، والاعتصام بالكتاب والسنة، والاشتغال بالعلم الشرعي، وتلقيه على أيدي علماء عقلاء فاهمين للمنهج القويم؛ لهو من أعظم الأسباب التي يمكن أن ينقذ العبد بها نفسه من مثل هذه الظاهرة الخطيرة، التي ما تركت شيئًا أتت عليه إلا جعلته بَلْقَعًا، كما سوف تتضح لك -إن شاء الله- الرؤيا بعد قراءتك لهذا الموضوع.

أسألُ اللهَ تعالى أنْ يُصْلِحَ عامَّةَ المسْلمين وأُمَراءهُم إلى ما فيه الخير.

﴿**إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾

(هود: ٨٨)

السلفيون والخوارج في الميزان:

فإن أكثر الجماعات المنتسبة إلى الإسلام ثوارٌ، يبدؤون بإيقاد الفتائل بالمهاترات السياسية، ثم بالتفجيرات الدَّمَوِيَّة، وهذا من نتائج فقه الحركة الذي يدَّعونه، وهو فقه خالٍ من البركة، فيه الكذب والخيانة، ونقضٌ للعهد وخُلْفٌ للوعد؛ بحجة مصلحة الدعوة، وهذه الجماعات؛ قد تكون مشتركة في الدماء المعصومة - وإن كانت الدماء دماء المسلمين، فكيف بغيرهم ؟ - بحجة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فتراهم يشيدون بالتفجيرات، في كل بلاد العالم، وذلك لاعتقادهم بكفر جلّ المسلمين - إن لم نقل كلهم - فالعالم كله كافر أو فاسق، وهم المؤمنون وحدهم بزعمهم .

أما السلفيون فليسوا كأولئك، فهم غير ثوار، ولا يحقّ لأحد يقول: إنه سلفي، وهو من الثوّار، فينسب للسلف الثورات، وهم براء منها، بل هذا الادعاء يعتبر تشويها للسلفيّة، كما أن انتساب المسلمين المنحرفين إلى الإسلام تشويه للإسلام، وصد عن سبيل الله، وتنفير من الفرقة الناجية، ولكن السلفية هي السلفيّة، كما أن الإسلام هو الإسلام، وإن تلبس به محرِّفُه، فالسلفيون ليسوا خوارج أيضًا، ولا أهل تكفير، فالتكفير والخروج رضيعا لبانٍ واحد، وربيبا حِجْرٍ واحد، ما حلاّ ديار قوم إلا تركوها بلاقِع، كما هو في الواقع، وكما قيل قديمًا:

رضيعا لبان ثدي أم تقاسما
بأسحم داج عوض لا نتفرق

وقيل:

فإن لا يكنها أو تكنه فإنه
أخوها غذَّته أمُّه بلبانها

هكذا التكفيريون الخوارج، فهم في الواقع أصحاب فتنة على مرِّ العصور يحوّلون أمْن البلدان إلى رُعْب، والعمران إلى خَرِب(١)، ومساجدها إلى مسارح للإرهاب، حتى سالت دماء الأمة الإسلامية بلا ذنْب، قال ﷺ : « **والذي نفسي بيده ! ليأتينّ على الناس**

---

(١) خَرِب: جمع الخَرِبة: وهي موضع الخراب. ينظر الوجيز : (خرب) .

زمان لا يدري القاتل في أي شيء قَتَل، ولا يدري المقتول على أي شيء قُتل» (١).

فهؤلاء الثوريّون، يبدؤون بمنهجهم الضّال المُضِل على المنابر، فيهيّجون الناس تهييجًا سياسيًّا، باسم التّوعية الإسلامية بزعمهم، ثم يجمعون الناس على اختلاف مِلَلِهم ونحلهم؛ باسم المحافظة على الهويّة الإسلاميّة كما زعموا، ثم يُهَيجون العامة على الحكام باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم بعد ذلك يكفرونهم باسم الولاء والبراء، ثم تبدأ التفجيرات والمجازر باسم الجهاد بزعمهم، فشوَّهوا صورة الإسلام لدى العامة فضلاً عن أعداء الإسلام، فعجز المصلحون عن سدِّ هذه الفوّهة.

أتْباع الخوارج:

فالله المستعان؛ كثر أعداء الإسلام، من الداخل ومن الخارج، فمن الخارج لا يألونا خبالاً، ولا يدّخِروا عنّا وبالاً، وتلك سُنَّة معلومة، أما من الداخل فهم من جِلْدَتِنا، ويتكلمون بألسنتنا، ويطعنوننا من ظهورنا، مدْسوسون بيننا؛ هم مسلمون، ولكن بالدين الحقّ جاهلون، جاهلون جهلاً مركّبًا، فعلماؤهم ضالون مضلِّلون، يلون أعناق النصوص الإسلامية على حسب ما ينتمون إليه من أفكار، مطوّعون للنصوص على حسب ما يشتهون ويهوون، فيرون التفجيرات، والدماء البريئة تسفّك، والدين يهدد، ثم يقولون: لماذا لا تنصرون إخوانكم، لماذا تتركونهم وحدهم؟ فيأتون بالنصوص الدِّينيَّة ملوية؛ ليبرِّروا فعلهم، ثم يتهمون كل من لم يستجبْ لهم بأنّه جبان أو صاحب فكر انهزامي، أو متخاذل، أو غير متعاون، أو عميل للسلطان، أو مثبط عن الجهاد، أو مباحث جاسوس، أو غير فقيه بالواقع، أو عالم حيض ونفاس، وغيرها الكثير من الاتهامات التي راجت فأغرت الكثير من العامة الذين يتبعون كل ناعق، ويميلون مع كل ميْلة هوى، دون رجوع إلى العلماء الربانيين العارفين، فوقعوا في حبال وشباك المبتدعة الضالين، فصاروا من الفرق المارقة، التي تستبيح دماء المسلمين، وغيرهم من المعاهدين والمهادنين والمكاتبين والمستأْمنين والذمِّيين، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

قال ﷺ: **«من خرج من الطّاعة، وفارق الجماعة، فمات؛ ماتَ ميتةً جاهليةً، ومن**

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٩٠٨).

قاتل تحت راية عُمِّيَّة، يغضب لعصبيَّة، أو يدعو لعصبية، أو ينصر عصبيةً، فقُتل؛ فقتلةٌ جاهليةٌ، ومن خرج على أمَّتي بسيفه، يضرب برَّها وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهدٍ عهده؛ فليس منِّي ولست منه » (رواه مسلم).

فالطاعة في هذا الحديث؛ هي لمن ولاه الله أمره، والجماعة هم العلماء الملتفون حول ولاة الأمر؛ فمن والاهم وبايعهم، وربط في عنقه البيعة لهم، فهو مع الجماعة، فمن خلع يدًا من طاعتهم، وفارقهم، وحاربهم تحت رايات عُمِّيَّة ليس لها وجه مستبين، تحت قادة مارقين مفارقين خالعين للطاعة والجماعة، متعصب لهم، ويدعو لهم ولفكرهم، فمات؛ فموتته جاهلية، ومن خرج على الأمة يقاتلها تحت تلك الرَّايات المارقات، فيقتل كل من في الأمة؛ ويتعدى على المعاهدين والمستأمنين فيهم؛ فالرسول ﷺ بريء منه، وهو منهم براء. فهذا كلّه من جهلهم وقلة فهمهم بالسُّنة، فما يحملهم على ما هم عليه إلا الحماسة لإزالة المنكرات، بدون بصيرة ولا توجيه إلا من المارقين المنازعين لمن ولاه الله أمرهم، الذين وقعوا في المنكرات بنهيهم عن المنكرات بأساليب تخالف الشرع، كما وقع الخوارج الذين حملهم حب نصر الحق والغيرة عليه على تكفير المسلمين العُصاة، وحكموا عليهم بالرِّدة والخلود في النار، وكل هذا بسبب غلوّهم وجهلهم وضلالهم، وعدم التزامهم بحدود الشرع.

الرسالة الأخيرة لقائد القاعدة:

فترى من يُشار إليه بالبنان، من المقاتلين العرب الأفغان؛ يحرِّض الناس في خطابه الأخير على نزع الطاعة عن من ولاه الله أمره، وعلى مفارقة الجماعة، بحجة أن ولاة أمره تعاهدوا مع الكفار، وتهادنوا معهم، فيفتي -وهو ليس أهلاً للفتوى- بجواز قتل المعاهدين والمهادنين والذِّميين والمستأمنين، ويفتي بجواز فتح سوق التفجير على بوق التكفير، ويشيد بما حصل من التفجيرات بهذه المبررات، ويفتي بجواز قتل المسلمين الذين عاهدوا الكافرين، فيرى أنهم كفارٌ مَهْدورَةٌ دماؤهم .

هكذا كان الخوارج الذين قال عنهم النبي ﷺ : «**يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان**» (متفق عليه). فتراه يحرض على حكام المسلمين وعلى علمائهم، ولا يحرض

على الوثنيين الذين عبدوا القبور وما فيها من الجِيَفِ والدّود، وقائد القاعدة هو بنفسه عاشَ بينهم؛ في أفغانستان والسودان!

ومن العجب العجاب أن ترى من ينفذ مثل هذه التعليمات الجائرات؛ فيقتل ويفجر وينتحر في سبيل هذا الطاغوت التكفيري، المتعاون مع الأعداء قبل الأتباع.

والحجة الأخرى التي يبثها هذا الطاغوت هي أن الحكام كفّار؛ لكونهم لم يَحْكُموا بما أنزل الله، وبأنهم تعاونوا مع الكفار الإنجليز؛ لإخراج العثمانيين من جزيرة العرب، ليُرْجِعَ مُلْكَ آبائه، وإن كان هو وآباؤه - الملك عبد العزيز - موحِّدين لله، مقيمين لأركان الإسلام، ومقيمين للحدود، وناشرين للسنن، ومحاربين للبدع والشرك.

ولم يكتفِ هذا الطاغوت المُتَّبَع في إضلاله وافتراءاته بجهله وحمقه؛ فيُساجِلُ بحورًا لا تخاض لُجَّتَهم، وأحبارًا لا تُنْقَض حجَّتهم، وهم علماؤنا في هذه البلاد المباركة - وهم لجنة الإفتاء والدعوة والإرشاد - وعلى رأسهم العلماء الأكابر ابن باز وابن عثيمين رحمهما الله وغيرهم من المفتين، فيفسقهم ويتهمهم بالمداهنة لولاة الأمر، عندما أفتوا بجواز الاستعانة بالكافرين عند الضرورة؛ لِصَدِّ عدوان الظالمين في فتنة الخليج، ويشبههم بالماضين الذين أخرجوا العثمانيين من البلاد السعودية؛ فكفَّرهم بذلك كما تقدم.

مع العلم بأن الدولة العثمانية آنذاك دولة علمانية تنادي بالديمقراطية، وكانت الدولة السعودية في أزمانها الثلاثة دولة تنادي بالتوحيد، وبالعقيدة السلفيّة التي هي حق الله على العبيد، هذا من الناحية السياسية للدولة العثمانية، أما من الناحية الدينية للدولة العثمانية؛ فهي دولة صوفيَّة قبوريَّة، تنادي بعبادة القبور، بحجة التقرب بهم إلى الله زلفى، كما هو معروف عنهم، وتاريخهم خير شاهد، فقد قتلوا الموحدين، وقربوا الوثنيين، فقتلوا أهل الإسلام، وتركوا أهل الأوثان.

انظر رسالتي إلى القبوريين، وأخرى في ولاة الأمر سميتها: «المسلمون وولاة أمرهم على ضوء الكتاب والسنة» .

فمن الذي قتل الداعية المسلم الموحِّد الشيخ الشاب سليمان بن عبد الله، ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب مؤلف كتاب «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»؟ أليسوا

هم العثمانيون الوثنيون؟! فلماذا التكفير لأهل التوحيد، ونصرة أهل الشرك والبدع؟ ولماذا صبّ جامّ الغضب على الموحدين السلفيين، وترك الغضب لحق الله تعالى الذي هو التوحيد؟

مع العلم أن قاتل الشيخ سليمان رحمه الله هو إبراهيم باشا العثماني التركي، وهو عندما غزا الحجاز كان معه ضبّاط فرنسيون كافرون ومعهم الأسطول الإنجليزي الكافر من جهة الخليج!

فلماذا لْم يُكَفِّر الدّولة العثمانية القبورية - بِمِيزانِهِ - لما استعانت بالكفار على المسلمين الموحّدين؟

الجواب أتركه للقراء الحكماء، لا القراء الذين لا تنفعهم القوارع من الأدلة، ولا الذين لم تنفعهم المواعظ والردود المفحمة، فأرجو من الله العلي العظيم أن يهيئ من يكتب في هذا الموضوع، ويبين الغبش والغشش الذي يوحون به مثل أولئك الحزبيون، والله الهادي إلى سواء السبيل.

ثم أقول: من الذي قتل الشيخ جميل الرحمن الموحد السلفي؟ قائد المجاهدين في ولاية كُنَرْ، وناشر دعوة التوحيد في أرجاء ولايته، أليسوا هم الأحزاب السَّبعة المقاتلة المتقاتلة في أفغانستان؟! أليسوا هم أصحاب الطواغيت التي تصادمت في اعتقاداتها، والتي يكفر بعضها بعضًا، والتي ما اتفقت يومًا ولا اجتمعت ساعةً إلا مرة واحدة؛ وهي في قتل جند الرحمن وقائده الموحِّد جميل الرحمن رحمه الله؟! بحيث اجتمعت كلها على غزو الشيخ، وتداعوا عليه تداعي الأكلة إلى قصعتها، فقالوا:

نحن وإن كنا مختلفين! فإنّا على محاربة هذا الجند متفقون، فقالوا: ميلوا بنا عليهم مِيْلة واحدة؛ حتى تعود دعوتهم باطلة، وكلمتهم خامدة، وغرّ من يشار إليه بالبنان كثرتهم، التي ما زادتهم عند الله ورسوله وحزبه إلا قِلّة، وقواعدهم التي ما زادتهم إلا ضلالاً وبعدًا عن الدين الحق، وظنوا أنهم بجموعهم المعلولة يَمْلؤون قلوب أهل السنة إرهابًا منهم وتعظيمًا، فلماذا لم يُكفرهم قائد القاعدة، ولماذا كَفّرَ أهل التوحيد وناشري السنة بين العبيد ؟

إنه عمى البصيرة الذي أرْدى مثل هؤلاء إلى مثل هذا الحضيض، بحيث قدموا عقولَهم وفهومَهم على ما أنزل الله، وتقديم العقول والفهوم على الكتاب والسنة، هو عين الحكم بغير ما أنزل الله، فهؤلاء التكفيريون يقعون فيما فرّوا منه؛ لجهلهم المركب، فهم يَجْهلون ولا يعلمون أنهم جاهلون.

مع العلم أن الشرك الواقع في الأمة كثير، منه الشرك الذي عند الصوفية الذين يعتقدون فيه، أن للمقبورين من الأنبياء والصالحين حق من حقوق الألوهية أو الرّبوبيّة أو الأسماء والصفات، الذي لا يمكن أن يكون إلا لله وحده لا شريك له، فهذا النوع من الشرك لا ينظرون إليه نظر البصير في دينه، ولا تكاد ترى أحدًا من دعاة التكفير يتكلم عنه، أو يحاربه، بل ولا تكاد ترى مِنَ التكفيريين من يُكَفِّر مثل هؤلاء المشركين، مع العلم بأن الأنبياء ما أُرسلوا إلا لنقض هذا الشرك ومحاربته، وما رُفِعَتْ سيوف الجهاد إلا لإزالته، وما تفرقت الفرق إلا لمخالفته، ولكن كان التكفيريون العربْ في بلاد الأفغان يرون مثل تلك الشِّركيَّات؛ ولم يحذِّروا، ولم ينبِّهوا، ولم يعلِّموا، بحجة أن هذا ليس وقته، وإنما وقته بعد النَّصر على الأعداء المحاربين، ولقد سمعنا من كبار الدعاة الذين تربوا في أرض التوحيد من نعومة أظفاره - ولكن تربى في حجر الحزبية، ورضع من لبان شيطانهم - يقول: أَنُحارِب التمائم المعلقة على الصدور، أو نحارب الأضرحة المرفوعة المنقوشة؛ ونترك حرب الشيوعيين ؟ هكذا قال والله المستعان، فحربه للروس تلك الأيام ما كانت لرفع راية التوحيد، وإنما كانت لصد عدوان الروس لبلاد الأفغان واسترجاع الأرض فقط، وهو يحاكي كلام شيخه، الذي جُعِلَ حزبه طاغوتًا يُنادى به في كل مكان، قال شيخه(١) : (... والناحية التي سوف أتحدث عنها نقطة بسيطة من الوجهة الدّينية، لأن هذه النقطة قد لا تكون مفهومة في العالم الغربي، ولهذا فإني أحب أن أوضحها باختصار؛ فأقرر أن خصوماتنا لليهود ليست دينية؛ لأن القرآن الكريم حضَّ على مصافاتهم ومصادقتهم، والإسلام شريعة إنسانية قبل أن يكون شريعة قوميَّة، وقد أثنى عليهم وجعل بيننا وبينهم اتّفاقًا ﴿ **وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾. اهـ .

هكذا يقول، وكأن اليهود والنصارى مسلمون، أو أن دينهم المُحَرَّف مقبول عند رب

(١) انظر: «الإخوان المسلمون أحداثٌ صنعت التاريخ» لمحمود عبد الحليم (١/ ٤٠٩، ٤١٠).

العالمين، والله قـد كفّرهم في القـرآن العظيم في عدة آيات، منها قـوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾(التوبة: ٣٠).

وقال الله سبحـانه تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾(المائدة: ٨٢).

فكيف لا تكون الخصومة دينيَّة وهم ألدّ أعداء المسلمين ؟ كيف لا تكون العداوة دينية وهم أكبر مَنْ حكَمَ بغير ما أنزل الله؟ وإلاّ ماذا نقول عن مثل هذه المقولة الكُفْرِيّة ؟!

فهل نزن بمكيالين؛ فنـكفر من اشتهـينا، ونترك من هويـنا، أو نـكفر المسلمين بمجرد أنهم حكموا بغـير ما أنزل الله، دون أن نُفَصِّـلَ أو نُبيِّنَ حال كل من حكم بغيـر ما أنزل الله؟ وهم - أي الأحزاب - يَحْكُمون بغير ما أنزل الله ! منها هذه المقولة، وغيرها الكثير والكثير، والتي لو أردنا أن نكتب عنها بحثًا لكتبنا، ولكن هذا هو حال كل الحِزْبيّات التي ما حكَّمَت حكم الله في أنفسها، وهي تطالب من الناس تحكيم حكم الله في أنـفسهم، فهذا أكبر عار يحمله الأحزاب الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾(الأنعام: ٥٩). وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ﴾(الروم: ٣١، ٣٢).

فإذا أراد هؤلاء الحزبيـون من الناس أن يحكموا بما أنزل الله، فعليـهم أولاً بأنفسهم، وليحكمـوا بما أنزل الله؛ الذي أمر بعدم التَّفَـرُّق والتَّحَزُّب على حثـالة أفكار الرجال، أو زبالة آرائهم، من الذين أحدثوا هذه الفرق والأحزاب التي قال الله عنها: إنها ليست على شيء، وهذا الذي وقع فيـه من تهاون بالتوحـيد من أتباع تلك الأحـزاب، فيقول مـقولة السوء التي لو قالها في زمن النبي ﷺ لقاتلهم عليها، فكيف يقول ذلك وكأن الدين ما جاء للأمـر العظيم؟! وهو توحيد الله؛ بإخـراج العباد من عـبادة العباد، إلى عـبادة رب العباد، والدليل على ما أقول، أن الأفغان لما انتصروا على الأعداء، واستولوا على البلاد؛ بمساعدة المليـشيات الكافرة والاسـتعانة بهم - مليشـيات دوستم الشيـوعي - فإذا بقادات الجهـاد يُكَفِّرون العلماء الموحِّـدين؛ بكونهم أثبتوا لله الأسـماء الجليلة والصفـات العليَّة،

وكفروا من سوّى القبور بالأرض؛ بزعمهم أن هذه التّسْوية إهانة لأولياء الله، وما علموا لجهلهم أن هذا هو أمر سيد المرسلين، وسيد الغُرّ المُحَجَّلين نبينا محمد عليه الصلاة وأتم التسليم، فهؤلاء عند التكفيريين ليسوا بمشركين، وليسوا حاكمين بغير ما أنزل الله![1].

ثم لمَّا كان التكفيريون العرب في السودان - مع إمامهم المشار إليه - حيثُ بلاد جميع الطرق الصُّوفيَّة لم يقوموا بالتحذير من شركيّات أولئك المتصوفة الغالين؛ من عباد القبور، وبنائين الأضرحة عليها، ورافعين الألوية فوقها، فلم يُكَفِّروهم، ولم يحذّروا من أعظم ذنب عصوا الله به؛ وهو جعلهم لله ندًّا وهو خالقهم.

توحيد الحاكميَّة:

ولكن عميان البصيرة والتكفيريين الجُهَّال من المسلمين، ركزوا على فرعٍ من فروع التوحيد يندرج تحت أصل من أصوله، وقد يكون هذا الفرع كفرًا ينقل من الملة، وقد يكون ظلما وفسقًا، أي كفر دون كفر، أو ظلم دون ظلم أو فسق دون فسق، ألا وهو الذي ينادون به - وهم أبعد ما يكونون منه - وهو توحيد الحاكميَّة، وهو الحكم بما أنزل الله!

وقد بسط أئمة السلف قديمًا وحديثًا هذه المسألة في كتب العقائد والتفاسير، فانظر إلى «فتاوى» شيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ٢٦٧) و «منهاج السنة النبوية» (٣/ ٣٢)، و «مدارك السالكين» لابن قيم الجوزيَّة (١/ ٣٣٧)، و«العقيدة الطَّحاويَّة» لابن أبي العز الحنفي (ص٣٢٣)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (٢/ ٣٦٦)، و«معالم التنزيل» للبغوي (٢/ ٤١)، و«الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٦/ ١٩٠)، ومن المعاصرين: محمد بن إبراهيم آل الشيخ في «تحكيم القوانين» (ص١٥-٢٥) وغيرهم فراجع وتأمل...

فكلهم قالوا: إن الحكم بغير ما أنزل الله إما أن يكون كفرًا مخرجًا عن الملة وهو جحود ما أنزل الله، وإما أن يكون كفرًا دون كفر وهو الحكم بغير ما أنزل الله بدون جحود ما أنزل الله؛ أي ميلاً إلى الهوى، فهذا ظلم أو فسق على حسب الحاكم، وقال عن مثله ابن عباس - ترجمان القرآن - في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ**

---

(١) انظر رسالتي: «ملاحظات على الرسائل الشمولية لعبد العزيز بن عبد الله الحميدي». هداه الله.

اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾(المائدة :٤٤) . قال : ليس بكفر ينقل عن الملة ، بل إذا فعله فهو به كفرٌ وليس كَفَرَ كمن كفر بالله واليوم الآخر وهو قول عامة الصحابة ، وهو قول التابعين رحمهم الله؛ منهم طاووس قال : وقال عطاء : «هو كفر دون كفر ، وظلم دون ظلم ، وفسق دون فسق» .

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول : «ليس بكفر ينقل عن الملة»، يردّ على الخوارج الذين يكفرون أصحاب الذُّنوب والمعاصي - انظر المراجع السابقة - ولكن نقول لمثل هؤلاء قول الله تعالى : ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ (المائدة :٤١) .

الحاكم بغير ما أنزل الله:

وهنا مسألة مهمة جدًّا ، وهي أن الحاكم بغير ما أنزل الله قد يكون جاهلاً ، فيخفى عليه حكم الله ، فيحكم بغير ما أنزل الله؛ لظنِّه أنه موافق لحكم الله، وهذا كثير يكاد لا يُحْصى ، وباختصار شديد نقول وبالله التوفيق : إن الحكم بتشريعات مقتبسة من تشريعات غير إسلامية - كما هو واقع كثير من بلدان المسلمين - أوروبية أو أمريكية أو فرنسية أوغيرها ؛ كُفْر ، والتحاكم إليها كُفْر ، فإن كان الحكَّام ، والمحكومون ، مستحلين لتلك الأحكام مقدمين لها على شرع الله، أو مساوين لها لشرع الله، مع علمهم بالشرع فيعاندونه ؛ فهذا كُفْرٌ مخرج عن الملة ، وهو ما يسمونه العلماء كفر اعتقادي ، وإن كان غير ذلك فهو كفر دون كفر ، وهو ما يسمى بالكفر العملي ، وبالله التوفيق .

ودعوتنا لكل العباد - حكامًا ومحكومين - أن يتقوا الله ربهم ، ويرجعوا إلى دينهم ومصدر عزَّتهم ، وينبوع قوّتهم ، ونِبْراس تقدمهم فيحكموا بما أنزل الله، وأن يترفّعوا عن حثالة الأفكار وزبالة الأذهان وضحالة الأهواء ، فكل هذه جهالات مظلمات رضيت بحكم أجهل الجاهلين وأظلم الظالمين ، وتركت حُكْم أحكم الحاكمين ، وأعلم العالمين ، وأعدل العادلين ، فلا تكونوا يا عباد الله أصحاب أبصار مطموسة ، وبصائر معكوسة ، فهذا مثله مثل من تأذّى من رائحة المسك ، ويَسْتَطيب برائحة العذرة ، وهو بلا شك قد أبدل نعمة الله بالنِّقمة ، والشّكران بالكفران ، فمُقِت بالحرمان ، وعوقب بالخذلان ، وهذا هو عقاب من أعرض عن ذكر الرحمن ، وتقرب إلى ذكر الشيطان ، فإنا لله .

مراحل الجهاد الإسلامي:

أما التنبيه الآخر الذي أريد التذكير به في هذه الوريقات، ألا فهو القتال الواقع في هذه الأيام؛ هل هو الجهاد الذي طُلِبْنا به؟ وهل هو الحل في إرجاع المسلمين إلى المجد الذي كانوا عليه في أول الإسلام؟ ومن هم الذين نقاتلهم ونصد عدوانهم؟ وكيف ومتى نقاتلهم؟

أسئلة كثيرة يطول حولها الجدل والله المستعان. ولا يظن أحد أن هذا الكلام فيه تثْبيط عن الجهاد في سبيل الله، أو هو رأي يجوز للمخالف إبداء رأيه فيه...

بل أقول: إن هذا الذي نعرضه في هذه الوريقات هو منهج السلف الذي سار عليه السلف على مر العصور، فالقتال في سبيل الله مشروع على مر العصور، بل وَرَدَ الترغيب فيه ما يعرفه كل مسلم، وذِكْر فضائله في الكتاب والسنة أكثر من أن يحصر، بل لم يرد في ثواب الأعمال وفضلها مثل ما ورد فيه، قال ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي يُقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة**» رواه مسلم.

وأكثر أحاديث النبي ﷺ في الصلاة والجهاد! كما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» (١/ ١٧١)، وهذا الجهاد ما يكون جهاداً إلا إذا كان على الحق كما في الحديث المتقدم، فإذا كان على الحق فالله ناصره، وأما إذا كان على غير الحق فالله ناصرٌ عليه، كما في قوله ﷺ في حديث آخر أخرجه النسائي (٣٥٦١) وفيه: «.. **ولا يزال من أمتي أمةٌ يقاتلون على الحق، ويزيغ الله لهم قلوب أقوام..** ».

ففي الحديث أن الله يزيغ لهم إذا قاتلوا على الحق؛ أي يميل الله تعالى لهم لأجل قتالهم على الحق، فهذا هو الجهاد الحقيقي المطلوب من الأمة الذي عُطِّل - أو كاد - في هذه الأيام إلى أفكار مخالفة لمراد الله ورسوله.

ففي هذا الفصل أريد أن أبين -إن شاء الله- ضوابط الجهاد الحقيقي ومراحله من الكتاب والسنة الصحيحة، عسى أن نفهم جميعاً مراد الله في هذا الجهاد الذي يريد الله أن يخرج به العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

وأما قتال المسلم للمسلم فليس بجهاد، إلا بضوابط سوف نذكرها إن شاء الله،

وكذلك قتال الكفار عند استضعاف المسلمين، كذلك ليس بجهاد إلا بضوابط أوضحها الآن إن شاء الله؛ وهذا بالنظر إلى النصوص الشرعية والقواعد المرعية في هذا الباب، وهو بالنظر إلى المراحل التي مر بها الجهاد في عهد النبوة.

فجهاد النبي ﷺ مَرَّ بأربع مراحل:

المرحلة الأولى: الكف عن القتال وهي أطول مرحلة، ودليلها قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً**﴾ (النساء: ٧٧).

أما المرحلة الثانية: فمرحلة الإذْن بالقتال من غير أمْرٍ به، ودليلها ما رواه الإمام أحمد (٢/ ٢١٦) والترمذي (٣١٧١) والنسائي(٦/ ٢)، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما أُخرج النبي ﷺ من مكة، قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم؟ إنا لله وإنا إليه راجعون! لَيَهْلِكُنَّ. فنزلت: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**﴾ (الحج: ٣٩). فعرفت -أي أبو بكر- أنه سيكون قتال، قال ابن عباس: فهي أول آية نزلت في القتال»

أما المرحلة الثالثة: فمرحلة قتال من قاتل المسلمين، والكف عن غيرهم، ودليلها قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا**﴾ (البقرة: ١٩٠).

أما المرحلة الرابعة: فهي مرحلة قتال كل كافر حتى يسلم، ودليلها قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿**تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ**﴾ (الفتح: ١٦)، وقوله تعالى: ﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**﴾ (التوبة: ٢٩).

انظر: «زاد المعاد» لابن القيم -رحمه الله تعالى- (٣/ ٧٠)، لزامًا من هنا أخذ العلماء أنه لا يجوز للمسلمين أيام ضعفهم قتال الكافرين، تأسيًا برسول الله ﷺ؛ لأنه لا يجوز للمسلمين حينذاك أن يلقوا بأيديهم إلى التهلكة، بل دم الكافر في هذه المرحلة معصوم كعصمة دم المسلم قال ابن تيمية في «الصارم المسلول» (٢/ ٢٠٨ - ٢١٠): «إن المسلمين كانوا ممنوعين قبل الهجرة من الابتداء بالقتال، وكان قتل الكافر حينئذ محرمًا،

وهو من قتل النفس بغير حق، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ (النساء: ٧٧) . انتهى.

ثم علل ذلك بقوله: «وهذا وجه حسن دقيق؛ فإن الأصل أن دم الآدمي معصوم، لا يُقْتَل إلا بحق. . . وكان دم الكافر في أول الإسلام معصومًا بالعصمة الأصليَّة، وبمنع الله المؤمنين من قتله، ودماء هؤلاء القوم كدم القبطي الذي قتله موسى، وكدم الكافر الذي لم تبلغه الدعوة في زماننا أو أحسن حالاً من ذلك، وقد عد موسى ذلك ذنبا في الدنيا والآخرة، مع أن قتله كان خطأ شبه عمد، أو كان خطأ محضا، ولم يكن عمدا محضا» انتهى.

فهذا موسى -عليه السلام- عد قتله للقبطي الكافر ذنبًا في الدنيا والآخرة فقال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ (القصص: ١٦) . وعندما يطلب الشفاعة في الآخرة يعتذر قائلاً: « إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفسًا لم أُومر بقتلها، نفسي! نفسي! اذهبوا إلى غيري. . »[(١)].

وهذا الحكم ليس منسوخًا نسخًا مطلقًا، بحيث لا يجوز العمل به بعد كمال الشريعة، وإنما الأمر تابع لضعف المسلمين أو قوتهم، وبهذا شرح ابن تيمية ذلك فقال: «فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مُسْتضعف، أو وقت هو فيه مستضعف، فليعمل بآية الصَّبْر والصفح، عمّن يؤذي الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركين، وأما أهل القوَّة فإنما يعملون بآية قتال الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون» . انتهى.

الله أكبر! هذا استنباط الرّاسخين في العلم، ابن تيمية وغيره من العلماء الذين أوتوا علمًا وفقهًا في الدين، وعلمًا وفقهًا في واقع المسلمين، ومن هؤلاء العلماء في هذا العصر الألباني وابن باز وابن عثيمين رحمهم الله تعالى، فهم علماء الدنيا الثلاثة كما قال عنهم المنصفون، العارفون لقدرهم وفضلهم وعلمهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (النساء: ٨٣). أما من يُسَمّون بالعلماء

(١) «رواه البخاري» (٤٧١٢).

وهم في الحقيقة عاملون علماء، وليسوا بعلماء عاملين؛ فهم في كل واد يهيمون، ويقولون ما لا يعلمون، فهم لدى طلبة العلم مفضوحون، وجانون على أنفسهم بأقوالهم ودعواتهم، فهم بها مرتهنون، فمثل هؤلاء لا نستشهد بأقوالهم، ولا ننظر إلى دعواتهم وأفكارهم، بل نحذِّر منها إذا تطلّب، وإذا اغتر بها المفتون المقلّد.

القيادة الشرعيَّة والقيادة الحزبيَّة:

أما القيادة الشرعية؛ فهي ليس كما يظنه الجُهَّال المتحمِّسون، بل هي كما يقرره العلماء المخلصون، العالمون بمراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ، فالقيادة الشرعية ليست لقادة الجماعات الحزبية؛ التي تفرقت عن جماعة المسلمين باسم أو برسم.

فالجماعات الإسلامية متفرقة على أمراء متعددين، وفي رقعة واحدة، وتفرقت عن ولاة الأمر بزعم أنهم غير عادلين، مع العلم أنه لابد أن يكون للناس أمير يقودهم ويقاتلون معه، وهذا الأمير لا يقيد بأن يكون عادلاً كما ذكر ابن حجر في «الفتح» (٦/ ٥٦). أما إن كان لا أمير ولا قائد في المجتمع، والجماعات والفرق كثيرة أو قليلة، فيلزم المسلم حينذاك اعتزال الفرق كلها، كما سئل النبي ﷺ عن مجتمع لا قائد له، فقال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها..**» (متفق عليه).

قال ابن جرير الطبري: «في الحديث أنه متى لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزابًا فلا يتبع أحدًا في الفرقة، ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك خشيةً من الوقوع في الشر» ذكره الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٣٧).

أما تأسيس جماعات تفترق عن ولاة الأمر؛ فهذا دين الخوارج المارقين الذين ظنّوا بخروجهم عن طاعة ولاة الأمر من الإسلام، بل هو من الشيطان الذي سوَّل لهم وأمْلى لهم، قال الإمام أحمد: «ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين - وقد كان الناس اجتمعوا عليه وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان: بالرضا أو الغلبة - فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ، فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السّلطان ولا الخروج عليه لأحدٍ من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدعٌ على غير السنة والطريق»[(١)].

(١) انظر: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي (١/ ١٨١).

وقال ﷺ : «**من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم، ويفرق جماعتكم فاقتلوه**» رواه مسلم، وفي رواية : « ... **فاضربوه بالسيف كائنًا من كان**». رواه أحمد وغيره.

وهذا وغيرها من الأحاديث الكثيرة التي تأمر بالطاعة في المعروف لمن ولاه الله أمر المسلمين، وهذا يُعْتَبر تنبيه من النبي ﷺ الذي ما ينطق عن الهوى فالطاعة بالمعروف الناس بحاجة إليها؛ لحماية بيضتهم، والذب عن حوزتهم، وإقامة حدودهم، واستيفاء حقوقهم، فكل من ثبتت ولايته؛ حرم الخروج عليه وقتاله، سواء ثبتت سلطته بإجماع المسلمين عليه، وسواء ثبتت باجتهاد أهل الحل والعقد، وسواء ثبتت بقهره للناس حتى يذعنوا له، ودعوه إمامًا طوعًا أو كرهًا. فهذا هو التوجيه الذي وجه به النبي ﷺ أمته، وبايعوه عليه، وأعلمهم ﷺ أن الخروج على من ثبتت إمامته للمسلمين -ولو بالقهر- فيه ضررٌ عظيمٌ على الرعية؛ بإراقة للدماء المسلمة، وإذهاب لأموالهم وحقوقهم، وفيه طمع الكفار لهم بعد ذهاب ريحهم بعد تنازعهم وعدم اتفاقهم .

فالجماعة تكون مع كل والٍ جارَ أو عدَل، فمن لم يفعل؛ فقد ترك الجماعة، وأسس جماعة أخرى في وسط الجماعة الأولى؛ فكان من أهل الفرقة والشّناعة، من الذين فتحوا أبواب الشر على مصراعيها بتعدد الجماعات في القُطر الواحد، فتسبب هذا في ضعف الأمة بتعدد النِّحَل، الغير متفقة على أصل، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا**﴾ (الأنفال :٤٦) .

هذا هو الفهم الصحيح للعقيدة الإسلامية، وخاصة ونحن في العصر الحاضر في ضرورة عظيمة لتفهّمها، بحيث بدأت اليقظة تظهر في شتى أنحاء العالم، ولابد لهذه اليقظة من قيادة صحيحة؛ تقودهم إلى المَعَالِم الصحيحة إلى الله، وذلك بتبيين المنهج الصحيح في فهم العقيدة؛ التي هي القاعدة الأساسية لبناء الجيل العائد إلى الله، وإلا سوف تنحرف هذه اليقظة عن مجراها الصحيح السليم، فإذا انحرفت هذه اليقظة عن مراد الله ومراد رسوله؛ فنحن حينئذ لا نستحق النصر، فالنصر من عند الله؛ للذين نصروا الله ورسولَه، أما الذين انحرفوا عن مراد الله وعن مراد رسوله، فهم لم ينصروا الله ولا

نصروا رسول الله؛ فاستحقوا أن يُنصر عليهم، وهذا هو واقع كل عصور الأمة، لمن نظر إلى الواقع بعين البصيرة، فاللهم انصرنا، ولا تنصر علينا...

منهج السلف في التعامل مع الخوارج:

وهنا أريد أن أذكر بعضًا من أفعال السلف تجاه الخوارج، الذين بغوا على المسلمين بالتكفير والتفسيق، الذين قال عنه الرسول ﷺ: « **سيخرج في آخر الزمان أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام؛ يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يَمْرُقون من الدِّين كما يَمْرُقُ السهم من الرَّمِيَّة، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة** » أخرجه الشيخان وقال ﷺ عن رجل قال له: يا محمد اعدل - عندما قسم الغنائم- فقال له النبي ﷺ: « **ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل؟ إنما أتألفهم** » ، فأقبلوا عليه ليقتلوه - أي الصحابة - فقال ﷺ: «**إن من ضئضئ هذا قومًا يقرؤون القرآن، لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم، لأقتلنهم قتل عاد**» [(١)].

فمن أفعال السلف تجاه الخوارج ما أخرجه النسائي في خصائص علي رضي الله عنه بإسناد صحيح عن عبد الله بن أبي رافع قال: «إن الحرورِيَّة - وهم الخوارج - لما خرجت وهم مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقالوا: لا حكم إلا لله! قال علي رضي الله عنه: كلمة حق أُريد بها باطل، إن رسول الله ﷺ وصف لنا ناسًا، إني لأعرف صفتهم في هؤلاء، يقولون الحق بألسنتهم، لا يتجاوز هذا منهم، وأشار إلى حلقه، من أبغض خلق الله .... ».

وعن عبد الله بن زرير قال: «لما وقع التَّحْكيم، ورجع علي من صفّين، رجعوا مباينين له، فلما انتهوا إلى النهر أقاموا به، فدخل علي رضي الله عنه في الناس الكوفة، ونزلوا بحروراء - اسم لبلد هناك - فبعث إليهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، فرجع ولم يصنع شيئًا، فخرج إليهم علي، فكلمهم حتى وقع الرضا بينه وبينهم، فدخلوا الكوفة، فأتاه رجل فقال: إن الناس قد تحدثوا أنك رجعت لهم عن كفرك! فخطب الناس في صلاة الظهر، فذكر أمرهم فعابه، فوثبوا من نواحي المسجد يقولون: لا حكم إلا لله! واستقبله

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٦٣).

رجل واضع إصبعه في أذنيه فقال - أي قال لعلي رضي الله عنه -: ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ (الزمر: ٦٥). فقال علي رضي الله عنه: ﴿**فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ**﴾(الروم: ٦٠). أخرجه ابن جرير في تاريخه(٤/ ٥٤) بإسناد صحيح، وعن عبد الله بن شداد بن الهاد قال: «قَدِمَت عائشة رضي الله عنها، فبينا نحن جلوس عندها، مَرْجِعها من العراق ليالي قوتل علي رضي الله عنه؛ إذ قالت لي: يا عبد الله بن شدّاد! هل أنت صادقي عما أسألك عنه؟ حدثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم عليٌّ، قلت: ومالي لا أصدقك ؟!

قالت: حدِّثني عن قصتهم!

قلت: إن عليًّا لما كاتب معاوية، وحكّمَ الحكمين، خرج عليه ثمانية آلاف من قُرّاءِ الناس، فنزلوا أرضًا من جانب الكوفة يقال لها: حروراء، وإنهم أنكروا عليه، فقالوا: انْسَلَخْتَ من قميصٍ أَلْبَسَكَهُ الله وأسْمَاك به، ثم انطلقتَ فحكمت في دين الله، ولا حكم إلا لله، فلمّا أن بلغ عليًّا ما عتبوا عليه وفارقوه، أمر فأذّن مؤذِّن: لا يدخل على أمير المؤمنين إلا رجلٌ قد حَمَلَ القرآن، فلما أن امتَلأَ من قراء الناس الدّار، دعا بمصحفٍ عظيمٍ فوضعه عليّ رضي الله عنه بين يديه، فطفق يصكه بيده ويقول:

أيها المصحف! حدِّث الناس، فناداه الناسُ، فقالوا: يا أمير المؤمنين! ما تسأله عنه؟! إنما هو ورق ومداد! ونحن نتكلم بما روينا منه! فماذا تريد ؟ قال: أصْحابكم الذين خرجوا، بَيْني وبينهم كتاب الله تعالى، يقول الله عز وجل في امرأة ورجل: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ**﴾ (النساء: ٣٥). فأمة محمد صلى الله عليه وسلم أعظم حرمة من امرأة ورجل، ونقموا عَلَيَّ أنّي كاتبتُ معاوية، وكتبت عَلِيّ بن أبي طالب، وقد جاء سهيل ابن عمرو ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية حين صالح قومه قريشًا، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم، قلت: فكيف أكتب؟ قال: اكتب باسمك اللهم، فقال صلى الله عليه وسلم: «**اكتبه**»، ثم قال: «**اكتب من محمد رسول الله** صلى الله عليه وسلم»، فقال: لو نعلم أنك رسول الله لم نخالفك، فكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله قريشًا ثم قال علي رضي الله عنه لهم: يقول الله في كتابه:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾(الأحزاب :٢١) .

فبعث إليهم - أي إلى الخوارج - عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه عبدَ الله بن عباس، فخرجت معه، حتى إذا توسطنا عسْكرهم؛ قام ابن الكوّاء فخب الناس، فقال:

يا حملة القرآن! إن هذا عبد الله بن عباس، فمن لم يكن يعرفه، فأنا أعرفه من كتاب الله هذا، من نزل فيه وفي قومه ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾(الزخرف :٥٨) . فردوه إلى صاحبه، ولا تواضعوه كتاب الله عز وجل، قال: فقام خطباؤهم فقالوا: والله لنواضعنه كتاب الله، فإذا جاء بحق نعرفه؛ اتبعناه، ولئن جاءنا بالباطل؛ لنبكتنّه بباطله، ولنردنّه إلى صاحبه، فواضعوه على كتاب الله ثلاثة أيام، فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب، فأقبل بهم ابن الكوّاء حتى أدخلهم على علي رضي الله عنه، فبعث علي إلى بقيتهم فقال: قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم، فقفوا حيث شئتم حتى تجتمع أمة محمد صلى الله عليه وسلم وتنزلوا فيها، حيث شئتم، بيننا وبينكم أن نقيكم رماحنا ما لم تقطعوا سبيلاً وتطلبوا دمًا، فإنكم إن فعلتم ذلك، فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء، إن الله لا يحب الخائنين.

فقالت عائشة رضي الله عنها: يا ابن شداد! فقد قتلهم!

فقال: والله ما بعث إليهم حتى قطعوا السبيل، وسفكوا الدماء، وقتلوا ابن خبّاب، واستحلوا أهل الذّمة.

فقالت: الله؟

قلت: الله الذي لا إله إلا هو قد كان.

قالت: فما شيء بلغني عن أهل العراق يتحدثون به يقولون: ذو الثدي، ذو الثدي؟

قلت: قد رأيته ووقفت عليه مع علي رضي الله عنه في القتلى، فدعا الناس فقال: هل تعرفون هذا؟ فما أكثر من جاء يقول: قد رأيته في مسجد بني فلان يصلي، ورأيته في مسجد بني فلان يصلي، فلم يأتوا بثبت يعرف إلا ذلك.

قالت: فما قول علي حين قام عليه كما يزعم أهل العراق ؟

قلت: سمعته يقول: صدق الله ورسوله.

قالت: فهل سمعت أنت منه قال غير ذلك؟

قلت: اللهم لا.

قالت: أجل صدق الله ورسوله، يرحم الله عليًّا، إنه من كلامه كان لا يرى شيئًا يعجبه إلا قال: صدق الله ورسوله» (١).

مقوّمات النَّصر:

فإذا أردنا النصر؛ فلا بد لنا من اتباع الآتي:

أولا: الكتاب والسنة في كل القضايا، وعدم ردّ شيء منهما بالتأويل، أو التَّعصب، أو بالانتماءات، أو غير ذلك.

ثانيًا: اتباع ما كان عليه السلف الصالح في فهم الكتاب والسنة، وما أجمعوا عليه، والتمسك به، فهم الحُجّة بيننا وبين الله رب العالمين؛ وعلى رأس السلف الصحابة، ثم التابعين، ثم من تبعهم بإحسان؛ من الذين أوصوا بالمنهج المرسوم وعدم مخالفته.

ثالثًا: مفارقة أهل البدع، وعدم مجالستهم، أو مجادلتهم، أو سماع كلامهم، أو قراءة كتبهم؛ بل الإعراض عنهم غنيمة، ووقاية من الرذيلة.

رابعًا: الحرص على جماعة المسلمين، ووحدة كلمتهم كما تقدَّم الكلام فيه، فهذه الأمور الأربعة هي المنقذة بإذن الله من التمزق الذي يضعف الأمة الإسلامية، ولما خالفت الفرق الإسلامية المعاصرة هذه القواعد إلى غيرها؛ من اتباع الهوى، وضرب الأمثال بأنواع من المحال أو الخيال، أو بالحيدة هذه الأمور بالقيل والقال مما لم ينزل الله به من سلطان، إلا سلطان الهوى المهوي إلى الهَلَكَة، وأكبر هَلَكَة أُهلكها المسلمون في هذا الزمان؛ هو طلب الغلبة ولو بالباطل الذي يحملونه؛ وذلك لطلب الشهرة والذكر عند العامة، وحتى يقال عنهم: إنهم هم أهل الإمامة وأهل السنة، ولو كانوا زاهدين عن التَّدَيّن بحجج الآثار، أو جاهلين بطرق الأخبار، فهم مقصرين في فهمها، جاهلين بطرقها، فهم غير آخذين لها، فلهذا تراهم مروّجين لفتنة، وموقعين الناس لنقمة، فلو ساروا على سبيل المؤمنين الذين قالوا: ﴿**آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ**﴾(آل عمران: ٥٣). لكانوا والله من المستخلفين في الأرض، ومن المُمكّنين بدينهم المرضي لهم، والآمنين الغير خائفين، ولكن الحائدين عن هذه الأمور هم الجاهلون، المتخبطون في القيل والقال وكثرة السؤال.

---

(١) أخرجه الحاكم على شرط مسلم (الإرواء ٢٤٥٩).

(انظر: رسالتي «لماذا يجب علينا محاربة البدع؟»، و«المبتدعة على مر العصور» يسَّر الله إكمالها وتوزيعها للمسلمين) .

إجماع السلف:

قال الإمام البخاري -صاحب الصحيح-: لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم؛ أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر، لقيتهم كرّات قرنًا بعد قرن - أي: طبقة بعد طبقة وهم طبقات العلماء - ثم قرنًا بعد قرن، أدركتهم وهم متوافرون منذ أكثر من ست وأربعين سنة، أهل الشام ومصر والجزيرة مرتين والبصرة أربع مرات في سنين ذوي عدد، بالحجاز ستة أعوام ولا أحصي كم دخلت الكوفة وبغداد مع محدّثي أهل خُرسان منهم: - فذكر رجالاً من أهل العلم - وبالشام: - وذكر رجالاً وبمصر: - وذكر رجالاً - وبمكة: - وذكر رجالاً - وبالمدينة: - وذكر رجالاً - وبالبصرة: - وذكر رجالاً - وبالكوفة: -وذكر رجالاً - وببغداد: - وذكر رجالاً - ومن أهل الجزيرة. . . . وبواسط. . . . وبمرو. . . .

ثم قال رحمه الله: واكتفينا بتسمية هؤلاء كي يكون مختصرًا، وألا يطول ذلك، فما رأيت واحدًا منهم يختلف في هذه الأشياء، فذكر عقيدتهم في الإيمان وفي القرآن وفي القدر وفي الصحابة وفي التكفير وفي البدع وفي الاتباع وفي معاملة من ولاه الله أمر المسلمين من بر أو فاجر كما قدمنا في أعلاه.

فهذا هو معتقدهم؛ فمن تمسك به ودان الله به؛ استحق الدخول معهم، وفي مُسَمّاهم، فهم مجمعون على ما تقدم عنهم، ولن تجتمع الأمة على ضلالة، فهم موفَّقون بتوفيق الله لهم؛ باعتصامهم على الأمور المتقدمة، مجانبون للتكلف، متعبدون بالتوقُّف، ونحن بهم واثقون، وفي اتباع آثرهم راغبون، فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم، ولا يندم من أخذ بقولهم، وترك قول عشاق الثورات، المدعين الغيرة على الشريعة، الذين ملؤوا الشوارع بالدماء بلا ورع ولا علم، بحجة أن مرتكب الكبيرة كافر، وأن المنكرات طواغيت؛ فمن واقعها والى الطاغوت، ومن والى الطاغوت فقد كفر، ومن كفر جاز الخروج عليه وقتله بعد عزله.

(١) انظر: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي (٣٢٠).

وهكذا تفعل الحماسة بسفهاء العقول، وقليلي العلم بالأصول، فلا علم يردهم، ولا ورع يردعهم، فهم مبتدعة، ويظنون أنهم على الجادة، ويعتقدون أنهم يحسنون صنعًا، ويدَّعون أنهم مع العلماء، وتراهم متضايقين منهم، وتسمعهم منفرون عنهم، ولو بالتلميح الذي هو أخو التجريح .

فيتبعون بعض الناعقين؛ بزعم أنهم علماء عارفون - الذين أوتوا فصاحة دون فقه - فتراهم يضلّلون العامة بقولهم: إن العلماء العاملين عملاء للسلاطين، أو إنهم علماء لا يعلمون الواقع، فإذا حذّرت من علمائهم المضللين المتفيهقين الرويبضة؛ قالوا لك مقولة ابن ناصر الدين الدمشقي رحمه الله: (لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أعراض مُنْتَقِصِيهِمْ معلومة، ومن وقع فيهم بالثَّلب ابتلاه الله قبل موته بموت القلب).ا هـ.

هكذا المقارنة عندهم، وهكذا الميزان المطفف لديهم؛ علماء واقع، وعلماء سلطة، فعلماء الواقع عندهم عالمون، ولحومهم مسمومة للآكلين، وعلماء السلطة عندهم مداهنون، ولحومهم سائغة للمقطِّعين والآكلين، هذا هو الميزان عندهم؛ فـ ﴿**وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ① الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ② وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ③ أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ④ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ⑤ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ (المطففين: ١-٦).

دعوة العلماء الربانيين:

ولكن الحق الذي ندين الله به أن العلماء العاملين هم علماء الدين، الذين ربطوا الواقع بالدين، لا بالآراء المخالفة للدين، فالعلماء هم العلماء الذين تهوى إليهم أفئدة الناس عند حلول النوازل المحيّرة، لا كما نرى في أشباه العلماء الذين يدَّعون علم الواقع، ويدّعون أنهم رجال الصَّحوة، ثم في الحادث العمم تراهم يهيمون دون ثبات، ويفتون في الواقع دون إثبات، فإذا عارضهم أهل الثَّبات والإثْبات، وأهل الرُّسوخ والاجْتهاد؛ نفروا منهم العامة والرِّعاع، فيرمونهم بالبهتان؛ بأنهم بغلة السلطان! فالله مجازيهم على مثل هذا الإفك والبهتان، فالعلماء هم العلماء العاملون، وإن لبس بهم الملبسون المتفيهقون، أو حاول التطاول عليهم المتعالمون المتطاولون، أو نال منهم بالباطل الرُّوَيْبِضَة التافهون، فالعلماء العاملون ليسوا كالعاملين علماء، المتعالمين المتفيهقين الرُّوَيْبِضَة، الذين - وإن كان

عندهم علم - يحبُّون كتمان النصوص التي تخالفهم، بل ويبغضونها، ويبغضون إظهارها وروايتها والتحدث بها، بل ويبغضون من يتحدث بها، فهم أهل بدع وضلال؛ نُزعت حلاوة الحديث الشريف من قلوبهم؛ فنُزِعَ عنهم أوثق عرى الإيمان؛ الموالاة في الله، والمعادة في الله، والحب في الله، والبغض في الله. (سلسلة الألباني:٩٩٨) .

أما علماؤنا هم أتباع السلف الصالح، الذين يحيون الأمة على طريق السلف في كل مجالات العلم؛ أصولاً وفروعًا، فلا يعارضون الشرع بالرأي، ولا يدفعونه بالقياس، بل بالتسليم للوحيين على فهم السلف؛ باتباعهم فيما بينوا، واقتداءً فيما استنبطوا، وسيرًا على منهاجهم وطريقتهم، فهذه هي دعوتهم وطريقتهم المباركة الأصيلة، وإن رماها الخصوم بالبهتان، فخصومهم أتباعٌ للشيطان، فنعوذ بالله من الخذلان.

فالدعوة إلى الله التي يقوم بها العلماء العالمون العاملون هي دعوة الناس إلى توحيد رب العالمين، وتربية المسلمين على هذا التوحيد، وهذا التوحيد ليس علمًا نظريًّا، بل هو واقع عملي يقوم به المسلمون في تأسيس حكمهم في أرضهم، وهذا الأمر لا يمكن أن يقوم إلا بالدعوة إليه، على مراد الله ومراد رسول الله، وهذه الدعوة هي التي سوف تجعل الأمة المسلمة - التي عددها تعدى المليار- أمة واحدة، كما كانت أمة محمد ﷺ في عهدها الأول، فإذا أردنا أن نقيم هذه الدولة المسلمة؛ فلا بد لنا أن نتخذ الوسائل الشَّرْعِيَّة التي تمهد لنا إقامة حكم الله في الأرض، فالوسائل هي الوسائل التي اتخذها النبي ﷺ ، والأساليب هي الأساليب التي اتخذها النبي ﷺ ، فإذا أخذنا بها، فالله ناصرنا ومُمكِّننا ومُؤَمِّننا، فهو نعم المولى ونعم النصير. ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ (النور: ٥٥).

أما إذا أخذنا بِطُرُقٍ أخرى مجانبة للسبيل المرسوم؛ فلن نرث الإسلام الذي أنزله الله على قلب محمد ﷺ ، وإذا أردنا النصر على الأعداء؛ فلا بد من محاربة أول عدوّ، وهو الشَّيطان والهوى، فالشيطان هو الذي قام بتفريق الأمة إلى ما هي عليه، والهوى هو

الذي قاد الناس إلى سبل الشيطان، فالشيطان هو الذي يريد أن يفرق بين الرجل وزوجه، وهو الذي يريد أن يفرق الرجل عن دينه إلى دينه؛ وهو الفرقة والاختلاف والشقاق والنزاع. ﴿**مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾ (الروم :٣٢).

فكل فرقة تحرص على إمرتها المنشقة عن الإمارة الأصل، التي فارقوها بالانشقاق عنها، قال ﷺ: «**إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة، فنعم المرضعةُ، وبئْسَت الفاطمةُ**» رواه البخاري.

فشبه النبي ﷺ الإمارة والولاية بالمرضعة، وانقطاعها بالموت أو العزل، فهذا إذا كان في الإمارة الأصل،فكيف بالله عليكم إذا كانت الإمارة منشقة عن جماعة المسلمين إمارات أسسها أصحابها المنشقون عن جماعة المسلمين بأسماء ورسوم، هم رسموها وسموها بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان؟! فهذا من جماعة كذا وحزب كذا، وهذا من طائفة كذا وطريقة كذا ! فإذا كانت الأمم شيعًا فلن ينتصروا؛ لأن التفرق هو سبيل الضعف. قال ﷺ: «**الجماعة رحمة والفرقة عذاب**»[1].

التربية المَرْضِيَّة:

فعلى جميع المسلمين، دعاة وأفرادًا أن يتربّوا على الإسلام الذي رضيه الله للعباد؛ في العقيدة والعبادة والسلوك، وعليهم أن يرفضوا كل دخيل عليه وليس منه، وإن زخرفه المزخرفون أو زيَّفه المزيفون، أو قاله المتصوِّفون، أو بَهْرَجَه الحِزْبيّون، أو أدْلى به العقلانيون أو.. أو.. إلخ.

ونحن في هذا الزمان في حاجة ماسّة إلى نوع من أنواع الجهاد، وهو الجهاد في العلم ونشره، فإن غالب الأمة بعيدة عنه، حتى من أوتي فيه بحظ وافر؛ قد انشغل عنه وبتبليغه والله المستعان، وما بلغت الأمة في هذا العصر من الخذلان؛ إلا بسبب بعدها عن الميراث النبوي الغالي الذي هجره الكثير منهم، وحتى صار من يعلِّم الناس تراه من أجهل الناس بهدي النبي ﷺ، فتراهم يغمزون ويلمزون أهل العلم الحقيقيين، ويبهرجون أشباه العلماء؛ من الثوريين ومن شاكلهم من الحزبيين، ومن حاكاهم من الخوارج والقعديين،

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٨)، بإسناد حسن.

فيقولون -مثلاً- وهم يلمزون العلماء الذين ردوا على تخرّصات دعاة الفتن، ودعاة التشويش والتهويش والتكهين: إنهم في ردودهم عليهم يطعنون على قادة الصحوة، فيقولون ويزعمون أن الدعاة الحزبيين قادة للصحوة، وما علموا أن هؤلاء الدعاة في الحقيقة هم قادة للغفلة، وقادة إلى رد العلم وأهله، وقادة للتفرق عن دين الله باسم الحزبية، ومحاربة التَّكَتُّل للعلم والعلماء باسم التّجْميعية الفكرية، فأوقعوا الناس في أزمة فكرية واضحة تجاه علمائهم الربانيين، فالعلماء الربانيون يقومون الآن بجهاد حقيقي يسبق الجهاد ضد الكفار، وهو الجهاد بالعلم؛ بتعليمهم تعاليم الدين، والتحذير من المبطلين، قال الأحنف: «كاد العلماء أن يكونوا أربابا، وكل عز لم يُؤكّد بعلم فإلى ذل ما يصير»[(١)].

وقال جعفر بن محمد: «وما موت أحدٍ أحب إلى إبليس من موت فقيه».

نعم! الدنيا كلها ظلام وضلال بدون العلماء الحقيقيين، قال ﷺ: «**الدنيا ملعونةٌ، ملعون ما فيها؛ إلا ذكر الله وما والاه، أو عالمًا أو متعلمًا**»[(٢)].

فالعلماء هم أصحاب القول الحق وإن خالفهم كل أهل الأرض، والعلماء هم الهداة إلى الرّشاد، والمجمِّعون بعد الشّتات، فهم ينابيع الحكمة، ومصابيح الظُّلَم، والعيون العذبة لكل الأمة، وهم خير من عَبَدَ اللهَ في الأرض؛ لكونهم يعبدون الله على بصيرة، على عكس العبّاد الذين أكثروا من العبادات دون بصيرة، فتراهم يقعون في المناهي قبل غيرهم؛ لظنهم أن كل شيء في العبادات حسن، وإن كان على غير مراد الله ورسوله، أما العالم الرباني؛ فهو يعلم أي عبادة تدلُّه على الهدى فيَتَعَبَّدَ الله بها، ويعلم أي عبادة تدله على الرّدى فيتعبد الله بالتحذير منها فضلاً من مقارفتها، فهو على الهدى بعيد عن الرَّدى، علمه له ولغيره، فصار منارًا للبلاد؛ يَقْتَبِس بنور علمه الهداة والمهتدون، فإذا جُلِس إليه؛ فلا تُعْدَم من حِكْمَة، ولا يُحْرَم هو ولا أنت من أجر، وكما قيل:

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٣٠٩).
(٢) أخرجه الترمذي وابن ماجه وغيرهما، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٢٧٩٧).

فخالط أهل العلم واصْحَبْ خيارهم
فصحبتهم زين وخلطتهم غنم
ولا تعدون عيناك عنهم فإنهم
نجوم إذا ما غاب نجم بدا نجم
فوالله لولا العلم ما اتضح الهدى
ولا لاح من غيب الأمور لنا رسم

فهم العلماء هم بُغْيَة كلّ الناس، فالناس بحاجة إلى علمهم وإرشادهم، فلولاهم لهام الناس وضاعوا، فالعلماء عند عامة الناس كالمصابيح في كل الأمور، فالعامة سعداء بعلمائهم، وهم خير لهم من أموالهم؛ لأن المال ينفذ، والعلم يبقى، فالمال تفنيه المصاريف بكل أوجهها، وأما العلم فيزكو مع الإنفاق، وصاحب المال يموت، ولا يأخذ من ماله إلا قدر قيمة كفنه، أما العلم فهو باقٍ وإن مات حامله، وكما قيل:

موت التقي حياة لا انقطاع لها
قد مات قوم وهم في الناس أحياء

قَعَدُ الخَوارِج:

أما اتخاذ علماء غير عالمين، لهو من أبطل الباطل، وأفسد المفاسد، ومصير إلى الهلاك دون ارتياب، وموت وليس بصحوة كما يُدَّعى، وما بُني على باطل وفاسد؛ فهو باطل وفاسد وكاسد، فغير العالمين لا شك أنهم متخذون أسلوبًا غير أسلوب العالمين، ويزعمون أنهم حبسوا أنفسهم لله، نعم! هم حبسوا أنفسهم؛ ولكن لأصولهم الفاسدة الباطلة، منها استباحة الخروج على ولاة الأمر؛ وذلك بإبرازهم لتنظيماتهم، وإطلاقهم لمسميّاتهم المختلفة المخالفة، بحجة الغاية المنشودة عندهم؛ وهي تولي السلطة، ومتطلبات هذه الغاية هي تكفير الحاكم المسلم -وهو مطلوب تحت إطارهم الحزبي- ليسوّغوا الخروج عليه، فهم إذا أرادوا التّحاكم إلى نصوص الشرع؛ فتراهم يأخذون ما وافق هواهم دونما تأمل في النصوص، ودون النظر في قول السلف في فهمهم للنصوص، فهم في حقيقتهم

لا يتحاكمون إلى النصوص الشرعية، وإنما التّحاكم عندهم على ما فهموه هم أنفسهم - بفهمهم القاصر - من النصوص، فهم متحاكمون لمذهبهم وانتمائهم وما يتبعون به من الهوى لا الهدى، وفي ذلك يقع عليهم قول الله تعالى: ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾(المائدة: ٤٤)، ﴿**الظالمون**﴾، ﴿**الفاسقون**﴾ .

فهم أصحاب فتن يبثونها بين المسلمين، وقليل من المسلمين من عرف حالهم، والقليل ممن عرف حالهم يحذر منهم، فإلى الله المُشْتكى، فنحن دائمًا في حَذَرٍ منهم، وتَحْذير منهم حتى للعامة، فنقول لهم:

احذروا من العلماء المضللين الذين يحرضونكم، فيستغلون المنابر باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهم بهذه الطريقة يريدون منكم إفساد الناس على أمرائكم، فإذا رأوا أنهم قادرون على الخروج؛ دفعوا بكم في المواجهة وقعدوا هم، وهم ينظرون إليكم، فإذا كان لكم نصر؛ قالوا: إنّا معكم ألم نحرّضكم عليهم، وإذا رأوا غير ذلك، وأريقت الدماء وانتشر الشر وانفلت زمام الأمر؛ قالوا: إنّا براء منكم ومما تدعون إليه، فهم الذين حرَّضوا على الخروج وقعدوا مع القاعدين، فهم شر مكانًا وأضل سبيلاً، وهم ما يسميهم أهل العلم { القَعَدِيَّة } فالقعدية أخبث من المباشرين للخروج.

قال أبو داود في «مسائل أحمد» (ص٢٧١) عن عبد الله بن محمد أنه قال: «قَعَدُ الخوارج أخبث من الخوارج» والقَعَدِيّة هم الذين يُزَيّنون الخروج على الأئمة ولا يباشرون ذلك[(١)].

فالقعدية هم في الحقيقة خرجوا بألسنتهم قبل سيوفهم، هم خرجوا بالتَّوطئة والتمهيد، وذلك بنشر المساوئ وإخفاء المحاسن، خرجوا بعد إملاء الحقد في القلوب على الحكام، فخرجوا بألسنتهم، وقعدوا عن الخروج بأجسادهم، فهم ينتظرون .. فإذا وقع الحاكم في المصيدة؛ نزلوا بسكاكينهم، وإذا كان غير ذلك صاروا أحْلاس بيوتهم، ولكن ليس على السنة، وإنما ينتظرون فرصة، على حين غفلة، والله الهادي وحده سبحانه.

---

(١) انظر: «هدي الساري» لابن حجر (ص٤٨٣).

النصيحة قبل الفضيحة:

والنصيحة قبل الفضيحة، إن علينا جميعًا أن نعمل بالدعوة إلى الله على منهج وطريقة السلف الصالح، ونتمسّك بما كانوا عليه، وألا ننتمي إلى أشخاص، قد يكونوا في أنفسهم صالحين، ولكنهم عن منهج السلف وطريقتهم مجانبون، وعن الدعوة السلفية خارجون، وقد يكون أشخاص آخرون بزي الإسلام متقمّصين، وهم أبعد من أن يكونوا مسلمين صالحين، فتراهم ينسبون إلى الإسلام ما ليس منه، فيشوّهوا صورة الإسلام للعوام، بله للعالم المفتوح، فَيُنَفِّروا من الإسلام باسم الإسلام، والإسلام منهم براء، براءة الشمس من اللمس، وبراءة الذئب من دم يوسف بن يعقوب ، وبراءة ابن يعقوب من امرأة العزيز.

فنحن نقول: بأننا سلفيون؛ فنذكر الناس بأن هؤلاء جميعًا - ومن شاكلهم - يجب التحذير والتنديد الشديد منهم، وننذرهم بالوعيد الشّديد من الله رب العبيد، ونذكرهم بالله، ونعظهم في الله، ونقول لهم:

إن فقه الحركة الذي تدْعون إليه في هذه الأيام؛ إنما هو كذب، وإن رأيتموه أنتم مصلحة للدعوة، ونقول: إنه خيانة للدعوة، وجر للفتنة، ولعن الله من ألقى بشرارها؛ فأوقد لنارها، قال ﷺ: « . . . **ومن يتحرّ الخير يُعْطَه، ومن يتوقَّ الشّر يُوَقَّه**». (الصحيحة/ ٣٤٢).

الحكّام العاصون ومنازعتهم:

والذي نعتقده تجاه الحكام المقارفين للمعاصي - كبيرها وصغيرها، وهي ما دون الشرك بالله - أن هذه المعاصي غير موجبة للخروج عليهم؛ لِمَا يترتَّب على هذا الفعل من الفتن التي تحلق وتحرق، أما طاعتهم فلازمة وفريضة في المعروف، أمّا طاعتهم في المعاصي؛ فلا يجوز طاعتهم فيما أمروا من معصية الله، قال تعالى: ﴿ **يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾(النساء: ٥٩). ففي قول الله سبحان وتعالى: ﴿**وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾ دليل على أن طاعة أولي الأمر لا تكون إلا في المعروف ، لهذا لم يقل: وأطيعوا أولي الأمر منكم، فقال: ﴿**وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ وهذا دليل على أن ولاة الأمور يكونون إما أبرارًا، وإمّا فجارًا؛ فتأمل!

فإن كانوا أبرارًا فالحمد لله أولاً وآخرًا، وإن كانوا فجارًا؛ فلا يجوز الخروج عن طاعتهم بالمعروف، فضلاً عن الخروج عليهم بالسيف، ولكن ينبغي كراهة ما يأتون من معاصي، مع الصبر عليهم، والدُّعاء لهم بالتوفيق إلى الطاعة، عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلّون عليهم ويصلّون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم**»، قلنا: يا رسول الله! أفلا ننابذهم؟ قال: «**لا ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من وُلِّيَ عليه وال فرآه يأتي شيئًا من معصية الله؛ فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا يَنْزِعَنّ يدًا من طاعة**» أخرجه مسلم (٦/ ٢٤).

وعن عدي بن حاتم ﷺ قال: قلنا: يا رسول الله !: لا نسألك عن طاعة من اتقى ولكن من فعل وفعل، فذَكَرَ الشّر، فقال ﷺ: «**اتقوا الله واسمعوا وأطيعوا**». رواه ابن أبي عاصم في «السنة» وصححه الألباني وغيرها من الأحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ التي تأمر الناس بالطاعة، وأن يُساق الناس كيف ساقوهم الأئمة، فانظر: «صحيح البخاري» في كتاب (الفتن) فقد أورد الأدلة على هذا الكلام بالتمام، وقد كتبت بحثًا في هذا الموضوع سنة ١٤١١هـ سميته: «المسلمون وولاة أمرهم على ضوء الكتاب والسنة» وبحثًا آخر يُعتبر مكملاً له، سميته: «أسئلة في المنهج» سألني عنها أحد الإخوة الأفاضل، وهي عن بعض المواضيع والقضايا المتعلقة بالفتن والعلماء، فاطلبها فإنها مفيدة لمن أراد الحق بدليله، فلا أطيل .

فمنازعة ولاة الأمور لا تجوز، ولا يجوز الخروج عليهم، إلا أن يروا كفرًا بواحًا عندهم من الله فيه برهان، والكفر البواح ليس مقيد بالحكام دون المحكومين، فقد يكون الكفر البواح من الجميع، ويكون مقبولاً من المحكومين، وقد يكون المحكومون أهل شرك في عباداتهم؛ كالتوسلات الشركية، والعبادات القبورية، ودعاة إلى التصوف الخرافي، والحكام غير ذلك، وهذا الكفر ينظر فيه العلماء الراسخون في العلم وليس العامة، فينظر العلماء بالضوابط الشرعية والشروط المرعيّة في التكفير، فيُؤخذ بها.

أما قادة الأحزاب ومن ينتسب إليها، أو من ينفخ ببوقها؛ فلا يؤخذ منهم فتوى،

فضلا من أن يُؤخذ منهم مشورة، فهم -كما تقدم عنهم- ليسوا أهلاً لها، فهم دعاة إلى رُعْب وإرهاب وخراب، ومسيِّلين للدّماء المعصومة بلا ذنب، فإذا ثبت لدى العلماء كفر ولاة الأمر بعد إقامة الحجة عليهم، وإظهار المحجَّة لهم؛ بالنصح والإرشاد، وبالاجتهاد في الدعاء لهم بالصلاح، فعندئذ يُنظر ! يُنظر على ما يترتب من الخروج عليهم ؟! هل يترتب منه فساد كبير أو شر عظيم يخل بالأمن ويضيّع الحقوق ؟

وقبل هذا! هل لدى الخارجين قدرة كافية لإزالتهم؟ وهل يَتَيَسَّر بعد إزالتهم ردع للظلمة، ونصر المظلومين؟ وهل لدى المزيلين قدرة في وضع إمام صالح، طيب يقيم شرع الله على مراد الله ورسوله؟

وهل الناس مستعدون لقبول الحق منه؛ بتطبيق أحكام الله بحذافيرها؟

فإذا كان كذلك، فهو ذلك! فعندئذ يجوز، ويجوز بدون ظلم وطغيان، وبدون تعظيم للشر إلى شر أكبر منه، بل بإزالة الشر أو تخفيفه وتقليله، وتعظيم الخير وتكثيره، وحفظ الأمن بسلامة المسلمين وسلامة حقوقهم وأعراضهم وأموالهم ودمائهم، والله أعلم وأحكم.

وهذا القول ليس قولاً انهزاميًّا، ولا فكرًا حزبيًّا، وليس فيه شيء من التخاذل، بل هو الحق الذي لا يختلف فيه أهل السنة والجماعة، وهو الفهم الصحيح الذي فهمه السلف الصالح على مر العصور، وهو المنهج الذي يسير بمقتضى الأدلة الشرعية، في الوقوف مع النصوص كما جاءت، لا على الحماسة التي يقودها الثوريون، ولا التخاذل الذي يقوده المرجئون والمرجفون، ولا الخروج الذي يقوده التكفيريون، ولا الدعوة إلى الخروج الذي يقوده القَعَدِيّون، فالحق الذي لا يختلف فيه السلف هو التقيد بالكتاب والسنة، على الفهم الصحيح الذي يحمل العباد إلى حب نصرة الحق، والغيرة عليه، فإذا فعلنا ذلك؛ كتب الله لنا النصر، وأتت إلينا أمنيتنا في الاستخلاف في الأرض، والتَّمْكين في الدين، والأمن في الدنيا والآخرة، فيجب علينا جميعًا - إن كنا غيورين لله - أن نلتزم بحدود الشرع، وأن نناصح من ولاّه الله أمرنا، بالكلام الطيب، وبالحكمة، والأسلوب الحسن، لا بالشدة والعنف، ولا بأسلوب القعدية؛ مفاتيح الشر مغاليق الخير، بل بشتى الطرق

الحكيمة السليمة، مع الدعاء للولاة في ظهر الغيب والجهر بأن يهديهم الله، ويوفقهم إلى الخير ويعينهم عليه، وأن يعينهم على ترك المعاصي والمنكرات أو إقامتها، وأن يُدْعى لهم على إقامة الحق ونشره، والأخذ على يد الظالم ودحره، كل ذلك ما يكون إلا بتوجيه النصح لهم سرًّا لا علنًا أمام الأشهاد، قال ﷺ: « **من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانية، ولكن يأخذ بيده فيخلو به؛ فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدى الذي عليه**»(١).

الكفر البواح إذا قال به بعض الحكام:

وهنا نورد فهم السلف في مسألة التكفير لمن خرج منه كلمة الكفر البواح، فالخليفة المأمون العباسي أقر مقولة الكفر البواح، وهي مسألة القول بخلق القرآن، وهذه المقولة كفر بإجماع السلف، وكان الخليفة المأمون يُعَذِّب ويقتِّل فيها العلماء الذين لم يقولوا بقوله، وما كان العلماء يفتون بكفره؛ للشبهة المانعة من تكفيره، ولا سيِّما عند خفاء آثار النبوة واستشراء الجهل، وتزيين الباطل من قبل مفتيه وقضاته الذين كان يُحسِّن بهم الظن، وكان المأمون في هذه المسألة بالذات مقلِّد، ومذهب المقلد هو مذهب مفتيه كما لا يخفى(٢).

ومع أن الإمام أحمد هو ممن افتتن من المأمون ومع من معه بهذه المسألة؛ فقد كان يَتَرَحَّمَ عليهم ويستغفر لهم، نعم! إن المأمون قد قال كلمة الكفر الصراح البواح، ولكن لا يتعين الكفر عليه - أي لم يقع الكفر عليه - لأنه لم يكن مكذبًا للرسول ولا جاحدًا لما جاء به الرسول ﷺ، ولكن الشبهة التي بثها المتأوِّلون ومع ذلك؛ فإن الإمام أحمد كان ممن وقف بمحاربة هذه البدعة، والخروج عليها، لا الخروج على قائلها، بل كان ينكرها بجهاد البيان على قدر الإمكان، الذي كان في ذلك الزمان هو الجهاد الأكبر، أكبر من جهاد السيوف، فحفظ الله الدين بهذا الإمام الجليل، وسُمِّيَ بعدها وإلى يوم الدين: «إمام أهل السنة والجماعة».

وبالمناسبة أذكر هنا فائدة مهمة جدًّا؛ وهي أن الإمام أحمد كان يفتي في تلك الأيام بقتال التكفيريين الخارجين، وكان يعتبره أولى من غزو الكفار؛ فروى الخلال في كتابه

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٤٠٣)، وصححه الألباني في «تخريج السنة» لابن أبي عاصم.
(٢) انظر: «فتاوى ابن تيمية» (٢٣/ ٣٤٩) قبل وبعد لزامًا.

«السنة» (١٢٠) بسند صحيح عن أبي بكر بن حماد قال: «سألت أبا عبد الله أحمد ابن حنبل: الرجل إذا أراد الغزو، وكان إذ ذاك الخُرَّمِيَّة - أي أتباع بابك الخُرَّمي الخارجي- قلت: إلى أي الوجهتين أحب إليك؟ قال : وأين مسكن الرجل؟ قلت: في هذه المدينة، وأشار - أي أحمد- نحو الخُرَّمِيَّة».

فأشار إلى قتال الخوارج، لهذا دائمًا وأبدًا نقول: على جميع المسلمين أن يتحركوا بالنصوص، لا بالفصوص، فالحركة التي فيها بركة هي المتابعة المحضة للسلف الصالح لا غيرهم.

أما الإنكار باليد بالقتل أو بالخروج عليه، أو بأسلوب المظاهرات الديمقراطية الكُفْرِيَّة، بحجة أنه لم يستجيب، أو لن يستجيب؛ فهذا هو أسلوب الخوارج المارقة، والمعتزلة الذين بفلسفتهم خرجوا بمذاهب شاذة وآراء منحرفة، وفساد هؤلاء أكبر وأكثر وأعظم من إنكارهم، وهذا لمن عرف السيرة والتاريخ وسبرها، واتعظ بها بعد أن قرأها، وهذا الكلام قد لا يقنع أهل الأهواء والجهل، ولكن يُقْنِع أهل الفِطَر السليمة، الذين قد يكون عندهم شُبَه، فيرجعون عنها بعد التنبيه والتذكير، فالذكرى تنفع المؤمنين، والله نعم المولى ونعم النصير، لمن قبل الحق بدليله، وترك الهوى وقيله.

الوضع المُزْري:

لكن الناظر إلى وضع المسلمين في هذه الأيام وواقعه المرير، والدور الذي يمرون به من تحكم الولاة الجائرين - إلا من رحم ربي منهم - وبعضهم من ظهر منه الكفر البواح والشرك الصراح .

فوضع الأمة المسلمة التي تعيش تحت هؤلاء الحكام؛ يرى أن الوضعَ وضع صعب للغاية، وهو وضع يشبه الوضع الذي كان يعيشه النبي ﷺ ومن آمن معه في مكة، فكان وضعًا صعبًا، ويصاحبه الضعف لدى الطائفة المسلمة، بحيث كانت الطواغيت الشركيَّة هي الحاكمة، وكان النبي ﷺ يطالبهم بتحكيم شرع الله؛ بأن يوحدوا الله، ولا يشركوا به شيئًا، وأن يتركوا عبادة الأوثان التي هي عبارة عن أصنام منصوبة على قبور أناس كانوا عندهم صالحين، يسألونهم المدد والغوث والشفاعة والنّصر و..و.. إلخ بزعم

أنهم يقربونهم إلى الله زلفى، وأنهم شفعاء عند الله، فكان النبي ﷺ يعيش بينهم، ويدعوهم إلى أن يوحِّدوا الله، ويعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، ولكنهم حاربوا دعوته الحقَّة، ونصروا طواغيتهم الممثلة بالأوثان والأصنام، فما كان من النبي والذين آمنوا معه إلا أن يتبرؤوا منهم ومن طواغيتهم، واستمروا في الدعوة إلى ربهم، ولم يخرجوا على أولئك الحكام الكفار المشركين في مكة، بل ولم يدعوا إلى الخروج عليهم؛ لعدم قدرتهم عليهم بسبب قلتهم وضعفهم، ولما هاجروا إلى أنصارهم في المدينة، حيث كان العهد المدني الذي تتابعت فيه الأحكام الشرعية، والقوانين الإلهية، وكثر المسلمون الموحدون، وقويت شوكتهم، بعد دعوة متواصلة، وجهود مكثفة، فيها التوجيهات السّماوية، التي تأتيهم تَتْرى، ويشرحها ويبينها النبي ﷺ - وهي باقية لم تندرس، ولن تندرس إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها - أُذنَ لهم بقتال الطواغيت وأهلها، كما هو مبين واضح من سيرة النبي ﷺ وأصحابه ﷺ، فالخروج على الحكام في هذه الأيام ليس على هدي النبي ﷺ الذي أُمِرْنا بالاقتداء به كما في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ (الأحزاب: ٢١).

فالخروج على الحكام الذين عندهم الكفر البواح والشرك الصراح في هذه الأيام، هو طريقة من قال عنهم ﷺ: «**ولكنكم قوم تستعجلون**».

وأما الخروج على حكام المسلمين العُصاة، فهي طريقة الخوارج الذين ظنوا أن المعاصي مخرجة عن الإسلام، فحكموا على الحكّام بالردة بمقارفتهم الكبائر، أو بتحكيمهم غير ما أنزل الله.

البرلمان حكم بغير ما أنزل الله:

وبالمناسبة؛ الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرًا بواحًا مخرجًا عن الملة، وقد يكون كفرًا عمليًّا؛ أي يكون فسقًا، أو ظلمًا، على حسب الحاكم الذي يحكم بغير ما أنزل الله كما تقدم الكلام فيه في أعلاه، فمثلا الحكم بالبرلمانات الكافرة؛ قد يكون كفرًا اعتقاديًّا، وقد يكون كفرًا عمليًّا، فالذين يدخلون البرلمانات قد ينسون أو يتناسون أنهم بدخولهم البرلمانات يكونون محكومين وليسوا حُكّامًا، فهم سوف يسايرون النظام البرلماني الغير

الإسلامي - أي الوضعي- اضطرارًا، فالبرلمان حكم بغير ما أنزل الله؛ ففيه ما يُسمى الميثاق الوطني؛ وهو الاعتراف بكل الأديان والأحزاب الكافرة التي تعارض الإسلام، وهي موجودة في البرلمان، ويقسم الداخل في نظامهم اليمين الدستوري والإيمان بالديمقراطية، وحينئذ ستقوم معارك كلامية وجدلية بين الأحزاب البرلمانية، ثم تُؤخذ القضايا المطروحة بالتصويت، ويدخل في التصويت الرجال والنساء، على طريقة الانتخابات، والذي صوته أكثر يكون هو المنتصر، ولو كان المنتصر هو الحزب الكافر، فيُكْفَرُ بالإسلام، لهذا كانت البرلمانات كفر بواح، دخل فيه المسلمون بنية ظنوا أنها طيِّبة، سوف توصلهم إلى تغيير الحكم إلى إسلامي، ولكن على طريقة أبي نواس {وداوهم بالتي كانت هي الداء} وهذه الطريقة غير إسلامية، وطريقة أبي نواس بمنطوقها المعاصر {الغاية تبرر الوسيلة} وهي قاعدة كفرية لا يجوز العمل بها، ولكن القاعدة الإسلامية السلفية هي: {الوسائل لها أحكام الغايات} أي لا بد أن تكون الوسيلة شرعية للوصول إلى الغاية الشرعية، وما بُنِيَ على فاسد فهو فاسد.

أما ديننا الإسلامي فهو دين إصلاحي، وهذا الإصلاح مبني على أساس متين، يبدأ بالإصلاح العقدي التربوي أولاً، فهو تأصيل متين، فمن أراد إصلاح الناس بغير هذا الإصلاح - أي: من خلال البرلمانات الكافرة - فهو كالذي بنى أساسه على شفا جرف هار، فلا شك أنه سوف ينهار كما قال الله تعالى: ﴿**أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ**﴾ (التوبة: ١٠٩).

وقال ﷺ: «**إن ما بقي من الدنيا بلاء وفتنة، وإنما مثل عمل أحدكم كمثل الوعاء؛ إذا طاب أعلاه طاب أسفله، وإذا خبث أعلاه؛ خبث أسفله**» .

فعلى كلِّ حال لا يجوز تكفير من دخل البرلمانات من المسلمين، إلا من آمن بها، واعتقد أنها أفضل من حكم الله، أو أنها تعادل حكم الله، أما من دخلها متأوِّلاً، مع علمه أنها لا يجوز التحكيم بها، ولكنه ظن أنها قد تنفعه في الدعوة، أو.. أو.. إلخ فلا يُكَفَّر حينئذ، بل يُنصح، ويُحَذَّر، ويبيّن له أنها حكم بغير ما أنزل الله، وأنها لا تُعتبر وسيلة لجلب غاية، وأن من استند على القاعدة الكُفْرِيَّة: {الغاية تبرر الوسيلة} فهو مستند

(١) رواه أحمد وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧٣٤).

إلى قاعدة لم ينزل الله بها من سلطان، وهي قاعدة تحكِّم شرع الشيطان، لا شرع الرحمن تبارك وتعالى، وننصحه أن البرلمانات الكافرة، هي عبارة عن مخالفة صريحة لهدي النبي ﷺ ، ومن خالف الهدي؛ فسوف تكون عاقبته خُسْرًا .

(انظر إلى رسالتي: «ملاحظات على الرسائل الشمولية» للحميدي)

نصيحة لكل المسلمين حكامًا ومحكومين:

فندْعوا جميع المسلمين والإسلاميين؛ حكامًا ومحكومين، بأن يُحكِّموا شرع الله، وأن يَحْكُموا بما أنزل الله؛ حتى تؤسس الأرض الإسلامية على حكم إسلامي؛ يُنْشَر فيه الخير والبر والتقوى ويَنْتَشِر، فيُرَبّى المسلمون على دعوة صحيحة، على أساس الكتاب والسنة وعلى فهم سلف الأمة، وحتى تصير الأمة الإسلامية أمة واحدة، عربها وعجمها، أسودها وأبيضها وأصْفرها، فأمة الألف مليون أو يزيدون، أمة منصورة بنصر الله، بعد نصرها لدين الله، أمة متى اتبعت واقتدت بالرسول ﷺ حكمًا وأسلوبًا؛ حكَمَت الأرض، كما حكم أتباع الرسول الأرض، ونشروا الأمن بين العباد،هذه الأمة متى اتخذت هدي نبيها، سوف يبلغ حكمها وتحكيمها مشارق الأرض ومغاربها، قال ﷺ : **«إن الله زوى ليَ الأرض؛ فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوِيَ لي منها»**(١).

وقال ﷺ : **«ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مَدَر ولا وبَر إلا أدْخَلَهُ اللهُ هذا الدِّين، بعز عزيز، أو بذلِّ ذليل، عزًّا يعز الله به الإسلام، وذلًّا يذل به الكفر »** (٢).

فهذه الأحاديث فيها الوعد الصادق لمن صدَق مع الله، ونصر دين الله، فالله ناصر عباده الناصرين لدينه ولو كره الكافرون، وقد أعز الله المسلمين الأوائل بنصرهم دين ربهم الذي ارتضى لهم، ونحن الآن في القرن الخامس عشر الهجري ونحن منهزمون لانهزامنا عن دين ربنا، بالتفرق والتمزق على أفكار مباينة للكتاب والسنة، وبعيدة عن الهدي الذي كان عليه المسلمون الأوائل، والجزاء من جنس العمل!

فإذا أردنا أن نعود للعز الذي كان عليه سلفنا، فعلينا أن ننصر ما نصره سلفُنا،

---

(١) رواه مسلم (٨/ ١٧١).

(٢) رواه ابن حبان وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣).

ومحاربة ما حاربوه وجانبوه، فنصروا السنة وحاربوا البدع، وعلينا أن ندع الثورات التي ما تُسْمِنُ ولا تغني من جوع، بل والله إنها لتزيد في السوء، وتضيِّع الحقوق، فهي جهل بالمشروع، فالثوريون والتكفيريون لا إلى النصوص تحاكموا، ولا بمذهبهم تمسّكوا، وهو ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾(يوسف:٦٧)؛ فثاروا وكفّروا، وحرّضوا الناس على حكّامهم، ببث الفتن التي تفسد الشعوب عليهم، وعليه أقول والحق أقول: إذا كان هؤلاء التكفيريون مسلمين غير مندسين على الإسلام؛ فهم في منتهى الجهل بالإسلام الذي أنزله الله على قلب محمد عليه الصلاة والسلام. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

الدعوة السلفيَّة تحارب الحِزْبِيّة:

هذه هي دعوتنا السلفية التي تحارب كلَّ حزبية - بكل أشكالها وأنواعها - فهي سلفية تنتمي إلى معصوم، وهو النبي عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم، الذي ما ينطق عن الهوى، على العكس من الأحزاب الأخرى؛ فهم ينتمون إلى غير معصوم، يُصدِّرون الفتاوى باستحلال دماء المسلمين، والمعاهدين والآمنين والمكاتبين، ويفتون بجواز التفجيرات، والإطاحة بالمباني، وإن كان فيها النساء والأطفال والآمنين، وإذا تتبعت النصوص الإسلامية في هذا الحكم الجائر؛ رأيته حكمًا بغير ما أنزل الله، فهل نكفر قائله؟ وإن كان ممن يقود قاعدة سماها بالجهاد؟

فننصحه وأمثاله من أصحاب فكره بأن يلزم التفقه في الدين، والعمل بما جاء به القرآن الكريم وسنة النبي الأمين ﷺ، وهذا أفضل من الجهاد بجهل، وأفضل من قيام وصيام مع تكفير وتقتيل، والله الهادي إلى سواء السبيل.

ونحن نقول: لو كان أولئك النَّفر من الثوريين التكفيريين صادقين في نصرة الحق؛ لتحروا الحق، وطلبوه من أبوابه الصحيحة، ولكن كما نراهم قد استحوذ وتعاظم في أنفسهم الهوى، واستولى على قلوبهم الغرور، فصار عندهم نزعة استقلاليَّة، بأنهم هم المجاهدون في الساحة وحدهم، وغيرهم القاعدون، فالقاعدون عندهم إما كفارًا، وإما فسَّاقًا، حتى العلماء منهم، فصغر في أعينهم قدر العلماء، وذهبت مهابتهم وتوقيرهم، وهذا أكبر سبب في ترامي الشباب في أحضان الفتن، فليس عندهم علماء يقودون، ولكن

الجُهَّال والرُّوَيْبِضَة يَتَفَيْهَقون فيفتون؛ فيضللون، ثم يضيعون الجهود الإسلامية الشبابية، وإن كانت نيتهم طيبة، فالنية الطيبة لا تجعل الباطل طيبًا أبدًا.

الجواب التأصيلي:

ولكن الجواب التأصيلي السلفي الذي أريد أن أبَثَّه من خلال هذه الورقات؛ هو معرفة قيمة أهل العلم والفضل - فلا يعلم الفضل لأهل الفضل إلا أولو الفضل- فهم الذين يخبروننا - بما آتاهم الله من علمِ الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة - بالواقع المُغَيَّب، ولا يُظَنّ بهذا العبارة غير المراد منها، أو بأنها مكاشفة صوفيّة، وإنما هو إلحاق الشبيه بالشبيه، وقياس النظير بالنظير، كما قال الله تعالى: ﴿ **وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ**﴾ (العنكبوت: ٤٣).

فالوصول إلى الغاية المطلوبة لن يكون إلا بالتربية الإسلامية الصحيحة: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ**﴾ (الأحزاب: ٢١). لا بالتربيات الحزبية التي فرقت جمع المسلمين، وحولته فتاتًا، يلتقطه كل لاقط، ويدوسه كل ساقط: ﴿**وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾ (الأنفال: ٤٦)، ويجب أن تكون نظرة الدعاة إلى الله نظرة ثاقبة بعيدة، لا كما قيل: لا ينظر إلى أبعد من أرنبة أنفه، فيجب معالجة الأمور جديًّا، وعلى الدعاة أن يدرسوا - أي يتعلموا - الشريعة من أصولها وقواعدها، فيكون الاعتماد على النفس لا على الغير، كما هو حاصل لكثير من الدعاة، وهم يأخذون ويمتصون كل ما هب ودب من الأقوال كالإسفنج، حتى ولو أن أحد المضلين قال لهم: لا تعتمدوا على الكتب الصفراء - أي كتب السلف في العقيدة والمنهج - لكانوا منقادين لمقولة السوء هذه، التي أصابت الوكسة عند كثير من الناس، وسقط قناع الخشية عن قلوب كثير ممن يتصدون ويتصدرون للدعوة والفتوى، فصارت الطّامّات والضلالات تجرف، وتمور مَوْرًا تحت هذا الشعار الأفّاك، الذي أوْدى بالناس إلى الإيمان بالخرافات والأساطير والأباطيل، والعقائد الفاسدة الكاسدة، بل والمنكرة الكافرة، بل والغالية التي أوردتهم سواء الجحيم، وما تخفي صدورهم أكبر.

فالأهداف والغايات الإسلامية لا يمكن تحقيقها إلا بالعلم النافع، والعمل الصالح،

وهو الهدى ودين الحق الذي أرسل به الرسل، وأنزلت به الكتب، وسار عليه السلف الصالح، وما زال أتباعهم يسيرون عليه، والله يبارك فيه، وإن كانوا قليلاً بين أناس كثير، وإن كان الذين يخالفهم أكثر من الذين يطيعونهم، ولكنهم هم الطائفة الناجية المنصورة، المنصورة بنجاتها، والناجية بنصرة الله لها، والمنصورة بنصر الله لها، والناجية بنجاتها في الآخرة، والله المستعان وعليه التكلان.

فالواقع الذي فيه المسلمون في هذه الأيام هو بحاجةٍ - أعتبرها من الجهاد الأكبر- إلى تعريفٍ صادقٍ بدينهم، وتوجيههم إلى التعرف على المنهج الذي سار عليه الرسول وصحبه ومن سلك طريقهم، وبعد هذا التوجيه تكون التربية على هذا التوجيه، أما الاستعجال للوصول إلى الحكم ولو بالقوة؛ فهذا ليس مطلب الإسلام؛ لأنه سوف يكون نتيجته وعاقبته خُسْرًا، ثم بعد هذه النتيجة والعاقبة المؤلمة تكون ملايين الناس لا يعرفون من الدين إلا اسمه ، ولا من الالتزام إلا رسمه، لهذا كنت وما زلت - وأسأل الله الثبات على هذا - أدعو الناس إلى المتابعة المحضة للميراث النبوي الغالي، وترك حظوظ النفس الأمارة التي تدعو دائمًا للانتصار على الخصوم، ولو بالجور بحجة الغيرة على الدين، فالغيرة على الدين بالمفهوم الصحيح لن تكون إلا بالالتزام بنصوص الدين، والوقوف عند أحكامه، لا بالعاطفة المزاجيّة، ولا بالأذواق الصوفيّة، ولا بالآراء الحزبيّة، ولا بالأعراف الاجتماعيّة، ولكن بتشمير ساعد الجد لتحصيل العلم الشرعي، ودعوة الناس إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة وفهمهما على فهم السلف في كل القضايا المنشودة، فيأخذوا العلم من مناهله ومنابعه الصافية؛ حتى يعودَ الناس إلى ما كانوا عليه من العز والمجد الذي ينشده الإسلام.

فنادوا يا إخوة الإسلام بهذا المنهج الوهاج، الذي هو العودة الصحيحة إلى الله، بالعقيدة التي من مات عليها؛ فهو المؤمن حقًّا وصدقًا، ومن مات عليها؛ مات وهو على بصيرة من دينه، وهذه بُشْرى لآخرته، ومن مات عليها؛ فلن يضيعه الله تبارك وتعالى ولن يضيع عمله، أما من مات على غير هذا؛ فمات على التحزب الذي أساسه - دائمًا - التحزب ضد السلاطين وانتهاز فرص الضعف عندهم؛ فيثير العامة عليهم، فهذا يموت ميتة جاهلية، يُخشى عليه في يوم التناد، يوم غضب الرب الواحد القهار العزيز الجبار الكبير

المتعال، يُخشى عليه غضب من عظمت سطوته وجلت قدرته، فتوبوا إلى الله يا عباد الله وادعوا دعوة التائب إلى الله فقولوا:

اللهم اغفر لنا ما قدّمنا وما أخّرنا، فاغفر لنا ما قدمته أيْدينا، ثم ابكوا حتى تبتل الأرض من تحتكم، وتذكروا أن الذي كنتم فيه من شر الدواهي، وأقوى القرائح، هو اتباع لكل شيطان مارد، فأنقذكم الله مما كنتم فيه، فلله الحمد والمنة وحده، فَمَنَّ الله عليكم بالعقيدة الصحيحة، بعدما كنتم بعقيدة جريحة، مَنَّ الله عليكم باتباع الحق، بعدما كنتم أسْرى للباطل، مَنَّ الله عليكم بالهداية بعدما كنتم في غاية الغواية، مَنَّ الله عليكم بعلماء ربانيين، تعويضًا لكم من أولئك المُزَوِّرين الرُّوَيْبِضَة المُتَفَيْهِقِين، فخذوا يا عباد الله وانهلوا من علمائكم الحقيقيين، الذين على الكتاب والسنة تربوا وتمسكوا، ومن منهج السلف الصالح نهلوا وارتوَوا .

وصلى الله على المبعوث رحمة للعالمين؛ نبينا وقدوتنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم إلى يوم الدين.

كتبه

أبو ماجد أحمد بن عبد القادر تركستاني

انتهى يوم الأحد ٢٢/ ١٢/ ١٤٢٣ هـ

الرد على جماعة التبليغ

بسم الله الرحمن الرحيم

هل هذه الجماعة من الفرق المبتدعة ؟

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد :

فإن كثيرًا من الناس -إلا من رحم الله تعالى- مخدوعون بالبدع وبقادتها، وما خُدعوا إلا بسبب عدم معرفتهم للحق وأتباعه الذين حملوا راية الإسلام على مراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ ، وما عرفوا أن قادة البدع هم في الحقيقة دعاة إلى أبواب جهنّم؛ من أجابهم قذفوه فيها كما أخبر النبي ﷺ به، ونحن إذ نتكلم في موضوعٍ كهذا؛ فهذا مما نراه في هذا الزمان الذي كثرت فيه المنكرات، ومن هذه المنكرات تعدد الأحزاب والجماعات التي تدعي أنها تدعو إلى الإسلام، ولكنها مع الأسف تدعو إلى الإسلام عن طريق ما تنتمي إليه من تلك الفرق الحزبيَّة، لا عن طريق المنهج الذي رسمه لهم الشارع الكريم، والذي هو منهج الرسول ﷺ وأصحابه، كما وصفهم النبي ﷺ لما ذكر الفِرَق التي افترقت عن المنهج القويم فقال عن الفرقة الناجية منهم : «**هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»، فالفرقة النَّاجية منهجها واحد؛ وهو منهج الرسول ﷺ ، وإمامها واحد؛ وهو الرسول ﷺ ، وفهمهم واحد؛ وهو فهم السلف الصالح؛ لا على فهم تلك المناهج والجماعات وقادتها .

ففي هذه الورقات سوف أبين -إن شاء الله- منهجًا دعويًّا واحدًا من هذه المناهج الكثيرة التي وفدت إلى بلادنا فغيرت السنن بالبدع، والحق بالباطل، والمعروف بالمنكر، وقلبت الموازين عند كثير مِمَن انتمى إليهم، بل وغَيَّرت التوحيد إلى الشرك الصراح كما سنبينه إن شاء الله في هذه الورقات، وبالأدلة الواضحة التي سوف تكشف عوار هذه البدعة وضلالها، وحقيقة منهجها الفاسد، حتى يحذر من انتمى إليها وهو لا يدري ما تحت الغبار أفرس هو أم حمار ؟

وهذا المنهج هو منهج فرقة جماعة التبليغ المعاصرة التي أسَّسها محمد إلياس، فجماعة التبليغ في الحقيقة هي فرقة متمسكة بفهم مؤسسها؛ كحال بقية الفرق، فكل فرقة في ساحات المسلمين متمسكة بفهم مؤسسيها بلا شك ولا ريب، فكل الدعوات والفرق والأحزاب - وإن صح التعبير الجماعات - كلها متمسكة بفهم من أنشأها، ومع ذلك هي تدعي أنها تتمسك بالكتاب والسنة؛ فمثلا الجهميَّة متمسكة بفهم الجَعْد بن درهم، والجَهْم ابن صفوان، وتدّعي أنها متمسكة بالكتاب والسنة، وكذلك الأشْعرية فهي متمسكة بفهم أئمَّتِهم المنتسبين لأبي الحسن الأشعري، وكذلك جماعة الإخوان المسلمين المعاصرة بفصائلها متمسكة بفهم مؤسسها حسن البنا وسيد قطب والهضيبي وغيرهم، وكذلك الفرقة التي نحن بصدد تبيين حالها فهي تنتسب إلى محمد إلياس كما تقدم، وتحمل فكره وعقيدته، فكل من انتسب إليه فهو تبليغي؛ لأن سلفه هو محمد إلياس، وكذلك نقول عن بقية الفرق أن سلفهم هم مؤسسو هذه الفرق، ولكن هنا سؤال يدخل في ثنايا هذا الكلام، وهو من هم أصحاب الدعوة السلفيّة ؟ هل هم كباقي الفرق ؟ أي هل هم ينتسبون إلى مؤسِّسي دعوتهم ؟ فإذا كانوا كذلك؛ فمن هم مؤسسو هذه الفرقة التي ينتسبون إليها ؟ وما هي مصادر التلقي عندهم، وإلى ماذا يدعون ؟ . . .إلخ.

فنقول وبالله التوفيق : إن أصحاب الدَّعوة السلفيَّة هم أصحاب دعوة السلف الصالح، وهم ينتسبون إلى الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فهم على فهمهم وعلى منهجهم، فدعوة السلف مبنيَّة على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه في كل زمان وفي كل مكان، أما مؤسس هذه الفرقة فهو رسول الله ﷺ، لهذا هي ناجية، ومنصورة، فهي منصورة بنجاتها، وناجية بنصرة الله لها، فنصرها الله لأنها دعوةٌ من عند الله، جاء بها رسول الله بوحيٍ من الله وبإذنٍ من الله وعلى بصيرةٍ من الله، لا بفهم قادة الجماعات والأحزاب التي هي باقي الفرق الهالكة هداها الله، أما مصادر التلقي عند السلفيين : فهو الكتاب والسنة وعلى فهم سلف الأمة، أيضًا ليس على فهم قادة الأحزاب والفرق الذين أسسوا تلك الفرق بظروف وملابسات أرادوا تحقيق مرادهم بإنشاء تلك الفرق التي مزقت وحدة الأمة وجعلتها أحزابا يذيق بعضهم بأس بعض والله المستعان، أما إلى ماذا يدعو إليه أصحاب الدعوة السلفية؟ فهم يدعون إلى الاهتمام بالكتب السلفية وبقراءتها وحفظها

وفهمها وتحقيقها ونشرها والذَّب عنها، والرَّد على من خالفها من أصحاب الدعوات الباطلة من مبتدعة وغيرهم، فمن مؤلفات السلف التي يهتم بها السلفيون قراءةً وفهمًا وتحقيقًا ونشرًا فهي كثيرة جدًّا ولكن أذكر بعضا منها : موطأ الإمام مالك، وكتب الشافعي كالأم والرسالة، ومسند الإمام أحمد، وصحيحي البخاري ومسلم، والسنن الأربعة، وتفسير الإمام الطبري الأثري، وابن كثير، ورد الإمام الدارمي على المرِّيسي، ورد الإمام أحمد على الجهميَّة، وكتاب خلق أفعال العباد للبخاري، وكتاب الشريعة للآجُرِّي، والإيمان لابن مَنْدَه، والتوحيد له، والتوحيد لابن خزيمة، والسنة للإمام أحمد، والسنة للخلاّل، والسنة لابن الإمام أحمد، والإبانة لابن بطَّة، والسنة للبربهاري، وشرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، وكتب شيخ الإسلام ابن تيميَّة كلها بلا استثناء، كذا كتب تلميذه ابن القيم، وكتب أئمة الدعوة النجدية السلفية؛ ككتاب التوحيد للإمام محمد ابن عبد الوهاب وشروحه مثل تيسير العزيز الحميد، وفتح المجيد، وقرة عيون الموحدين، والدرر السنية، وغيرها الكثير ممن كتب على منهج أولئك الكرام من السابقين واللاحقين، أما المناهج الوافدة والفرق المتكاثرة؛ فهي تدعو إلى كتب مؤسسي أحزابهم الذين أحاطت بهم ظروف وملابسات، فكانت لهم أهداف وغايات يسعون بتحقيقها بواسطة تلك المناهج المختلفة فيما بينها، فعلى ما تقدم يتبيّن لكل عاقل أن منهج السلف الذي يسير به السلفيون منهج متميز ذو مقومات صحيحة في الاعتقاد والدعوة إلى الله، وكذلك في باب الولاء والبراء في دين الله تعالى؛ لكونه يسير على ما تقدَّم تبيانه، أي يسير سَيْرَ الرسل والأنبياء عليهم السلام، وذلك لمجيء تِبْيانه في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وسيرته العطرة، وهو الذي دَرَجَ عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى يوم الدين، وبعد هذا ! هل يجوز للمسلم أن يتبع غير هذا السبيل، أو هل له أن يخرج من هذا المنهج العظيم إلى مناهج أسسها أُناس ألقوا في مناهجهم حثالة أفكارهم وزبالة أفهامهم ؟ كحال الجماعات والفرق الكثيرة المنتشرة في ساحات المسلمين، منها الجماعة التي نحن بصدد الكلام عنها هنا وهي جماعة التبليغ، فمن هي جماعة التبليغ، وهل هي من الفرق التي حذر منها الرسول ﷺ ؟ أم هي ناجية منصورة؟

فجماعة التبليغ هي في الحقيقة تنتمي إلى مؤسسها محمد إلياس الحنفي المذهب،

والديوبندي الهندي الصوفي المشرب، القليل البضاعة في العلم الشرعي غير شهير فيه، ولكنه كان قوي الحماس للدعوة إلى التصوُّف، كما سنبين ذلك بعد قليل. أما أشهر كتب جماعة التبليغ التي يهتم بها المنسوبون إليها كتاب «تبليغي نصاب» مؤلفه محمد زكريا، وهذا الكتاب محشو بالروايات الضعيفة والموضوعة، وبالحكايات الغريبة، وبأنواع الأوهام والخرافات التي سوف نذكر بعضها في ثنايا هذه الورقات، وهناك كتب أخرى سوف نذكرها ونذكر نقولاً منها إن شاء الله حتى يتبين لنا جميعا أن هذه الفرقة أو هذه الجماعة إن صح التعبير تحمل معها عقائدها وأفكارها الخاصة بها، والتي ليست لها علاقة بالعقيدة الصحيحة، وهذه الفرقة كما هو معلوم قد انتشرت في شتى بقاع العالم، ولاسيما في شبه القارة الهندية، وسيطرت على الأذهان والعقول بالسير في الطريق الصوفي المنحرف عن العقيدة الإسلامية الصحيحة الصافية، فطائفة التبليغ ما أغواها الشيطان إلا بسبب جهلهم؛ لأن من منهجهم أنهم لا يحبون العلم الشرعي، ويدعون أن العلم الشرعي فيه اختلاف يقسي القلوب، فنرى أن علومهم منصبة على علم الأوهام والأحلام والخرافات، وهم في زعمهم أن الجهد مقدم على العلم فقلبوا ميزان الله الذي قدم فيه العلم قبل القول والعمل على ميزان قوله تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ**﴾(محمد: ١٩).

فمن هذا الانحراف فتنهم الشيطان كما فتن الجهال من قبلهم من الأقوام الذين تركوا العلم فاستغل الشيطان جهلهم فأوقعهم في شباك الشرك والبدع والانحراف كما سنبينه قريبا إن شاء الله، فهم يَدْعون الأموات ويستنجدون بالمقبورين ويستغيثون بهم، ويعتقدون أن الأولياء بعقيدة كشف القلوب يتصرفون في الكون، وهذه الشركيات والبدع هي نفسها التي فَتَنَ الشيطان كل الأمم الهالكة، فهذا هو دَيْدَن الشيطان ومراده في كل مكان وفي كل زمان؛ لعداوته المعروفة لبني آدم منذ خُلق، وهذا الكلام الذي أقوله ليس افتراءً على هذه الفرقة، ولكن سأورد ما سطروه في كتبهم ومراجعهم، حتى يتبين لكل مسلم من هم هؤلاء فيحذرهم ويحذر منهم، فإنهم كما قال النبي ﷺ في أمثالهم: «**دعاة إلى أبواب جهنم، من أجابهم قذفوه فيها**» فأعاذنا الله منهم ومن أمثالهم، ونحن إذ نورد هذا الشر لكي يتعرف الناس إليه؛ فيحذروه، ولكن مع المقارنة بينه وبين معتقد أهل السنة والجماعة؛ أهل الله وخاصته الذين سماهم النبي ﷺ الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، ولكن قد

يغتر بعض الناس بكثرة المنتمين إلى فرقة التبليغ، ويظن أن الحق يكون بالكثرة، ويعتبرون أن هذا كرامة لمؤسس جماعتهم محمد إلياس، ولكن الذي يعتقده أهل السنة والجماعة: أن الحق لا يعرف بالكثرة، ولو كان كذلك؛ لكانت الشيوعية والماركسيَّة كرامة للينين ولماركس، أو نقول: لكان القاديانيون أهل حق، وقد انتشر مذهبهم وفرقتهم حتى وصلت العالم كله . . . ولكن الذي نعتقده أن الفرقة الناجية والطائفة المنصورة هي واحدة من بين ثلاث وسبعين فرقة كما أخبر به النبي ﷺ في الحديث: « . . . **وتفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا ملة واحدة، فقيل: ما الواحدة ؟ قال : ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»، وكما قيل قديمًا: «اسلك سبيل الحق ولا تستوحش بقلة السالكين، واجتنب طرق الباطل ولا تغتر بكثرة الهالكين» .

ولكن الذي أنصح به كل من انتمى إلى هذه الفرقة وسلك طريقها بأن يكون كمن قال الله فيهم : ﴿**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ**﴾(الزمر: ١٨)، ثم يتوبون إلى الله ويقولوا: ﴿**رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا**﴾ (البقرة: ٢٨٦)، ثم يتدبروا قول الله تعالى: ﴿**إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ**﴾(الفرقان: ٧٠) .

وبعد: فأول ما نبدأ به هو مقر هذه الفرقة؛ فمقرها الهند، وفي قرية قريبة من دهلي واسمها: نظام الدين، وأما مؤسسها فهو كما عُلم أنه محمد إلياس بن محمد إسماعيل الحنفي الديوبندي الجشتي الكاندهلوي، وديوبند قرية في الهند فيها مدرسة دار العلوم، أُسست عام ١٢٨٨ هجرية، ويزعم أصحابها أن النبي ﷺ هو الذي أسسها في حضور شيوخهم، ويزعمون أن النبي ﷺ كان يحضر هذه المدرسة أحيانا، وهذه المدرسة ماتريدية في العقائد، حنفية في المذهب، وقد أسست هذه المدرسة على معصية الرسول ﷺ ، وعقيدة أبي حنيفة بريئة من هذه المدرسة ومن مؤسسيها، انظر: «جماعة التبليغ في شبه القارة الهندية عقائدها وتعريفها»، للأستاذ أبي أسامة سيد طالب الرحمن، تقريظ الشيخ الفوزان حفظه الله، فهذه الفرقة بريء منها الإمام أبو حنيفة رحمه الله؛ فالماتريدية تقول: إن الإيمان اعتقاد في القلب لا يدخل فيه القول ولا العمل، وأبو حنيفة يقول كما يقول أهل السنة والجماعة: إن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، والماتريدية يقولون: إن الله ليس فوق العرش بذاته، وأبو حنيفة رحمه الله يكفر من يقول

بهذا القول كما في «الفقه الأكبر» وغـيره، أما اعتقادهم وادعاؤهم أن النبي ﷺ يحضر إلى المدرسة؛ فهو سوء في العقيدة، وسوء في المنهج، وسوء في الأدب، والله يجازيهم.

أما الكلمة الطيّـبة: «لا إله إلا الله» عند جماعـة التبليغ: فهي على طريقة المتـصوفة الضلال المبتـدعة الذين لا يعرفون معنى هذه الكلـمة الطيبة، فهم يقـولونها بلسانهم، ولا يعرفون معناها ومقتضياتها، فالمتصوفة الضلال هم أصحاب عقيدة عباد القبور، ودعاة إلى بدعة السياحة المقتبسة من دين البراهمة، كما سنبينه إن شاء الله، أما صلاتهم؛ فهي صلاة المقلد، لا المتبع لرسول الله ﷺ الذي قال: «**صلوا كما رأيتـموني أصلي**» فهم يصلون على المذهب الحنفي الذي لا اطمئنان في أركان الصلاة فضلا عن واجباتها، وأبو حنيفة قد برّأ ذمته من تقليدهم له بقوله: «لا يحل لأحـد أن يقول بقولنا حتى يعلم من أين قلناه»، أما الذكر والعلم عند فرقة التبليغ؛ فـهو الذي استعاذ منه النبي ﷺ بقوله: «**وأعوذ بك من علم لا ينفع**» كعلم المنامات والخرافـات التي يقصونها ويُفَبْرِكُـونَها، أما الذكر عندهم؛ فهـو الذكر الصوفي الممزوج بالبـدع والضلال كمـا سيأتي، أما إكـرام المسلم عندهم؛ فلا يطبقـونه إلا لمن اخترط ببـدعتهم وبدعـهم، أما من تَنَزَّه عن بدعهـم من المسلمين؛ فهم يبغضــونه أشد البغض، فالمـتمسك بالسنة عند جمـاعة التبليغ لا كرامـة له عندهم، فهم يزعمـون إكرام المسلم؛ ليصـيدوا به السُّذج الذين ينخـدعون لظاهر أقـوالهم التي يراد بها الخديعة للأغبياء، واستدراجهم إلى قبول البدع والجهالات، والإعراض عن السنة وأهلها، أما الإخلاص عندهم؛ فهـو لمن آمن ببدعهم وشاركهم فيها، أمـا النفر في سبيل الله عند فرقتهم؛ فهي السياحة البـرهمية التي هي دينٌ عند البراهمة، وليس عند رسول الله ﷺ ولا أصحابه ﷺ، وحـاشاهم أن يكونوا كالبراهمـة الذين يفارقون أهلهم ويسـيحون في الأرض ذات الطول والعرض بدون علم شـرعي يبلغونه، أو يردّون على شبـه القوم الذين يخرجون إليهم، وخـاصة الذين في شبه القارة الهندية عباد القـبور والأضرحة، ولا يشك مسلم أن النفـر في سبيل الله عند أهل السـنة والجماعة مـعناه الجهاد في سـبيل الله؛ أي القتال، فالرسول ﷺ ما خرج إلا ليقاتل أهل الكفر والإلحاد، وأهل الأوثان والأصنام، أما فرقة التبليغ فهم يخرجـون إلى الذين يخضعون لغير الله باسم الأدب والتعظيم، وإلى الذين يعتـقدون بالتصرفـات الكونية لغير الـله باسم الفيوض الروحيـة وباسم الكرامات،

ويخرجون إلى فرقة الماتريدية أو الأشاعرة أو من هم أخس وأبخس، ولربما خرجوا إلى من هم معتقدهم لابن عربي وأمثاله، ولربما إلى من هم معتقدهم عقائد الكلام والسلوك الخرافي والاتجاه الصوفي وأصحاب الكرامات المصطنعة من القصاص والكذابين، أما الخروج إلى طلب العلم الشرعي بأدلته ومسائله؛ فهم أبعد ما يكونون، بل له محاربون، فيسمونه جدلاً وخصاما، وصارفًا عن العمل، ومنهم من يسمي العلم الشرعي : القيل والقال، ومنهم من قال وبوقاحة وجرأة: إن العلم الشرعي وكثرته يؤدي إلى الضلال والانحراف، وهذا وحده كافيًا لمحاربة الدين وأهله باسم الدين، وهذا الضلال هو الذي أرداهم في غياهب الجهل، وظلمات الضلال وسراب الأقوال والأفعال والعياذ بالله، وهذا كله أرداهم إلى التقليد الأعمى الذي أوقعهم في شباك مشايخهم المضلين المضللين الضالين، فعظموهم بمتاجرتهم في دينهم؛ فمن متاجرتهم وتجارتهم أن العمل والجهد مقدمان على العلم إلى درجة الغلو في العمل إلى حد الإهمال في العلم، المنتج عن العمل بجهل، أما أهل السنة فهم يعلمون أنه لولا العلم ما طُلب العمل، ولولا العمل ما طلب العلم، فجماعة التبليغ لا تهمل العلم فحسب؛ بل تحاربه كما تقدم، وإذا كان هناك درسٌ علميٌّ في مسجد من المساجد، أو مجلسٌ فقهيٌّ، فإذا حضروه؛ فهم يتناومون فيه، حتى ولو كان المجلس في علوم التوحيد الذي هو حق الله على العبيد الذين هم يجهلون حقيقته، أما القصص وأحاديث القصاص من أصحاب المنامات، فهم الفرسان فيه، غير مبالين، هل هذه القصص صحيحة أم غير صحيحة، بل إن القصص عندهم مسلمة سالمة، ومصدقة وإن كانت تلك القصص هي محض الكذب ولو على الله وعلى رسوله، بل إن هذا عندهم شرط من شروط الانخراط معهم، فشرطهم هذا مقدم عندهم على شروط الإسلام، وأما الزهد عندهم فهم غلاة فيه إلى حد الرهبانية، بحيث جعلوا الطيبات والمباحات عين الطواغيت والأصنام، وجعلوا الترزّق ولو بالحلال يلهي الإنسان عن واجباته الدينية، ولكنهم قالوا : إذا خرج في سبيل الله للتبليغ في الشهر ثلاثة أيام، وفي السنة أربعين يوما، وفي العمر أربعة أشهر؛ فقد جاز له أن يترزق مع الخروج البدعي هذا، أما إذا سألت عن علماء هذه الفرقة؛ فهم الذين يخرجون إليهم، وإن كانوا جهالا، وإن كانوا أصحاب طرق صوفية أو . . أو . . إلخ .

وبذلك يصدق عليهم قول النبي ﷺ : «**اتخذوا رؤوسا جهالا فضلوا وأضلوا**»، وأما إذا سألتهم عن هذا الخروج البدعي؛ فهو عندهم الجهاد الأكبر، ثم يسلطوا الأحاديث والآيات على هذا الخروج المبتدع، الذي ما سمعه الرسول ﷺ ولا أصحابه ولا التابعين، ولا الأئمة المهديين ولا غيرهم، فهو عندهم فقط . وأما إن سألت عن اعتقادهم بالشريعة، فهي قشور عندهم للطريقة والمعرفة والحقيقة، وأن الحقيقة عندهم هي اللّب والأخير لها، وهذه هي عقيدة الصوفية بجوهرها، وقد نبهت عليها في ردّي على علي الجفري الضال الذي أضل العوام، فاطلبها لترى ماذا عملت الصوفية به وبمن انخرط مع جماعة التبليغ هذه، فهذه العقيدة أي الصوفية هي ثمرة اعتقادهم بعلمائهم الذين خرجوا إليهم.

وما هذا - أي الخروج إلى علمائهم - إلا ليحافظوا على الأتباع، وألا يطلعوا إلى غيرهم، حتى يغرقوا فيهم كل الإغراق، أسأل الله السلامة، ومن الغريب والعجيب أن التبليغيين في بلادنا، الغلاة في بدعتهم يرسلون أبناءهم من هذه البلاد - بلاد الحرمين - إلى الهند والباكستان لتعلم دين فرقة التبليغ وطرقهم، مع وجود المدارس والكليات والجامعات الإسلامية في هذه البلاد، ولكنهم في حقيقتهم يهربون من التوحيد والدراسة المقارنة في الفقه والتوحيد إلى الضياع في العقل والدين والأدب، مع العلم أن الأحوال هناك متدهورة إلى ما لا نهاية، وأمرها مكشوف لكل ذي عقل وبصيرة في دينه . وأما إذا سألت عن المنامات والقصص الخرافية والكرامات المزعومة؛ فهي عندهم كالشرع المنزّل على رسول الله ﷺ ، فيجعلونها مفسرة للنصوص، أو مرجحة للخلافيات، وكاشفة للغمة في الأمة، وعلى أساسها يوالون ويعادون، أو يناصرون ويخاذلون، أو يفضلون ويضللون أو . . أو . . إلخ فوجهوا هذه المنامات والترهات والكرامات توجيها شرعيًا، فشرّعوا بجهلهم من غير الله ورسوله، وابتدعوا بغير إذن من الله ورسوله، وزيفوا شرع الله ورسوله، وقالوا على الله ورسوله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

قال ﷺ : «**إن الله احتجز التوبة على كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته**» فهم في بدعتهم هذه يقولون أنهم يصححون النيات، ولكن بفعلهم هذا أغفلوا عن الركن الملازم للنيَّة؛ وهو تصحيح العمل، وهما الركنان الملازمان اللذان لا ينفكان أبدا، فهذه الفرقة

ومنهاجها هذا؛ هي في البدعة والمعصية، لتفريطها بهذين الركنين والله المستعان.

وبعد: فهذا الكلام المتقدم كان على وجه التعريف لهذه الفرقة - جماعة التبليغ - التي افترقت عن الأمة الإسلامية بهذا الاسم، وبهذا الرسم، فـفرقة التبليغ تنتمي إلى الديوبندية كما صرح به الشيخ محمد زكريا مؤلف كتاب «تبليغي نصاب» المحشو بالروايات الضعيفة والموضوعة، وبالحكايات الغريبة، وبأنواع من الأوهام والخرافات، فصرح هذا الشيخ التبليغي أن هذه الفرقة تنتمي إلى الديوبندية فقال: « .. وعلى أي حال فإننا كجماعة نرى ضرورة التقليد في هذا العصر كما نرى التصوف الشرعي أقرب الطرق للتقرب إلى الله تعالى، فالذي يخالفنا في هذين الأمرين التقليد والتصوف فهو بريء من جماعتنا، وكلا الأمرين ذو أهمية بالغة في المذهب الديوبندي ..»[(١)].

هنا يرد سؤال وهو من هم الديوبندية ؟ فنقول: إن الديوبندية عبارة عن طور من أطوار الماتريدية، والماتريدية تعتبر شقيقة الأشعرية، ومرجئة بدعية، ومعطلة جهمية معتزلية نفاة، وهم أقسام: منهم غلاة المعطلة الأقحاح، المعمقون أفراخ الجهمية والأشباح، القائلون بخلق القرآن، المنكرون لعلو الرحمن، المعطلون لكثير من الصفات، المحرفون لنصوصها المحكمات، يشتمون أهل السنة، وأُسِّسَ هذا الفكر في عام ١٢٨٣ هجرية في ديوبند، كما ذكره صاحب كتاب «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر» عبد الحي الندوي (٧/ ٣٩١-٣٩٣)، فالديوبنديّون هم ماتريديّون كما يتضح من كتبهم، وهم في غاية من التعصب للمذهب الحنفي، والتقليد الأعمى؛ إلى درجة أنهم يحرفون الأحاديث إلى مذهبهم الحنفي الفقهي بالتأويلات الباطلة، ولم يكتفوا بذلك بل ناصبوا العداء لأهل السنة الذين يسميهم المغرضون باسم الوهابية، أو بالحشوية، فيسبونهم بأشنع السباب، وينبزونهم بأبشع الألقاب[(٢)]، وعليه فإن الديوبندية حنفية في الفروع، ماتريدية في العقيدة، وهم متصوفة محضة، وكثير منهم قبورية مبتدعة، كما يشهد عليهم كتابهم: «المهنّد على المفنّد» لخليل أحمد السهارنفوري أحد أئمتهم، وهو أهم كتب الديوبندية في العقيدة

(١) انظر. كتاب «ولي الأمر» للشيخ المفتي عندهم عزيز الرحمن (ص٢٧٥).
(٢) انظر. كتاب «الشهاب الثاقب» لحسين أحمد الديوبندي (١/ ٢٦٤، ٣٣٧)، و(٣/ ٣١٢، ٣١٣)، وهو كتاب خبيث من كتب الديوبندية.

عندهم، وعليه توقيعات لكبار علمائهم، فهؤلاء العلماء الضلال هم من الذين سايروا الكوثري الضال المضل في شتائم أئمة الإسلام، فانظر إلى: «مقالات الكوثري» لترى هذه الشتائم، وقد رد على الكوثري وافتراءاته العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي رحمه الله في كتابه: «التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل»، تحقيق وتعليق الألباني رحمه الله، أما محمد زكريا التبليغي صاحب كتاب «تبليغي نصاب» يقول: (أنا مشتاق إلى تراجم مشايخ الديوبندية)، كما تراه في كتاب «ولي كامل» (ص٣٥٤)، ففرقة التبليغ هذه تعتبر شعبة من شعب الديوبندية، فمن شعبهم شعبة التعليم والتدريس، وشعبة التبليغ والتربية، وهي المعروفة الآن بجماعة التبليغ، وهذه الجماعة في الحقيقة فرقة من الفرق الإسلامية، وتعتبر طوراً من أطوار الديوبندية والتي هي طور من أطوار الماتريدية كما تقدم، فهم يبثون أفكارهم الصوفية وأنظارهم العقدية الماتريدية بطرق خفية تدريجية، حتى اغتر بهم كثيراً من أصحاب العقيدة السليمة في الدولة السعودية ذات العقيدة السلفية الصحيحة، ولكن لا بد من الحقيقة أن تظهر، وتُفْضَح هذه الجماعة حتى تُحْذَر بعد كشف الستار عنها، والله المستعان .

وكما تقدم أن هدف هذه الفرقة الأصلي هو الدعوة إلى الفقه الحنفي، لا العمل بالحديث النبوي الشريف، ولم يؤسس محمد إلياس فرقته البدعية هذه إلا لتحقيق هذا الهدف كما هو مُصرح في كتابهم «هل التبليغ واجب» (ص٣)، من تأليف محمد إلياس ابن قاري - وهذا المؤلف غير المؤسس - ومن الأدلة على ذلك: أكاذيبهم بتعديل أبي حنيفة رحمه الله في روايته للحديث لدرجة أنهم جعلوه محدثا يحفظ الآلاف من الأحاديث، بل ومئات الألوف منها، فيقول محمد زكريا في كتابه «تبليغي نصاب» (ص٩٩)، وكتابه الآخر «تيس مجالس» -يعني ثلاثون مجلسا- (ص١٠١): «إن الإمام الأعظم - يعني أبا حنيفة - اختار خمسة أحاديث من خمسمائة ألف حديث؛ وذلك لشدة احتياطه في هذا الباب» انتهى.

قلت: هذا كذب على أبي حنيفة -رحمه الله- وكذب على أئمة الجرح والتعديل؛ فأبو حنيفة -رحمه الله- هو إمام من الأئمة، ورع زاهد عابد، ولكنه كان يتيما في الحديث، كما ذكر ذلك المروزي في كتابه «قيام الليل» (ص٢٤٥)، وضعفه النسائي من

جهـة حفظه، وضعـفه ابن عدي وآخـرون، منهم ابن سعد وابن مـعين وأحمد كـما في «الطبقـات الكبرى» (٦/ ٣٦٩)، وقـال ابن المبارك : كان أبو حنيـفة مسكـينا في الحديث (انظر: الجرح والتـعديل) (٨/ ترجـمة ٢٠٦٢)، وقال البـخاري: كان أبو حنيـفة مرجـئًا سكتوا عنه، عن رأيه وحديثه انظر: (التاريخ الكبيـر) للبخاري (٨/ ترجمة ٢٢٥٣)، وقال السعدي : لا يُقْنِع بحـديثه ولا رأيه .انظر: (أحوال الرجال) (ترجمـة ٩٥)، وقال الإمام مسلم : مضطرب الحديث ليس له كبير حديث صحيح [1]، فالإمام أبو حنيفة ضعيف في الحديـث، وما ذلك إلا لأن الأحـاديث لم تُجمع في زمـانه، فاتجـه إلى الرأي، ولكن إن صح الحديث فهو مذهبه، فالشيخ مؤلف كتاب «تبليغي نصاب» قد كذب على الناس بهذه الدعوى، ولم يكتف بذلك؛ بل اتهم الشافعي في عقيـدته فقال: إن الشافعي زار قبر أبي حنيفة وصلى عنده ركعـتين، فكذب على الشافعي واتهمه بعقـيدة القبوريين الذين يصلّون في المقابر لظنهم الكاسد ومعتقدهم الفاسد في المقبورين أنهم ينفعون ويَسْمَعون ويُسْمِعون، وقد ذكر هذه القـصة العلماء المحدثون فـي كتب الموضوعات، وذكرها شـيخ الإسلام ابن تيميـة في كتابه «اقتضـاء الصراط المستقـيم» (٢/ ٦٨٥، ٦٨٦)، وبين ضعفها فـرحمه الله رحمة واسعة فقد كان محاربا للبدع والمبتدعة، مدافعا عن السنة ورافع رايتها، أما الشافعي وأبو حنيفة فهما بريئان مما يُنسب إليهما في مثل هذه البدع وأشباهها من الشركيات، ولكن نقول للكذابين والمفترين: إننا نشكوكم إلى الله تعالى؛ فاللهم عاملهم بما يستحقون، ونبرأ إليك منهم ومما يقولون ويفترون .

أما التقليد عند هذه الفرقة فعندهم من الواجبات، فيقول الشيخ زكريا : «على المريد أن يتابع شيخه في جميع أقواله وأحواله، ويُـعَد اتباعه فرضا، ولا ينحرف عنه البتة، ولا يعترض عليه في حال من الأحوال»، انظر: «سقالة الـقلوب» للشيخ الصوفي محمد إقبال (ص١٧٢) ومن الغريب من بعض الوعّاظ- هذا إن صح التعبـير، وإلا فهم قُصاص - في هذه البلاد؛ كـثيرا مـا يستدل بأشـعار وأقوال هذا الصوفـي محمد إقـبال في محـاضراته ومواعظه وخطبه فالله يهديه ويصلحه، فجماعـة التبليغ يمتثلون أوامر شيوخهم، ويعتبرون هذا الامتثال مثل امتثال أوامر الله وأوامر رسول الله ﷺ ، فمعصية الشيخ عندهم محرمة مثل معصية الله ورسوله، فيصح قول الشاعر فيهم :

(١) انظر: «كنى المسلم» ق(٣١).

لا فـرقَ بـين مُـقَلِّدٍ وبهـيـمـةٍ
تنقـادُ بين جَنادِلٍ ودَعَاثِرِ

تبًّـا لِقَـاضٍ أو مُـفْتٍ لا يرى
عِلَلاً ومـعنى للمـقـالِ السَّائر

فتبًّا لهؤلاء وأمثالهم الذين خالفوا قول النبي ﷺ : «**لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعي**» فجماعة التبليغ هذه تستهدف من هذه المقولة الضالة أن يحتل علماؤها منصب العصمة والنبوة، وإذا أردت زيادة بيان وتبيان فانظر إلى: كتاب الصوفي إقبال (ص١٩٠) حيث يقول إقبال هذا - وهو من أخص أصحاب الشيخ زكريا - يقول: «لقد قال الشيخ كنكوهي غير مرة: اسمعوا جيدا إنما الحق ما يجري على لسان أحمد كنكوهي - يعني نفسه - وأحلف بالله أنا لست بشيء إلا أن الهداية والنجاة في هذا الزمان تتوقف على اتباعي» انتهى.

فانظر يا عبد الله إلى كلام هذا الصوفي وهو يدعي العصمة التي لن تكون إلا للأنبياء، وهذا ليس بغريب عن شيوخ الصوفية؛ فهم يدعون أن قلوبهم تحدثهم عن الله، فيأخذون عن الله دون واسطة الملائكة، فيقول بعضهم: حدثني قلبي عن ربي، فيظن أن الله هو الذي يناجيه، وهو لا يعلم المسكين أن الذي يناجيه الشيطان الرجيم الذي تلاعب بهم وأضلهم وأعمى أبصارهم، وصدق الله تعالى حيث قال: ﴿**إِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ**﴾ (الأنعام: ١٢١). ونحن لا نظلمهم إذا قلنا الشيطان هو الذي أوحى إليهم أن المذهب الحنفي مؤيد من الله دون غيره من المذاهب، فلننظر ما أوحاه الشيطان بهذا التأييد في كتاب «الأجوبة عن الإشكالات في كتب الفضائل» للشيخ زكريا (ص٦٦)، يقول فيه: «إن العناية الربانية توجهت إلى هذه الحركة، وقد نقلت مبشرات النبي الكريم ﷺ بالنسبة إلى هذه الجماعة نقلا متواترا ورُئِيَ في المنام ترغيب النبي ﷺ وتأييده للناس الاشتراك مع هذه الجماعة بكثرة» انتهى.

وغيره الكثير المنثور في كتبهم ومقالاتهم، مثل قول محمد إلياس مؤسس الجماعة: «لم أحدثكم بعُشر مِعشار ما فتح الله عليّ، وما علمتم بِعُشْر مِعشار ما حدثتكم». انتهى.

ومن افتراءات مؤسس الجماعة جاء في كتاب «ملفوظات محمد إلياس» (ص٤٤)، قال محمد إلياس: انكشفتْ عليّ هذه الطريقة للتبليغ، وأُلقي في رَوْعي في المنام تفسير الآية ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ..﴾(آل عمران: ١١٠)(الآية) اهـ .ثم فسرها في أنها تؤيّد الخروج المبتدع، وهذا بلا شك افتراء على الله، وإلحاد في آيات الله، وتحريف الكلم عن مواضعه، وهذا بلا شك باب من أبواب الزّندقة والإلحاد، انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٣/ ٢٤٣، ٢٦١)، فقال: «من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك، كان مخطئا في ذلك بل مبتدعا». انتهى .

أما ما يدّعونه في محمد إلياس، فيقول صاحب كتاب «ملفوظات الشيخ محمد إلياس» (ص٦): «العلاقة الخاصة مع الله يتمتع بها كثير من العباد، أما العلاقة أخص من الخاصة فلا يفوز بها أحد إلا نادرا، وأظن أن الشيخ محمد إلياس كان يتمتع بها ».انتهى. قلت : إن هذا الكلام يعتبر مشاركة مع الأنبياء، وتسوية بينهم وبين مشايخهم بالوحي، وما يعتقده أهل السنة؛ أن الوحي قد انقطع بموت النبي ﷺ ، أما الوحي الجديد الذي عندهم لا شك أنه هو الشيطان الرجيم الذي يأمرهم ويمنيهم بالغرور، فما نحكم على مثل هؤلاء إلا أنهم حمقى ومجانين، قال الشافعي -رحمه الله-: «لو أن رجلا صاحَب الصوفية من الصبح إلى الظهر لذهب عقله». انتهى. فماذا نقول لمن صاحبهم من الصبح إلى الممات ؟! هل يرجع إليه عقله ؟ أو نقول له: ارجع إلى عقلك، وراجع قلبك، وحدِّث نفسك فالإثم ما حاكت به نفسك.

أما عقيدة فرقة التبليغ في الله؛ فهي عقيدة وحدة الوجود، فانظر إلى كلام زكريا في «تبليغي نصاب»، و«فضائل القرآن» (ص٣٠٠)، قال: «إن الله سبحانه هو منبع الجمال كله حقيقة، ولا جمال في الدنيا حقيقة إلا جماله»، ويقول في كتابه الآخر «ذكر واعتكاف» (ص٩٥): «إن عقيدة وحدة الوجود بداية التصوف»، ثم يقول في (ص٩٩): «أما الآن فقد أصبح الزمان ملائما وصالحا للدعوة إلى التصوف بكل قوة والعمل به».

فعقيدة مؤسس الجماعة وابن أخيه زكريا هي عقيدة وحدة الوجود، وتعني أن الوجود واحد، فالحق عندهم هو الخلق، والخلق هو الحق، باعتبار الصور والأشكال نسميهم خلقا؛ رجلا وامرأة، ودابة وحجرا، وماء وشجرا، وباعتبار الهيولي: وهي المادة التي

تتكون منها المخلوقات وترجع إليها بـعد فنائها، وهذه المادة لا تفنى ولا أول لها ولا آخر؛ وهي الله بزعمـهم، وكُتب ابن عربي التي يعتـمد عليها مشـايخ التبليغ مليئة بـهذا الكفر «كالفـتوحات» و«الفصـوص» وغيرهما، فـيا للعجب من هؤلاء التبليـغيين؛ فمشـايخهم أصحاب فكر ابن عربي الصوفي الكافر، وهم أوليـاء عندهم وأصحاب كرامات، قال ابن عربي في كفرياته :

العـــبـــدُ ربٌّ والربُّ عـــبـدٌ
يا ليـتَ شِـــعْــرِي من المكلَّفُ
إن قلـتَ عـــبـــدٌ فـــذاك حـقٌّ
وإن قـلـــتَ ربٌّ أَنَّـى يُـكَـــلَّـف

ويقول محمد زكريا عن التبليـغيين في كتابه «سقالة القلوب» (ص١٢٦): «هؤلاء- أي رجال التـبليغ- إذا رُؤوا ذكر الله؛ كـأن النور تجسم فـتكونوا، هم ورثة الأنبـياء وظل الرحمن»، ويقول فـي كتابه الآخر «محـبتْ» لإقبال (ص٤٧): «فإن روح الشـيخ وجسده مُثِّـلا إلي في عالم البرزخ، لا يعـرفان الفناء في حـال من الأحوال»، ويقول في «سـقالة القلوب» (ص١٤٤) وهو يُعَلِّم طريقة الذكـر: « ثم يتفكر في آية أُخرى مثل قـوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾(النور: ٣٥). ويتصور أن الله في كل مكان، ونوره في جميع العالم، ثم يفرق في تَصوّر نوره». انتهى.

فقوله: إن الله في كل مكـان؛ فإن قصد أن الله في كل مكان بذاته فهـو كفرٌ، لأنه تكذيب لما دلت عليه النصوص، بل الأدلة السمعية والعقلية والفطرية من أن الله عَلِيٌّ على كل شيء، وأنه فوق السموات مستوٍ على عرشه بما يليق بجلاله، والذين يقولون: إن الله في كل مكان بذاته؛ فهـم أهل وحدة وجود واتحاد، وهـذا كفر بواح والعـياذ بالله، والله الهادي وحده لا شريك له .

ومن شطحـاتهم: تسـوية علمـائهم بالنبي ﷺ ؛ فـجـاء في كتـاب «ولي كـامل» (ص١٢٦): «كان على ظهر الشيخ زكريا ثؤلول تحت منكبـه الأيسر وكان عليه شعرتان أو ثلاث، وكان الشيخ يكشف عنه أحيانا ويقول: خاتم النبوة على منكب رسول الله ﷺ كان في مثل المحل». انتهى .

فأقول: أين الثـرى من الثريا، وأين الثألول من ختم النبوة ؟ وغـيرها من الشطحات التي والله لتقشعر منها الجلود، ومن الشطحـات: ارتقاء مشايخهم إلى منصب النبوة؛ قال النانوتوي : «ما آخذ بالسـبحة إلا وتثقل عليّ كأن حـبوبها أحجار ثقـيلة، ويعتري القلب واللسان نوع من الجمـود . فأجابه الشيخ الحاج المكي قائلا : هذا من فـيوض النبوة على قلبك، وهذا الثقل هو الذي يعتـري على من يتلقى الوحي، إن الله تعالى سوف ينيط بك عمل الأنبياء ». انتهى.

انظر: كتاب «سوانح قاسمي» (١/٢٥٨)، وجاء في كتاب «مولانا إلياس» (ص٥٥):

«عن الشيخ محـمد إلياس كان يشعر بـشيء من الاستثقال؛ كمـا كان رسول الله ﷺ يشعـر به عند نزول الوحي». انتهى . فـ﴿**كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا**﴾(الكهف: ٥)، فواللـه «هذا الكلام خبـيث، بلغ في الضلال والكذب والاستخـفاف بالأنبيـاء إلى حد لا يحتـاج إلى تعليق، فنعوذ بالله من الخـذلان» قاله محـمد تقي الدين الهلالي -رحمه الله- في «السراج المنير» (ص٢٠) رادًّا على هذا الهراء والضلال.

فهذا محمد إقبال الصوفي يقول في كتابه «مجالس ذكر» (ص١٢): «إن أحد الذاكرين المشتـغلين؛ سمع رسـول الله ﷺ يقول : إن كل مـا يخطر بقلب زكريا فـهو من الله سبحانـه». انتهى . ففرقة التبليغ اقـتنعت بهذا كله، واقتنعت بأن مقام شـيخهم أعلى من مقام الأنبياء .

فالأنبياء -كمـا نحن نعتقده- قد يخطئوا بجانب كونهم بشـرًا في أمور الدنيا، أما في جانب الشرع فلا خطأ عندهم؛ لأن الشرع عن طريق الوحي كما هو معلوم عند أهل السنة والجماعة، كـما قال ﷺ : «**إذا أمرتكم بشيء من دينكم فـخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر**» رواه مسلم فالنبي ﷺ يقول: «**أنتم أعلم بأمور دنياكم**»، وشيخ التبـليغيين يقـول بتبـجح : إن جمـيع خواطره كـالوحي الإلهي، وهو من عند الله، ولا يحتمل الخطأ، فيا للعجب ولضيعة الأدب .

ومن شطحاتهم أن النبي ﷺ يسمع ويجيب في قـبره، فانظر إلى «تبليغي نصاب» (ص٨٠٣)، وهو يخالف القرآن والسنة الصـحيحة التي فيها أن الأمـوات لا يسمعون نداء الأحـياء من بني آدم ولا دعـاءهم كمـا قال الله تـعالى في مـُحكم التنزيل: ﴿ **وَمَا أَنتَ**

بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾(فاطر: ٢٢). والثابت في السنة الصحيحة أن النبي ﷺ يُبلَّغ صلاة وسلام من يصلي ويسلم عليه فقط، سواء كان المصلي أو المسلم عند قبره أو بعيدا عنه، وكلاهما سواء في ذلك؛ لأن الملائكة هي المبلغة لا غيرهم، وقد ثبت عن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب ﷺ أنه رأى رجلا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو، فنهاه وقال : ألا أحدثك حديثا سمعته عن أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال : «**لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم مقابر، وصلوا علي فإن صلاتكم وتسليمكم تبلغني حيثما كنتم**» أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف»، وصححه الألباني في «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد» (ص ١٤٠)، أما حديث: «**من صلى علي عند قبري سمعته، ومن صلى علي نائيا وكل بها ملك يبلغني ..**» فهو حديث مكذوب موضوع على النبي ﷺ . انظر: «السلسلة الضعيفة» للشيخ العلامة الألباني - رحمه الله- (٢٠٣).

فجماعة التبليغ لا يكتفون بهذه الترهات، بل عندهم أكثر من هذا؛ فهم يدعون أن النبي ﷺ يحضر مجالسهم، ويكلمهم ويمدحهم ويزكيهم ويُؤكلهم ويشربهم، فانظر إلى كتاب: «ثلاثون مجلسا» للشيخ زكريا (ص١٤١)، وكتاب «سقالة القلوب» لإقبال (ص٨١) .

أما ما اتفق عليه أهل السنة والجماعة فهو أن النبي ﷺ توفي، وأما عن حياته؛ فحياته حياة برزخية لا يعلم كيفيتها إلا الله تبارك وتعالى، وأما دعوى أنه يُرى يقظة فغير صحيح لعدم الدليل الدال عليه، ولهذا قال ﷺ أنه أول من يُشقُّ عنه قبره يوم القيامة، فدل على أنه لا يخرج من قبره قبل يوم القيامة، وهذا إخبار منه ﷺ ، والإخبار لا يُنسخ، قال تعالى: ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**﴾(الزمر: ٣٠)، وقال جل وعلا: ﴿**ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ**﴾(المؤمنون: ١٥، ١٦)، فدل أنه ليس هناك خروج من القبور قبل يوم القيامة، والله الهادي لا إله غيره .

ومن شطحات جماعة التبليغ؛ تجويزهم شدّ الرحال إلى القبور وخاصة إلى قبر النبي ﷺ ، ويستدلون -كعادتهم- بأحاديث كلها موضوعة؛ منها حديث : «من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي»، وحديث: «من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي»،

وغيرها من الأحـاديث المكذوبة على النبي ﷺ التي فيها الزائر للقـبر الشريف بمنزلة من زاره في حـياته، ونال شـرف صحـبتـه، التي من فضـائلها مـا قاله ﷺ في الحـديث الصحيح: «**لا تسبوا أصحابي؛ فوالذي نفس محمـد بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**»، فمن كان بينه وبين هؤلاء الصحابة ﷺ، هذا البون الواسع في الفضل والتفاوت، كيف يعقل أن يجعله النبي ﷺ مثل واحد منهم بمجرد زيارة قبره ﷺ، وهي لا تعدو أن تكون من المستحبـات؟! ولكن دون شد الرحال إليه فتأمل(١)، ولكن فرقـة التبليغ تُصِـرُّ على هذا التصـرف وتطمع أن تكون مثل أولئك الصـحابة وهم يخالفون الكتـاب الكريم وسنة المصطفى ﷺ المطهرة، ويخالفـون نهج الصحابة ﷺ(٢) فإلى الله المشتكى منهم.

ومن شطحاتهم أيضًـا: جواز التوسل بالأنبـياء والصالحين، فـيقول الشـيخ زكريا في كتـاب «الأجوبة عن الإشكالات في كتب الفـضائل» (ص١٩٧) قال: «لو سـأل الله عز وجل حاجته وتوسل بهؤلاء الصالحين فـلا حرج في ذلك»، وقال في كتاب «فضائل حج» (ص١٤٦): «بعد السلام يدعو بتوسل النبي ﷺ ويطلب الشفاعة ويقول: يا رسول الله ﷺ أسأل الشفاعة وأتوسل بك إلى الله لأن أموت مسلما على ملتك وسنتك». انتهى.

وهذا النوع من التوسـل يعتبـر من الشرك الأكبـر والذنب الذي لا يُغفر، فـالتوسل بدعاء النبي ﷺ وهو ميت والاسـتغاثة به وطلب النصر على الأعداء والشـفاء للمرضى هو دين أبي جهل وأمية بن خلف وأشباههم من عبدة الأوثان، فاتخاذ وسائط بين الداعي وبين الله؛ كفر بالإجـماع، ومثل هذه التوسلات الـصوفية ضلال نحـمد الله تعالى الذي أخرجنا من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، ومن ظلمات البدع إلى نور السنن.

وأما عـقيدتهم في الخَضِـر -عليه السلام-: فـيعتقـدون أنه ما زال حيًّا، وأنه ينجي ويغيث، ويجـمع بين العشّـاق، وله تجوال حول العـالم، فيـصلي في مكة والمدينة وبيت المقدس وفي طور سيناء، وعلى السد الذي بناه ذو القرنين؛ كل ذلك في يوم واحد، انظر

---

(١) انظر: «السلسلة الضعيفة» للألباني -رحمه الله- (١٠٢١).

(٢) انظر: إلى كتاب «فضائل حج» للشيخ زكريا (ص١٢٠-١٢٤).

«تبليغي نصاب» (ص٧٩٦)، وكتاب «فضائل صدقات» (ص١٠١٩، ١٠٥١، ١٠٥٣)، ففيها تلك القصص الخرافية، وهذه الكتب حري بأن تُسَمى: «التبليغي النّصَّاب وفضائل في الخرافات» .

أما عقيدة أهل السنة والجماعة التي يجب على كل مسلم أن يعتقدها في الخضرعليه السلام أنه ميِّت كغيره من عباد الله، ولو كان موجودًا من تلك الأيام إلى الآن؛ لجاء للنبي ﷺ الذي بُعث للعالمين كلهم إنسهم وجنَّهم، ولو كان الأنبياء أحياء كلهم؛ ما وسعهم إلا أن يتبعوا النبي ﷺ ، قال الله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ**﴾(آل عمران: ٨١)، ففرقة التبليغ تظن أن أحدًا يسعه أن يخرج عن اتباع النبي ﷺ كالخَضِر وغيره، كمشايخهم الضلال الذين يكذبون على الناس، ويدَّعون أن الوحي ينزل إليهم، وغيرها من الأكاذيب التي تمشي على السُّذَّج من الناس، وأما استحلال استغاثتهم بالأموات، فانظر إلى كتاب النصَّاب في «تبليغي نصاب» (ص٧٩٠، ٧٩١)، وكتاب الخرافات «فضائل صدقات» (ص٥٥٧)، وغيرها من الكتب التبليغيّة؛ حيث يصفون غير الله بأنه غوث، وأن غير الله يجيب المضطرِّين، وأن النبي ﷺ منجي السفن الغريقة ومُغيثها، وهم يخالفون قول الله تعالى : ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ** . . ﴾(النمل: ٦٢)، أما الكفار في العهد الجاهلي فقد بهتوا، وعرفوا أن الله هو المجيب للمضطر ويكشف السوء، أما شيخ الفرقة محمد زكريا فيجيب على السؤال بأن هناك من يجيب المضطر ويكشف السوء من دون الله؛ وهو محمد صاحب القرآن، وهذه العقيدة الخربة هي الشرك بعينه، فعلى الناس أن يُحكّموا شرع الله ويعلموا أن المقبورين أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يُبعثون، فزيارتهم ما تكون إلا لأجل الدعاء لهم، فهم بأمس الحاجة إلى الدعاء لهم، مهما كانوا، فهم لا ينفعون ولا يضرون، ويوم القيامة منا متبرئون، أما الزيارة لهم مع الذبح لهم والاستغاثة بهم؛ فهو شرك أكبر مخرج عن الملة، وصاحبه كافر خالد مخلد في النار، فمن صرف أي شيء من العبادة لغير الله؛ فقد كفر كفرا مخرجا عن الملة، فالدعاء هو العبادة ولا تكون إلا لله؛ لا لملكٍ ولا لنبي ولا لولي، قال الله تعالى: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ**

ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(غافر: ٦٠)، فجعل الله تعالى الدعاء عبادة، فمن صرف ولو شيئا منه لغير الله فقد كفر وأشرك شركًا أكبر، أما دعاء الأحياء فيما يقدرون عليه فهو جائز، لقوله ﷺ: «**من دعاكم فأجيبوه**» ولو مد الفقير يده وقال: ارزقني - أي أعطني - فهو جائز؛ كما قال الله تعالى: ﴿**فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ**﴾(النساء: ٨). أما دعاء أو نداء الإنسان رسولَ الله ﷺ، أو غيره كعبد القادر جيلاني أو أحمد التيجاني أو العيدروس أو الهادي أو الحسين أو السيدة زينب أو السيدة نفيسة أو الدّسوقي أو البدوي أو غيرهم من المقبورين؛ فندائهم عند القيام والقعود والاستعانة بهم بجلب نفع أو لدفع ضر؛ هو نوع من أنواع الشرك الأكبر الذي كان منتشراً في الجاهلية الأولى، وما بُعث الأنبياء إلا ليقضوا عليه، وينقذوا الخلق منه، ويرشدوهم إلى توحيد الله سبحانه وتعالى، وإفراد العبادة والدعاء له سبحانه وتعالى، وهذه العبادة هي حقيقة قوله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾(الفاتحة: ٥)، وقوله تعالى: ﴿**وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾(يونس: ١٠٦، ١٠٧)، ويقول سبحانه عن نبيه ﷺ: ﴿ **قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا**﴾ (الجن: ٢١، ٢٢)، فهذا حال النبي ﷺ فكيف بحال من دونه من الذين ماتوا وأكلت جثثهم الأرض ونُخرت عظامُهم، وتعفنت أجسادهم؛ وهم لا يستطيعون إزالة هذا عن أنفسهم، فكيف عن غيرهم من الأحياء ... ولكن ما نقول إلا أنهم قوم لا يفقهون ولا يرشدون ولا يعقلون، ولكنهم سوف يحملون أوزارهم كاملة يوم القيامة وأوزار الذين يضلونهم بغير علم .

فكتب محمد زكريا مليئة بالشركيات والبدع والخرافات والأحاديث الموضوعة والضعيفة، وكتبه شر كلها وضلال وفتنة، وأكبر فتنة فيها أن التبليغيين اتخذوها مرجعًا لهم لنشر بدعهم وضلالاتهم وترويجها وتزيينها للهمج الرعاع الذين هم أضل سبيلا من

الأنعام، وأما كتب غيره فهي ترتكز على كتبه، وتدور حيث دارت، مثل كتاب حياة الصحابة لمحمد يوسف الكاندهلوي، وكتب محمد إقبال تدور في رحاها، فنحن إذا كتبنا عنهم؛ فنحن نُبَيّن بعض ما عندهم، فعندهم الكثير الذي لا يحصيه إلا الله، فقد جمعوا الشر كلَّه، والله مجازيهم .

فمن خرافاتهم وشركيّاتهم: الاستغاثة بقبر النبي ﷺ ، ثم يزعمون أن النبي ﷺ يعطيهم النقود والثياب والطعام والماء، بل وبإعطائهم بعض آثاره كالشعر ونحوه، ثم يخترعون القصص الكاذبة، ثم يصدقها المنتمون إليهم لقوة سذاجتهم وغفلتهم وجهلهم، بل وعنادهم على البقاء في زمرتهم، انظر كتاب: «تبليغي نصاب» (ص٧٩٩، ٧٩٧)، وكتاب «فضائل صدقات» (ص٩٤٥، ٩٤٢)، فهذا لا يُستغرب عليهم، فها هم يقرّون قصيدة البُرْدَى وفيها ما فيها من الشرك الأكبر والذنب الذي لا يُغفر، يقول محمد إلياس : قصيدة البردى عندنا من المقرر قراءتها على العلماء . انظر: «ملفوظات إلياس» (ص٥٢)، ففي هذه القصيدة:

يا أكرمَ الخلقِ مالي مَنْ ألوذُ به
سواكَ عند حُلُولِ الحادثِ العَمَمِ
فإن من جودِك الدُّنيا وضرتَها
ومن علومِكَ علمُ اللَّوحِ والقَلَمِ

ففي هذين البيتين : إخلاص الدعاء واللياذ والرجاء والاعتماد في أضيق الحالات وأعظم الاضطرار لغير الله، فالشيطان أظهر لأولئك الناس الشرك في قالب محبة النبي ﷺ ، وأغفلهم عن تعظيم الرسول ﷺ ، فمحبة النبي ﷺ وتعظيمه لا يكون إلا بتعظيم أمره ونهيه، والاهتداء بهديه واتباع سنته والدعوة إلي دينه الذي دعا إليه، ونصرته، وموالاة من عمل به، ومعاداة من خالفه، فعكس لهم الشيطان ما أراده الله ورسوله علما وعملا، فارتكبوا ما نهى الله عنه ورسوله، فجعلوا الدنيا والآخرة من جُود النبي ﷺ ، وعلم اللوح والقلم من علومه، وهذه كلها من خصائص الرب سبحانه وتعالى .

فلننظر إلى جماعة التبليغ وهم يعتقدون أن الفيوض تكون من القبور وما فيها من الجثث المتحللة؛ فيقول المفتي عزيز الرحمن في ترجمة الشيخ زكريا : «لا تزال مقابرهم منابع الفيوض والبركات». ويقول في مكان آخر في نفس الكتاب : «ولا يزال قبره وتكيته ينبوعا للفيوض والبركات» (ص٩٤، ٥٤)، وهذا الكلام هو نفس كلام الشيخ زكريا في كتابه «المجالس الثلاثون» (ص٢١١)، فهؤلاء قد أغفلهم الشيطان عن ذكر الله كما قال الله عن أمثالهم من عبّاد القبور : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ (الأحقاف: ٥)، وقوله تعالى عن أمثالهم أيضا من عبّاد القبور المتقربون إليها : ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝٢٠ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾(النحل: ٢٠، ٢١)، ففي هذا الآيات كما ترى فيها الرد عليهم في معتقدهم، فاللهم اهدهم إلى الحق ويسر لهم طريقه، وأبعدهم عن الذي هم فيه من البدع والشرك والخرافات والزيغ والضلال . . .آمين .

ومن خرافاتهم أنهم كانوا يرابطون على القبور، وينتظرون الكشف والكرامات والفيوض الروحية من أهل القبور بزعمهم، ويقولون: إن صاحب القبر يوزع النور الذي ينزل من السماء في قبره؛ كل بحسب قوة الارتباط والتعلق به، فانظر إلى هذه الخرافات في كلام محمد يوسف بن محمد إلياس في كتاب «سيرة محمد يوسف» (ص١٣٥).

أما علم الغيب؛ فهو عندهم ليس خاصًا لله وحده، بل يشارك الله فيه بعض الخلق، فبئست هذه العقيدة التي مُلئت بالشرك والبدع، انظر كتاب: «تبليغي نصاب» (ص٧٧٣، ٥١٩)؛ لترى العجب العجاب في هذه العقيدة الشركية، بل وغيرها الكثير من الكتب لجماعة التبليغ التي مُلئت من القصص الخرافية التي لا يؤمن بها إلا من مرض قلبه ومُلِئَ بالضلال لبّه، فأهل السنة والجماعة يقولون: إن الغيب لا يعلمه إلا الله، أما جماعة التبليغ فتصرف هذا العلم لشيوخهم ومجاذيبهم انظر كتاب: «فضائل حج» (ص٢٠٠)، و«فضائل صدقات» (ص١٠١١)، بل وحتى الخنازير عندهم تعلم الغيب كما في كتاب «سلوك الأكابر وإحسانهم» لمحمد إقبال (ص٧٢) فسبحان الله عما يصفون، فالشيطان

عشَّشَ عندهم وفرَّخ فإنا لله وإنا إليه راجعون، لقد بلغت المهزلة عندهم مبلغا لا يقاس بأي شيء :

فَهَزُلَت حتى بانَ من هُزَالِها
كلاها حتى سَامَها كل مفلس

فجماعة التبليغ وصل عندهم علم الغيب ما لم يبلغه أحد من العالمين؛ فعلماؤهم يعلمون متى يموتون، بل عندهم المريد يعرف متى يموت، فهم يضاهئون قول البريلوية في هذه المسألة حيث إن البريلوية يعتقدون أن الأولياء لا يموتون، بل يبقون أحياء ويتصرفون في الكون، فهذا شيخهم زكريا في كتابه «تبليغي نصاب» الذي يتلونه جماعته ليل نهار بحيث أنه المرجع الأساسي لهم- مليء بمثل هذه الترهات والخرافات انظر -مثلاً-: (ص٦٥٨،٦٦٨) .

أما ما يعتقده أهل السنة والجماعة : أن من يدعي الغيب كافر خارج عن الملة؛ لأنه مكذب لله عز وجل، قال الله تعالى : ﴿**قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**﴾(النمل: ٦٥)، فقوله سبحانه وتعالى: ﴿**قُل**﴾ أي: قل يا محمد ! أي يأمره أن يعلن للملأ أنه لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله، حتى هو ﷺ لا يعلم الغيب، ولا الملائكة المقربون، ولا الجن، ولا أحد إلا الله تبارك وتعالى، وقال تعالى: ﴿**قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ**﴾(الأنعام: ٥٠)، فالرسول ﷺ لا يعلم إلا ما يوحى إليه من ربه، حتى إنه ﷺ لا يدري ما يُفعل به ولا بغيره إلا ما أوحاه الله له كما قال تعالى: ﴿**قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ**﴾(الأحقاف: ٩)، وأما مشايخ التبليغ ومريدوهم فهم يوحى إليهم!! ولكن وحيهم الشيطان الذي سوَّل لهم وأملى لهم، فيزعمون ما ليس لأحد إلا لله، فيعلمون الغيب، ويعلمون أنهم يدخلون الجنة، ومع من يدخلونها، بل منهم من تجرأ بسفاهته وادعى أنه يدخل الجنة مع عشيقته النصرانية، فها هو الشيخ زكريا يذكر القصة الخرافية ويؤمن بها كما في كتاب: «أكابر إحسان» لمحمد إقبال (ص٧٧)، فمشايخ التبليغ قد لقوا

مكانة أشرف من مكانة النبي ﷺ فهم يعلمون متى يموتون، ويقولون: إذا متنا؛ فموتتنا حياة؛ لأننا نعشق الله كما في كتابهم «فضائل صدقات» (ص٨٩) .

ومن ادعاءاتهم: إن الشيخ يستطيع أن يطلع إلى ما وراء الحجاب والمغيبات متى شاء؛ فانظره في كتبهم: «تذكرة أمير تبليغ» لمحمد يوسف (ص٣٤)، وكتاب «محبوب العارفين» لمحمد إقبال (ص٢٠)، و «ولي كامل» للمفتي عزيز الرحمن (ص٣٦٧)، فشيوخ التبليغ فاقوا الرسول ﷺ الذي ما استطاع أن يكشف الذين خدعوه من رعل وذكوان وعصيّة؛ الذين خدعوا الصحابة القرّاء السبعين، فغدروا بهم وقتلوهم، فدعا النبي ﷺ عليهم فقال: **«اللهم العن رعلاً وذكوان وعصيّة عصت الله ورسوله»**، فالنبي ﷺ لم يعلم غدرهم له؛ لكونه لم يعلم الغيب، وما أوحى الله إليه أنهم غادرون، لهذا قال الله تعالى: ﴿**قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ (الأعراف: ١٨٨) .

أما عقيدتهم في التصرف؛ فحدث ولا حرج، فجاء في كتاب «تذكرة أمير تبليغ» (ص١٨) لشيخهم عزيز الرحمن قوله: «ولعل تأليف هذا الكتاب بأكمله كان من تصرفات الشيخ الروحانية». انتهى .

يعني: الشيخ محمد يوسف، ويدعي محمد زكريا أن صاحب القبر يتصرَّف في الجو، فيجعله معتدلاً، فانظر إلى كتاب «سيرة محمد يوسف» (ص١٠٠)، وبلا شك أن الذي يعتقد أن أحدًا يتصرف في الجو فيجعله معتدلاً فقد كفر والعياذ بالله، ولكن هذه كلها سخافات لا تدخل عقل مسلم موحد، فهؤلاء سخفاء جهال، وفي أدنى مكان في الجهل، فانظر إلى زكريا هذا كيف تصل به السخافة والجهل فيقول لرجل مسافر إلى المدينة النبويَّة فيوصيه ويقول له : إذا وصلت إلى النبي ﷺ فقل له : يُسَلِّم عليك كلب هندي يعني: نفسه، ومن المعلوم أن المسلم مهما يَكُن لا يسمي نفسه بالكلب، فالله ضرب مثلاً بالكلب والحمار لمن أعطاه الله كتابه ولم يعمل به، فقال سبحانه في سورة الأعراف: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ** (١٧٥) **وَلَوْ**

شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب﴾(الأعراف: ١٧٥، ١٧٦)، وقال سبحانه وتعالى في سورة أخرى: ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا﴾ (الجمعة: ٥). ثم قوله للرجل: يسلم عليك كلب هندي .. ظانا أن النبي ﷺ محبوسًا في قبره .. وهذا عين الضلال الذي أوصله إلى الاضمحلال الذي هو فيه، فالرسول عليه الصلاة والسلام ليس محبوسا في قبره، بل إنه في عليين ومع المؤمنين الذين أرواحهم في حواصل طيور خضر ترتع في الجنة حيث شاءت، وحياته ﷺ حياة برزخية في عليين ما يعلم كنهها إلا الله، ورجوع روحه إلى جسده الشريف ليس كالحياة الدنيا، فعلمها عند ربي، ولكن هؤلاء القوم ليس لهم دين ولا عقل والعياذ بالله، فإذا كانت هذه الأفكار وهذه الأمور الشركية قد راجت على شيخ الفرقة التبليغية زكريا الذي يصفونه بأنه ريحانة الهند وبركة العصر والمحدث الكبير، وشيخ الحديث، وشيخ المشايخ، والمشرف الأعلى لجماعة التبليغ، وأعلم الناس عندهم، فهي أيضًا قد راجت على أبي الحسن الندوي الصوفي التبليغي الذي قد اغتر به الكثير من المنتسبين إلى العلم؛ وظنوا أنه من كبار العلماء في زماننا، وهو في الحقيقة من المفلسين من علم التوحيد والسنة، وقد راجت على غيرهما من مشايخ التبليغيين وأكابرهم، فلم يروا بها بأسًا، فلا تسأل عن الأتباع السذج الذين لا يعقلون شيئا ولا يهتدون، وهؤلاء ينطبق عليهم قول الله عز وجل: ﴿إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون﴾(الأعراف: ٣٠). ثم ليعتبر المخدوعين بجماعة التبليغ الذين يظنون أن الجماعة ما فيها شيء، ويقولون: إنهم فيهم خير، أو إنهم طيبين، أو إنهم دعاة أحباب أو .. أو .. إلخ فليعتبروا؛ فإن العبرة لمن اعتبر قال تعالى: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾(ق: ٣٧).

أما عن القصص الخرافية فكثيرة وكثيرة جدًا، فهي تُسئم من يقرأها، وتميت من يصدقها، وتضحك من يتأملها، فإن من شر البلية ما يضحك؛ فعندهم الكعبة المشرفة تتكلم وتضرب وتذهب إلى زيارة المحبين لها، وعندهم الميت يضحك ويفتح عينيه ويقرأ القرآن، ويُسْمَعُ صوته من خارج القبر، ليس فقط فهو غير منقطع العمل؛ فهو يقرأ الكتب

وينظر إلى زوّاره، فانظرها في كتاب «فضائل حج» (ص١٠٤)، و «فضائل صدقات» (ص٦٥٨، ٦٦٧، ٦٦٩)، و«تبليغي نصاب» (ص٣٨٥)، و«ولي كامل» (ص١٧٦).

أما عن عقيدتهم في التصوّف، ففرقة التبليغ يبايعون أتباعهم لطرق الصوفية الأربعة، وهي الجشتيّة؛ نسبة إلى معين الدين الجشتي، وقد جُعل قبره وثنا يُعبد في بلدة أجمير إحدى مدن الهند، وهذه الطريقة لها فروع شتى، وأما الطريقة الثانية فهي الطريقة القادرية نسبة إلى عبد القادر البغدادي وهو صاحب خرافات كثيرة، وأما الطريقة الثالثة فهي الطريقة السهروردية وتُنسب إلى أبي حفص شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي، وهي أيضا مليئة بالبدع والخرافات، وأما الطريقة الرابعة فهي الطريقة النقشبندية نسبة إلى خواجة بهاد الدين بن محمد البخاري، وأغلب الحنفية على هذه الطريقة، وهي مليئة بالخرافات كأخواتها، ولها فروع شتى، انظر إلى تفاصيل هذه الطرق الأربعة ومراجعها في كتاب «الماتريدية» للشمس السلفي الأفغاني (١/ ١٧٥).

يقول الشيخ زكريا في كتاب «صقالة القلوب» (ص٤٠): «ليكن قلب المريد خاليا من الخطرات، وإذا كان في مجلس شيخه متأدبًا، وليتصور أنه يجلب الفيوض من قلب الشيخ إلى قلبه». انتهى، فقوله هذا باعتبار أوامر شيخه كأوامر الله ورسوله، فطاعة شيخه طاعة مطلقة، وانظر كتاب: «أكابر سلوك إحسان» (ص٩٩)، ويقول أيضًا في «صقالة القلوب» (ص١٤٦): «فإن لم يكن المريد حاضرًا؛ فعلى الشيخ أن يتصوره ويفيض عليه بالتوجه إليه حسب الطريقة المذكورة، فإن المريد يستفيد بهذه الطريقة إن شاء الله، وإن كان على مسافة مئات الأميال، وكذلك إذا أراد المريد أن يطلب الفيوض من شيخه وهو غائب عنه، فليجلس متصورا متأدبا كما كان يجلس أمامه في مجلسه»، ويقول في (ص١٣٦): «وعلى المريد أن يذعن حق الإذعان أن روح الشيخ ليست مقيدة في مكان ما، وليست محدودة فيه، فإن المريد لا يبعد عن القوة الروحية للشيخ؛ قريبا كان أم بعيدا، فإن قلبه مرتبط مع قلب شيخه». انتهى.

هكذا الذي يدينون به ويدندنون حوله، فشيخ التبليغ ادعى أن لشيوخهم الطاعة المطلقة التي لا تكون إلا لله تعالى ولرسوله ﷺ، فالله هو رب العالمين، ورسوله هو حجة على العالمين، وهو المعصوم، أما غيره فلا، فنعوذ بالله من فقد العقل والدين،

فالمتصوفة هكذا، فهم عند شيوخهم كالميت عند مُغَسِّله؛ يقلبه كيف يشاء وهو مطاوع له؛ لهذا فهم يعتقدون أن شيخهم قد بايع النبي ﷺ بأخذ النيابة عنه، فهذه هي بيعتهم المعروفة لشيوخهم أصحاب الطرق الصوفية المتقدمة الذكر، وهذا الذي ادعاه الصوفية لأتباعهم بلا شك كذب على رسول الله ﷺ، وقد وقعوا في قوله ﷺ: **«من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»** فهذه البيعة المزيفة التي يستعملونها، والإجازة التي يعطونها؛ هي الضلال المبين، وشرع لم يأذن به الله، فالتبليغيون العجم يبايعون على هذه الطرق الأربع بدون تحفُّظ، وأما التبليغيون العرب فإنهم يُتحفظ منهم، ولا يُبَايَع إلا من وُثِقَ به منهم، وهم السذج الجهال الذين لا يعقلون شيئا ولا يعلمون ولا يهتدون، فهم مع المبتدعة يسيرون ويصيرون، ويحسبون أنهم على الحق وهم لا يبصرون، وهم في الباطل منغمسون، ويظنون أنهم من الفرقة الناجية وهم مع الهالكين، فاللهم اهدهم أجمعين، إلى صراطك المستقيم . . .

ومن شر البلية ما يضحك، فلننظر ونتخيل طريقة الذكر عند التبليغيين في كتابهم «صقالة القلوب» (ص٩٣،٩٢)، وهذا الذكر مما أُوحيَ إلى مشايخهم، ولكن عند قراءتك لهذه الطريقة؛ اجعل خيالك مجنحًا معه فلعلك ترى ما لا أرى، فيكشف لك ما وراء الورى، فتضحك ولكن إياك أن تقع على ورى فيقول الصوفي في الكتاب المتقدم ذكره: للذكر طرقٌ مختلفة :

١- ذات ضربة واحدة . ٢- ذات ضربتين .

٣- ذات ثلاث ضربات . ٤- ذات أربع ضربات .

١- ذات ضربة واحدة : وهي أن يغمض عينيه، ويميِّل رأسه إلى منكبه اليمنى، ويضرب كلمة (الله) على قلبه بقوة كاملة .

٢- ذات ضربتين : يوجه الضربة الأولى إلى الروح، والثانية إلى القلب، «موضع الروح أسفل من الثدي اليمنى بقدر إصبعين».

٣- ذات ثلاث ضربات: يوجه الضربة الأولى إلى ركبته اليمنى، والثانية إلى ركبته اليسرى، والثالثة إلى قلبه .

٤- **ذات أربع ضربات:** يوجه الضربة الأولى إلى ركبته اليمنى، والثانية إلى ركبته اليسرى، والثالثة إلى الروح، والرابعة إلى القلب . ثم ليقعد أو ليقف أو ليضطجع، ويتصور نفسه خفيفًا أو ميتًا - ويسهل هذا إذا اضطجع مستلقيًا- ثم ليتوجه إلى كل شعرة من جسده ويتصور عندما يتنفس أو يلفظ أنفاسه أن كل شعرة من جسده من رأسه إلى قدمه تنطق بلفظ الجلالة، ويمكن أن يتصور لفظة (الله) عندما يتنشق للتنفس ولفظ (هو) عندما يلفظ نفسه . انتهى.

فأقول ما هذا إلا الرقص والنقص في المراقص، وعنهم قيل :

أيا جيلَ ابتداعٍ شَرَّ جِيلِ
لقد جِئتُمُوا بأمرٍ مُستَحِيلِ
أَفِي القرآنِ قالَ لكم ربي:
كُلُوا كالبَهَائِمِ وارقُصُوا لِي

فهؤلاء مجانين خُرافيين ضلاليين، ويجب التحذير منهم ومن بدعهم وشرهم ولا كرامة لهم .

أما عن قطب الأقطاب، وقطب الإرشاد؛ فلنسمع ماذا يقول الصوفي محمد إقبال في «صقالة القلوب» (ص١٩٤) : «قال الرسول ﷺ فيما رأى في المنام إن عجلة الروحانية يدفعها هذا الشيخ محمد زكريا، وهو مالك جميع خزائنها، وإن نضرة الله وتأييده وقبوله معه هذه الأيام، وما يخطر بقلبه فهو من الله تعالى، وأنا أتوجه إليه أيضا؛ فإنه عماد الدين، وعَلَم، وهو قطب الأقطاب». انتهى. ويقول المفتي عزيز الرحمن في «ولي كامل» (ص٣٦٧): «ومعنى قطب الإرشاد عندي : أن من حضر في مجلسه يصبه ذاكرا حقا، ومطلعا على هواجس النفس، وقد حضرت مجالس الشيخ زكريا بكثرة، ولاحظت عليه الكشف والتصرف، وأنه يطلع على خطرات القلب، وأيضا ذكر عندهم أن القطب الفرد الغوث هو الخليفة عن الله في جميع مملكته، فلا تتحرك ذرة في العالم إلا بإذنه». انتهى.

فانظروا كيف جُعِلَ هذا القُطَيْب الكذوب لا تأخذه سنة ولا نوم، وكيف جعلوه نائبا عن الله، فوالله تكاد السموات يتفطّرن من هذا الكلام، وتنشق الأرض من هذا الهذيان،

وتخر الجبال منه هدًّا؛ أن جعلوا لله نائبًا: ﴿**كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا**﴾(الكهف: ٥).

أما اعتمادهم على الأحاديث المكذوبة على رسول الله ﷺ؛ فحدث ولا حرج بما اندرج؛ فإنهم يعملون بها بحجة أنها من فضائل الأعمال، وهم يجهلون أن الحديث إذا كان موضوعا؛ لا يصح أن يعمل به وإن كان في فضائل الأعمال باتفاق العلماء الذين يُعتد بعلمهم، أما إذا كان الحديث ضعيفا، ولم يكن فيه كذاب؛ فيُعمل به بشروط وهي: أن يكون الضعيف ليس كذابا، ولا متهما بالكذب، ولا من يكون فاحشًا في الغلط، وأن يكون الحديث يندرج تحت أصل معمول به، وألا يُعتقد عند العمل به ثُبوته، بل يعتقد الاحتياط، وهذه الشروط أيضا لها شروط قال بها بعض العلماء، وإلا بعض من العلماء لم يقر الحديث الضعيف وإن كان في فضائل الأعمال، منهم: البخاري ومسلم وابن معين وأبو بكر ابن العربي وابن سيد الناس، انظر: «عيون الأثر» (١/ ١٥)، و«قواعد التحديث» للقاسمي (ص١١٣).

أما التبليغيون فهم يؤمنون بالأحاديث المكذوبة على الرسول ﷺ سواء كانت في فضائل الأعمال، أو حتى لو كانت في العقيدة، انظر إلى كتبهم فهي مليئة من هذه الأحاديث الموضوعة المكذوبة على رسول الله ﷺ، وهي تمس في العقيدة وتخرمها، فمثلاً: انظر إلى كتابهم «فضائل صدقات» (ص٩٢١)، وهو يذكر حديثًا موضوعا عن آدم: «لما أكل من الشجرة فقال يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي . . . إلى آخر الحديث الموضوع الذي يخالف لما ورد في القرآن العظيم أن آدم وحواء ﴿**قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾(الأعراف: ٢٣). وحديثًا آخر: «لولاك لما خلقت الأفلاك»، وهذا الحديث موضوع بالاتفاق، وهو يخالف ما في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾(الذاريات: ٥٦). وهم يدعون أن الله خلق الكون لأجل نبينا محمد ﷺ، فوالله لو كان رسول الله ﷺ حيا لحاربهم على هذه العقيدة الكفرية، ومن الأحاديث التي يؤمنون بها، ويجادلون حولها، حديث: «اختلاف أمتي رحمة»، وهو حديث موضوع ومختلق، فهم لا يدرون أن النبي ﷺ بُعث للقضاء على الاختلاف، لا لإيقاع الخلاف بين أفراد الأمة، ويرد هذا الحديث قوله

تعالى: ﴿وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾(هود: ١١٨، ١١٩)، ومن الأحاديث التي يؤمنون بها، ويدندنون حولها، حديث: «أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون، وفي رواية عندهم، حتى يقولوا منافق أو مراءٍ»، وهذا الحديث ضعيف جدًّا، ومن أحاديثهم: «من صلى علي عند قبري سمعته، ومن صلى علي نائيا أُبلغته»، وهذا الحديث موضوع ومخالف لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾(فاطر: ٢٢) ومن أحاديثهم: «من قال: لا إله إلا الله غُفِر له ذنوبه خمسين سنة، قيل: يا رسول الله من لم يكن له ذنوب خمسين سنة ؟ قال: لوالديه ولقرابته ولعامة المسلمين»، وهو حديث موضوع يُثَبِّط الناس عن العمل، وحديث آخر موضوع يدعو إلى ارتكاب الفواحش، وهو: «من قال لا إله إلا الله من قلبه خالصًا ومدها بالعظيم؛ كفّر الله عنه أربعة آلاف ذنب من الكبائر، قيل: إن لم يكن له أربعة آلاف ذنب، قال: يغفر من ذنوب أهله وجيرانه»، فما أجرأ الكذابين على الله وعلى رسوله، وغيرها الكثير من الأحاديث والحكايات المكذوبة، فانظرها في كتبهم التي مُلئت بالآلاف منها والله المستعان .

فها هي جماعة التبليغ، أو بالمعنى الأصح فرقة التبليغ وبعض ما عندهم، وإلا فهذا الكلام المتقدم غيض من فيض، وإلا فكتب التبليغيين مليئة بمثل هذه الخرافات والخزعبلات التي هي في الحقيقة معصية لله ولرسوله مقابل طاعة أشياخهم، والعياذ بالله، بل وفيها أكبر معصية عُصِيَ الله بها؛ وهي الشرك الأكبر والذنب الذي لا يُغفر، بل تفوقت محبة شيخهم على محبة الله ورسوله والعياذ بالله، بل يخاف من سخط الشيخ وغضبه وعقابه كما يخاف من سخط الله وعقابه، فهم -كما تقدم من الكلام- كثيرًا ما يعملون على تصور الشيخ والمراقبة عند القبور، وهم يوقنون على المكاشفة، ويعملون لها عمليات، وهم في نفس الوقت يوجبون التقليد لأئمتهم وشيوخهم، وينسبون هذا للإمام أبي حنيفة رحمه الله، وهو بريء منهم ومن تقليدهم له، أما عقيدتهم فهم يتبعون العقيدة الماتريدية، ويلزمون أنفسهم البيعة على يد شيخ من الطرق الأربعة الصوفية المتقدمة الذكر، فهم فرقة تبليغية حنفية أشعرية ماتريدية ديوبندية جشتية نقشبندية سهروردية قادرية، أما عقيدتهم في حق الرسول ﷺ وحق أولياء الله؛ فهي شرك عندهم تكون في المشايخ الديوبندية من جماعة التبليغ إيمانا وإسلاما، فهناك شريعتان متقابلتان عندهم متوازيتان، فشريعة في حق

الأنبياء والأولياء، وشريعة في حق مشايخهم كما هو مقرر عندهم، أما عن أصولهم؛ فهم وضعوا لها أركانًا ستة مدارها على السياحة البرهمية، فهي الركن الأساسي، وهذه السياحة عندهم بمنزلة الشهادتين عند أهل الاستقامة؛ فمن قبلها واشتغل بها؛ أحبوه وأكرموه وغفروا له ذنوبه وتقصيره وضلاله وبدعته، ومن خالفهم فيها؛ لم يقبلوا منه شيئا وإن كان مؤديًا لجميع الواجبات، قائما بالفرائض والسنن، متبعًا لأقوم السنن، فعلى هذه السياحة التي يسمونها الخروج؛ يوالون ويعادون ويحبون ويبغضون، فهي خلاصة دينهم؛ فمنها يتعلمون، ومنها يدرسون، ومنها يتلقون، ومنها يأكلون ويشربون؛ لكن من المبتدعة أمثالهم والضالين الذين يخرجون إليهم، وهم: إما يعلمون عن ما سبق الكلام عنهم، وإما لا يعلمون، وأحلاهما مُر، فهم مبتدعة، وفي بدعهم شركيات وهلوسات، وهذا وحده فساد عظيم، وضلال كبير، ووجب على كل من عرف حالهم أن يبين للذين اخترطوا معهم عن حالهم، فأكثر المنتمين إليهم ما عرفوا حقيقتهم، ولكن لا خوف ولا يأس ولا جزع ولا بأس؛ فإن قواعدهم أوهى من بيت العنكبوت .

فعلى ما تقدم: أقدم النصيحة لجميع المسلمين الذين يحرصون على سلامة دينهم من الخرافات والبدع الموصلة إلى الشرك بألا ينخرطوا ولا ينضموا إلى هذه الفرقة - وغيرها الكثير من الفرق الموجودة في ساحات المسلمين - الخارجة عن الصراط المستقيم، ولا يخرجوا معهم أبدا، سواء كان الخروج في الداخل أو الخارج، فإنهم أهل بدع وضلال وجهل في العقيدة والسلوك، فهم لا يُؤمن من الانخراط في سلوكياتهم وبدعهم والله الهادي، وقد أحسن القائل عندما قال :

فلا تصحبْ أخَا ... الجَهْلِ وإياك وإياهُ
فَكَمْ من جاهلٍ أرْدَى ... حليما حينَ آخَاهُ
يُقاسُ المرءُ بالمرْءِ ... إذا ما هو ماشَاهُ

ولكن كم ناصَحْنا أُناسًا كانوا يماشون أهل البدع؛ فاعتذروا لنا بأنهم طيبين، أو أنهم صالحين، أو أنهم سوف يهدونهم إلى الصراط المستقيم؛ ثم ما لبثنا أن رأيناهم قد انخرطوا معهم إلى صراط الجحيم، والله الهادي إلى سواء السبيل، وقد أحسن من قال :

وما ينفعُ الجَرْبَاءَ قربُ صَحِيحَةٍ
إليها ولكنَّ الصحيحةَ تَجْرُبُ

فانتبه يا عبد الله فإن أهل البدع والأهواء - الفرق- كلهم في النار، ولا ينجو من النار إلا فرقة واحدة، والواحدة هذه هم الذين يكونون على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ﷺ، قال ﷺ: « ... **وتفترق أُمتي على ثلاث وسبعين ملة؛ كلها في النار إلا ملة واحدة**»، فقيل: ما الواحدة ؟! قال: «**ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»[١].

قال الشيخ إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني رحمه الله ت ٤٤٩هجرية- في عقيدة أهل السنة والجماعة: (. . . ويجانبون أهل البدع والضلالات، ويعادون أصحاب الأهواء والجهالات، ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم ولا يصحبونهم ولا يسمعون كلامهم ولا يجالسونهم ولا يجادلونهم في الدين، ولا يناظرونهم، ويرون صون آذانهم من سماع أباطيلهم التي إذا مرت بالآذان ووقرت في القلوب؛ ضرت وجرت إليها الوساوس والخطرات الفاسدة، ثم قال رحمه الله : واتفقوا مع ذلك على القول بقهر أهل البدع وإذلالهم وإخزائهم وإبعادهم وإقصائهم والتباعد منهم ومن مصاحبتهم ومعاشرتهم والتقرب إلى الله عز وجل بمجانبتهم ومهاجرتهم .) انتهى.

وجاء عن الأوزاعي -رحمه الله- قال : (أخبرني غير واحد أن أسد بن موسى كتب لأسد بن الفرات : إياك أن يكون لك من أهل البدع أخ أو جليس أو صاحب، فإنه جاء في الأثر : من جالس صاحب بدعة؛ نُزعت منه العصمة ووكل إلى نفسه، ومن مشى إلى صاحب بدعة؛ فقد مشى في هدم الإسلام، وقد وقعت اللعنة من رسول الله ﷺ على أهل البدع، وأن الله لا يقبل منهم صرفا ولا عدلا ولا فريضة ولا تطوعًا، كلما زادوا اجتهادًا صوما وصلاةً؛ ازدادوا من الله بعدًا، فارفض مجالسهم، وأذلهم وأبعدهم كما أبعدهم الله وأذلهم رسول الله ﷺ وأئمة الهدى بعده) انتهى، وجاء عن الفضيل بن عياض أنه قال : (من عظَّم صاحب بدعة؛ فقد أعان على هدم الإسلام، وقال: من أحب صاحب بدعة؛ أحبط الله عمله، وأخرج نور الإسلام من قلبه، وقال أيضًا: علامة النفاق أن يقوم الرجل ويقعد مع صاحب بدعة) انتهى . وقال أبو قلابة البصري : (لا

(١) انظر: «السلسلة الصحيحة» للألباني -رحمه الله- (٢٠٣، ٢٠٤).

تجالسوهم ولا تخالطوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، ويلبسوا عليكم كثيرا مما تعرفون) انتهى .

وزيادة على ما تقدم أقول: إن هذه الفرقة - أي: جماعة التبليغ- لا يُعرف لأفراد جماعتهم علماء يرجعون إليهم، فلا تكاد ترى طالب علم مُعتبر في صفوفهم، وذلك لبعدهم عن العلم الشرعي وأهله، ولكن تأتيهم الأوامر من القيادة في الهند؛ فيطبقونها كما هي، وهذا شيء ملموس عندهم، فكم من مرة سألتهم عن علمائهم، فقالوا لي: تعال واخرج معنا في اجتماعنا الكبير فسوف تراهم، وأما إذا ذُكِر العلماء الحقيقيون؛ استنقصوهم ورموهم بالتقصير و . . و . . إلخ ومن المؤسف جداً أنني استمعت إلى أشرطة يوزعونها للعامة لرجل منهم، ويدعون أنه علامة عصره، وفهامة دهره، وهو علي الجفري الصوفي الخرافي الخزعبلاتي، ففي أشرطته التي استمعت إليها الضلال المبين، والهادية إلى صراط الجحيم؛ من بدع وشرك وضلال واضمحلال، وقد أفردت في الرد عليها في ورقات، أسقطت فيها ما عنده من الدركات؛ ليحذر منها كل من استمع إليها وأنصت، وظن أنها الحق أصابت، ثم ليُعلم أن هؤلاء - منهم الجفري- أجهل من حمار أبيهم، بتضليلهم العوام؛ بتحريفهم وتزييفهم وكذبهم على الله ورسوله، بدعوتهم إلى الشرك الصراح، والاستهزاء بعلماء المسلمين واستنقاص كلامهم، واعتذارهم لأهل البدع والشرك، فانظر الرد عليه في مكانه، والله الهادي وحده لا شريك له .

فاللهم اهد المسلمين إلى الدين القويم، وجنّبهم أهل الجحيم، ورد المسلمين إلى الإسلام رداً جميلا، وقهم البدع ما ظهر منها وما بطن، واجعلهم هداة مهتدين، هادين غير مضلين، واكتب لنا جميعا الصلاح والفلاح في الدارين، وأدخل في قلوبنا حب الدين، والغيرة عليه من كل دخيل، وثبتنا اللهم على ما نحن عليه من الهدى ودين الحق، ونعوذ بك من الحَوْر بعد الكَوْر، ومن الضلالة بعد الهدى، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ملاحظة : راجع الكتب التالية في بيان حال جماعة التبليغ :

١-القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ للشيخ حمود التويجري رحمه الله .

٢-جماعة التبليغ (في شبه القارة الهندية) عقـائدها - تعريفها للأستاذ أبي أسامة سيد طالب الرحمن، مدير المعهد الإسلامي في الباكـستان - إسلام أباد . تقريظ الشيخ صالح الفوزان .

٣-المورد العذب الزلال فيـما انتُقد على بعض المناهج الدعوية من العـقائد والأعمال للشيخ أحمد النجمي تقريظ الشيخ الفوزان والشيخ ربيع المدخلي .

٤-دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحـركات المعاصرة لصلاح الدين مقبول، من مجمع البحوث العلمية الإسلامية في الهند .

٥-جماعة التبليغ: عقيدتها وأفكار مشـايخها لمحمد أسلم الباكستاني وهي رسالة لنيل الشهادة العالية في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

٦-تبليغي نصاب: دراسة نقدية للأستاذ تابش مهدي، مكتبة الإيمان بديوبند .

٧- وغيرها من الكتب والكتيبات الكثيرة؛ وهي موجودة في الأسواق.

كتبه

أبو ماجد أحمد بن عبد القادر تركستاني

في ٦/٦/ ١٤٢١ هجرية

ملاحظات على

كتاب الرسائل الشمولية

للحميدي

بسم الله الرحمن الرحيم

ملاحظات على كتاب الرسائل الشمولية

لعبد العزيز بن عبد الله الحميدي

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد:

فإن من دواعي هذه الملاحظات، هو ما نراه وما نسمعه وما نقرأه؛ من ترويج مناهج منحرفة عن منهج أهل السنة والجماعة، في مسائل النصح والإرشاد والرد على المخالفين، مع أن الواجب على كل من تصدَّر للدعوة إلى الله، أن يكونوا دعاة للحق، لا دعاة للباطل، والواجب عليهم أن يدعوا إلى الله بعين البصيرة والعقل، لا بعين العاطفة والهوى، وعليهم أيضا أن يحذِّروا الناس من الأخطاء والبدع ومما تحمله من شرور وأخطار على الأمة الإسلامية، وألا يكونوا أبواقا للمغرضين والحاقدين لهذه البلاد ولأهلها وعقيدتها؛ من أصحاب الملل والنحل الضّالة، وأصحاب العقائد الفاسدة، من الذين يحاولون تشويه منهج السلف الصالح، في عقيدتهم وعباداتهم؛ من الذين نراهم دائما وأبدا يطعنون في علماء السلف وفي أتْباعهم، فالواجب على كل من تصدر للدعوة إلى الله والتأليف أن يبين للأمة خطر هؤلاء وفَضْحهم، بتبيين مقاصدهم وأفكارهم ومشاربهم، وهذا بلا شك من أبواب النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين ولعامتهم، وبالله التوفيق .

وبعد أيضًا: فهذه بعض الملاحظات على كاتب «الرسائل الشمولية»: لعبد العزيز ابن عبد الله الحميدي هداه الله للحق، وإلى الحق، وإلى الصراط المستقيم، وأرجو من الله تعالى أن تكون في هذه الملاحظات التذكرة والإقناع للذين لا تروقهم مثل هذه الملاحظات والردود مطلقا، فلعلها تساعدهم على تبنّي الحق الذي اختلف فيه كثير من الناس، فالحق هو الذي يُناشد به، ولا ينبغي لأحد أن يسكت عن تبيينه للناس، فلا يُسْكَت عن الباطل والبغي والظلم والبهت والكذب، بل الذي يجب أن يُدَافَع عن الحق، وهذا الدفاع لا يمكن

أن يكون إلا بالوسائل الشرعية، والآداب المرعية، فبهذا الميزان يبقى الحق، ويُدحر الباطل، أما السكوت عن الباطل؛ فيزيده، ويورِّط الناس فيه، وخاصة في الذين أوتوا قليلا من العلم والفهم، فالواجب على كل من رأى باطلا؛ أن ينكره ويحذر منه، وبالطريقة المشروعة، أي بحسن التصور، وبنقاء السريرة - لا بالاضطراب أو بمختلط الطريقة - فبهذا الأسلوب يصل العبد إلى صفاء العقيدة وحسن التصور، وبدون تناقض أو اضطراب أو تضاد - كما سترى في منهج الكاتب لهذه الرسائل هداه الله - فأهل السنة الفحول كانوا هكذا، يردّون على المخالفين في سائر عصورهم؛ ومتى ظهر مبتدع ضال يطعن في السنة وأهلها، أو يريد نقض عرى التوحيد، أو التشكيك في علماء الأمة؛ انهالت عليه الردود من كل جانب، ليُكشف ويُفضح، ويُهتك زوره وضلاله، وبهذه الردود تموت البدع، ويموت مروِّجوها، ويبقى نور الكتاب والسنة ساطع وهّاج، ينير الطريق الموصل إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين السائرين على الصراط المستقيم، فاللهم اجعلنا منهم ومعهم. . . آمين .

ملاحظات حول سبب تأليف الرسائل الشمولية:

قال المؤلف عبد العزيز بن عبد الله الحميدي هداه الله في (ص٥) من كتابه «الرسائل الشمولية»: (وكان من أهم الأسباب في ذلك - يعني في تأليف رسائله الشمولية- ما جرى من الشقاق بين بعض أهل العلم منهم وإشغال أنفسهم في الرّدود بعضهم على بعض واتهام بعضهم بعضا في دينهم. . . . إلخ) انتهى.

فأقول وبالله التوفيق: إن هذا الفكر ما هو إلا تيّار جديد دخيل على الإسلام، والغرض منه هدْم الكيان الإسلامي وفتح روافد الشَّر؛ ومنها إبقاء المسلمين في غفلتهم وضلالهم.

فنقد الكُتب يختلف باختلاف المردود عليه: فإما أن يكون الرد للتقويم، أو يكون للتحذير، وكل ذلك من أجل النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، فالنصيحة لكل مسلم ميثاق نبوي، أما التقويم؛ فهذا لأهل السنة فيما بينهم، فيردون على بعضهم البعض للتقويم؛ لأنهم أهل سنة، فإن وقعوا في الخطأ فمأجورون أجرًا واحدًا

لاجتهادهم، ولكن الخطأ عندهم يُرد ولا يُقْبَل، بل و يُحَذّر منه، فعلماء أهل السُّنة المجتهدون؛ قد بذلوا الوسع في البحث والنظر للوصول إلى الحق، فإذا وقعوا في بدعة؛ فبغير قصد منهم، فلا يجوز نقضهم أو إسقاط منازلهم، بل الذي نظنُّه فيهم أنهم عُرِفوا بالعلم والبعد عن الهوى، ونظن أن لهم جهودًا مشكورة في نشر السنة، وخدمتها، كالبيهقي، وابن حجر، وابن عساكر، والعز بن عبد السلام، والنووي، وغيرهم، فانظر إلى فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-(١٩/ ١٩٢).

وانظر: «إعلام الموقعين» لابن القيم (٣/ ٣٠٠) حيث أنكر -رحمه الله- على من يظن أن مسائل الخلاف لا إنكار فيها، فقال -رحمه الله-: (وقولهم: إن مسائل الخلاف لا إنكار فيها؛ ليس بصحيح، فإن الإنكار إما أن يتوجه إلى القول والفتوى أو العمل، أما الأول؛ فإذا كان القول يخالف سنة أو إجماعًا شائعا؛ وجب إنكاره اتفاقًا، وإن لم يكن كذلك فإن بيان ضعفه ومخالفته للدليل إنكار مثله، وأما العمل؛ فإذا كان خلاف سنة أو إجماع وجب إنكاره بحسب درجات الإنكار، وكيف يقول فقيه: لا إنكار في المسائل المختلف فيها، والفقهاء من سائر الطوائف قد صرحوا بنقد حكم الحاكم إذا خالف كتابا أو سنة، وإن وافق فيه بعض العلماء، وأما إن لم يكن في المسألة سنة ولا إجماع، وللاجتهاد فيها مساغ؛ لم تنكر على من عمل بها مجتهدا أو مقلِّدا، وإنما دخل هذا اللبس من جهة أن القائل يعتقد أن مسائل الخلاف هي مسائل الاجتهاد، كما اعتقد طوائف من الناس ممن ليس لهم تحقيق في العلم). انتهى كلام ابن القيم، رحمه الله.

فابن القيّم -رحمه الله- يريد أن يبيّن أن هناك فرق بين الاختلاف والاجتهاد، فالاختلاف يكون بوجود النصوص - الصحيحة الصريحة- ولا بد من قولٍ فيه صواب، وقول الآخر فيه خطأ، فينقاد المسلم للصواب ويترك الخطأ ولا بد، أما الاجتهاد فهو في عدم وجود النص - أو بوجود النصوص الغير صريحة وإن كانت صحيحة- فحينئذ يُجتهد في ذلك، فالاختلاف والاجتهاد ليس معناه واحد، فالمسائل الاجتهادية هي التي لم تثبت فيها نصوص صريحة تدل على صحة أحد الآراء فيها، وهي التي عناها العلماء بقولهم: لا إنكار في مسائل الاجتهاد، أما المسألة الخلافية فهي المسألة التي اختلف فيها علماء الأمة، ولكن ثبت فيها نص أو نصوص صريحة تدل على صحة أحد الأقوال فيها،

ولا مجال للاجتهاد فيها، على حسب القاعدة الشرعية {لا اجتهاد مع النص} فهذه يجب أن ينكر على من خالف نصا صريحا دال على أحد الآراء في المسألة المختلف فيها.

ولزيادة في البيان انظر: «حكم الإنكار في مسائل الخلاف» لفضل إلهي ص(٥٤) وانظر: «الأضواء الأثرية في بيان إنكار السلف بعضُهم على بعض في المسائل الخلافية الفقهية» لفوزي الأثري.

ملاحظات على الرسائل في الرّد على المخالف وتقريبه لوجهات النظر:

أما الرد على المخالف؛ ففيه التحذير منه، وتبين ضلاله وزيغه؛ لرد شره عن الإسلام وأهله، ولحماية حمى التوحيد، وحفاظا على جنابه الكريم، وهذا الرد يعتبر شعبة من شعب الجهاد، وإذا قرأنا كتب أهل السنة في الرد على المخالف؛ لوجدنا فيها المراد من التحذير منها، ككتاب: «خلق أفعال العباد» للبخاري، وكتاب «السنة» لعبد الله ابن الإمام أحمد، وكتاب «التوحيد» لابن خزيمة، وكتاب: «رد عثمان بن سعيد الدارمي على أهل البدع» وغيرها الكثير .

أما قوله (ص٦، ٧): (وهذه الرسائل - أي الشمولية- من مهماتها تقريب وجهات النظر بين المختلفين من أهل العلم والتقوى ليلقوا أسلحتهم الموجهة إلى نحورهم، وليتفرغوا لأعدائهم الحقيقيين ولتجتمع وراءهم الأمة الإسلامية. ولقد جرت محاولات جادة لجمع علماء المسلمين تحت لواء واحد، خصوصا في هذا العصر على إثر انتشار الصحوة الدينية وتعدد الجماعات الإسلامية، ولكن حال دون النجاح في ذلك اختلاف بعض أهل العلم الذي تولد عنه اختلاف القلوب، وكانت العقبة الكبرى التي تحول دون اجتماعهم هي الخلافات العقدية التي انبنى عليها حكم بعضهم على بعض بالضلال والابتداع، وإذا كان أهل العلم يضلل بعضهم بعضا فإن اجتماعهم على عمل واحد يكون بعيد المنال، فكان من أهداف هذه الرسائل رفع معالم واضحة لعلماء الأمة؛ كي يلتقوا عليها وإن لم يتفقوا على رأي واحد، تمهيداً لجمعهم تحت رابطة واحدة ولواء واحد). انتهى. فقوله هنا يدل على تحامله على العلماء الذين يردُّون على المخالفين، وإن كان الرد على المبتدعة المخالفين لعقيدة أهل السنة والجماعة، محاولاً جمع الجماعات

الإسلامية تحت لواء واحد، وعلى اختلاف عقائدهم. . . مقررا أن الاجتهاد في الدين يشمل العقائد كما يشمل الأحكام الفقهية، ويرم هذا الظن بالصحابة فقال في (ص٧):

(وهذه الرسائل - أي الشمولية - تهدف إلى بيان أن الاجتهاد في الدين يشمل العقائد كما يشمل الأحكام الفقهية، اقتداءً بالصحابة . . .) انتهى.

أقول وبالله التوفيق: إن الواجب على المؤلف - عفا الله عنه - أن يجعل ما أنزل الله من الكتاب والسنة أصلا في جميع الأمور، ثم يرد ما تكلم فيه الناس إلى ذلك، لا أن يجعل الدعاة مؤصلون لقواعد دعوية، يعملون بمقتضاها في الدعوة إلى الله، مثل قاعدة «تقريب وجهات النظر بين أهل العلم الديني» أو بمعنى آخر؛ يعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه، كما ذكرها المؤلف في (ص١٥)، مع إنه قال: هناك ما يسوغ فيه الاختلاف، ولكن على حسب قاعدته؛ أن الخلاف يسوغ ويشمل العقائد كما يشمل الأحكام، فوسع عفا الله عنه هذه القاعدة إلى هذا الحد الذي يفهم منها؛ حَشْرُ مقولات أهل البدع مع مقولات أهل السنة، فضلا أن هذه القاعدة مجملة وليست مسلّمة، لأنها قد تُستغل من أهل البدع، والله المستعان. انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٦/ ١٠٣و ١٢/ ١١٤).

فالواجب على صاحب «الرسائل الشمولية» ألا يطلق ألفاظًا مجملة؛ مثل هذه القاعدة: { تقريب وجهات النظر } و { يعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه } التي تحتمل حقا وباطلا، وخاصة أنّه قرر وأقر الخلاف في المسائل العقدية، ثم هذا الكلام منه عفا الله عنه يتولد عنه هجران ألفاظ النصوص السنِّية، إلى ألفاظ حادثة بِدْعِيَّة، تؤول غالبا إلى فسادٍ في الدين ما يعلمه إلا الله رب العالمين، أما لو استخدم الألفاظ الشرعية، المبنيّة على النصوص الإسلامية؛ لكان فيها العصمة والحجة البريئة من الخطأ والتناقض، والبعيدة عن التعقيد والاضطراب، وكأن المؤلف في ثنايا كلامه المتقدم ذِكره، يسلّم ويذعن للاختلاف، بحجة أن الله أراده، ولكنه التبس عليه فلم يفرق بين ما أراده الله وقضاه كونًا، وما أراده وقضاه شرعًا، فالخلاف الذي قضاه الله وأراده كونًا فلحكمة بالغة؛ حتى يتميز المتّبع من المبتدع، ويقوم المتّبع بمجاهدة المبتدع بالحجة والبيان.

وهذا الخلاف لا يختص بأهل السنة والمبتدعة، بل حتى أهل السنة؛ فلابد أن يقع بينهم تنازع واختلاف، كما قال ابن تيمية في «الفتاوى» (٤/ ١٦٧): (فلابد في الطوائف

المنتسبة إلى السنة والجماعة من نوع تنازع، لكن لا بد فيهم من طائفة تعتصم بالكتاب والسنة، كما أنه لابد أن يكون بين المسلمين تنازع واختلاف، لكنه لا يزال في هذه الأمة طائفة قائمة بالحق، لا يضرها من خالفها، ولا من خذلها حَتى تقوم الساعة). انتهى.

أما الخلاف الذي يفرق في الدّين، والذي يحزّبهم على مناهج؛ هو سمة أهل البدع؛ كما قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾ (الأنعام: ١٥٩).

قال البغوي في «شرح السنة» (١/ ١٠): هم أهل البدع والأهواء. وقال ابن المبارك: (أهل الحق ليس فيهم اختلاف) الطبري في «جامع البيان» . وقال ابن تيمية في «الاستقامة» (١/ ٤٢): (والبدعة مقرونة بالفرقة كما أن السنة مقرونة بالجماعة، فيقال: أهل السنة والجماعة كما يقال: أهل البدعة والفرقة). انتهى.

ونحن نقول: إن أهل السنة يأخذون القواعد من الكتاب والسنة، فتكون قاعدتهم تبعا للكتاب والسنة، أما أهل البدع؛ فبخلاف هذا، فيقعّدون القواعد، ثم ينظرون في الكتاب والسنة، لذلك تجد التحريف للنصوص، وتأويلها وتنزليها على غير مراد الله ورسوله، مثل تلك القاعدة: «ويعذر بعضنا البعض فيما اختلفنا فيه». . . فالخلاف شرّ كلّه، وليس فيه رحمة ولا توسعة، كما يظن المؤلف عفا الله عنه، قال تعالى: ﴿**وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ**﴾(هود: ١١٨، ١١٩). فأهل الرحمة ليسوا من أهل الاختلاف، قال ابن حزم في «الإحكام» (٥ / ٦٦): قال ابن وهب: (سمعت مالكا يقول فيها - أي الآية - : الذين رحمهم الله لم يختلفوا) انتهى.

فالاختلاف مذموم حتى ولو كان الاختلاف في الظاهر؛ حتى في الأمكنة فجاء عن أبي ثعلبة الخشني ﷺ قال: (كان الناس إذا نزلوا منزلا تفرقوا في الشّعاب والأودية، فقال الرسول ﷺ : «**إنَّ تفرقكم في هذه الشِّعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان**»؛ فلم ينزلوا بعد منزلا إلا انضم بعضهم إلى بعض، حتى يُقال: لو بُسِطَ عليهم ثوبٌ لعمَّهم). رواه أبو داود بإسناد جيِّد.

فأقول: فكيف إذا كان الخلاف فيما هو أعظم من هذا التفرق؛ كالخلاف في العقائد

والمسائل العلمية والعملية. . . . ؟! وكيف بالمسائل التي لم يقم عليها دليل من الكتاب والسنة مثل مسائل اتخذتها الأحزاب أصولا يسيرون ويسيّرون الأتباع عليها؟! فالواجب الذي علينا أن نعتقده أن الحق واحد، وماعداه فخطأ، انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٣/ ٤٤)، وانظر: «أضواء البيان» للشنقيطي(٤/ ٦٥٠).

قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ﴾ (يونس: ٣٢). وقال ﷺ: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم فأخطأ فله أجر واحد**» متفق عليه.

فهذا حديث صريح في أن الحق في جهة واحدة، للتصريح بتخطئة القول المخالف. وحديث «الفِرَق»، أكثر من المشهور عند العلماء. فالأمة افترقت إلى ثلاثٍ وسبعين، والناجية واحدة، وهى التي على الحق الواحد، فلا يتعدد الحق بتعددهم، وإن كثر المخالفون.

ملاحظات على الرسائل في أن كل مجتهد مصيب:

أما زعم المؤلف أن كل مجتهد مصيب، وينسبه إلى ابن تيمية كما في (ص٣٨)، فأقول: إن ابن تيمية -رحمه الله- لم يقصد الذي زعمه المؤلف، فابن تيمية -رحمه الله- تعالى كان يرد على الجهمية والمعتزلة بكلام طويل، فانظره وراجعه في مكانه، الفتاوى (٣/ ١٢٦-١٢٧)، أما هذه الكلمة «وكل مجتهد مصيب» فلها أصول بدعيّة، قال القاضي أبو الطيب الطبري في «البحر المحيط»(٦/ ٢٤٣): (وهذا مذهب معتزلة البصرة، وهم الأصل في هذه البدعة، وقالوا هذا لجهلهم بمعاني الفقه، وطرقه الدالة على الحق الفاصلة بينه وبين ما عداه من الشبه الباطلة). انتهى.

أما نسبة هذه العبارة عن الشافعي فغير صحيحة، انظر: المرجع السابق (٦/ ٢٤٢).

ملاحظات على فهم صاحب الرسائل لاختلاف الصحابة:

أما ما ذكره المؤلف في نماذج اختلاف الصحابة في (ص١٦)، فقد أبعد النجعة، وادّعى أن الصحابة اختلفوا كثيرًا، حتى في بعض أمور العقيدة.

فأقول: إن الصحابة لم يختلفوا في المسائل الجليّة؛ لأن بيان مثل هذا كان ظاهرًا بينهم، وإنما وقع الخلاف بينهم في بعض المسائل الفرعية؛ كالطلاق، والفرائض، وغيرها،

وكان ذلك بسبب الاختلاف في استخراج دقائق معاني الشرع، فلم يقع بينهم نزاع في مسائل الإيمان، والقدر، والأسماء والصفات، والوعد والوعيد.

قال الشاطبي في «الاعتصام»(٢/ ١٩١): (فإن الخلاف من زمن الصحابة إلى الآن واقع في المسائل الاجتهادية). انتهى.

وكذا شيخ الإسلام ابن تيمية في «منهاج السنة النبوية» (٦/ ٣٣٦)، وفي «الفتاوى» (١٣/ ٦٤)، (٦/ ٣٩٤)، (١٦/ ٢٧٤): حيث قال: (وهكذا الفقه، إنما وقع فيه الاختلاف لما خفي عليهم بيان صاحب الشرع، ولكن هذا النزاع يقع في الدقيق منه، وأما الجليل فلا يتنازعون فيه، والصحابة أنفسهم تنازعوا في بعض ذلك، ولم يتنازعوا في العقائد، ولا في الطريق إلى الله، التي يصيبها الرجل من أولياء الله الأبرار المتقين). انتهى.

فمثلاً نقول: تنازع الصحابة في رؤية النبيﷺ ربّه ليلة الإسراء، فهناك انفكاك في الجهة، فمن أثبت الرؤية؛ أراد القلبيّة، ومن نفى؛ أراد البصريّة، والقولان متفقان. انظر: «منهاج السنة» لابن تيمية -رحمه الله- (٦/ ٣٢٨)، الصحابة كانوا صحيحي الاعتقاد؛ فلذلك كانوا أصحاب إدراك قوي ومصيبون للحق والصواب، أما الخطأ والغلط الذي يحصل لبعض أئمة أهل السنة في بعض المسائل فهو من لوازم بشريتهم وانتفاء العصمة عنهم، فالصحابة رضي الله عنهم هم أكبر من اعتنى بالعقيدة؛ لأنهم علموا أن الرسل إنما بعثوا لذلك كما قال عمرو بن العاص رضي الله عنه : (إن أفضل ما نعد: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله) رواه مسلم، أما مؤلف الرسائل الشمولية فلم يفهم كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، وإلاّ فكلام شيخ الإسلام عاصم من الخلاف والاختلاف لمن فهمه، لأن ابن تيمية قد فهم كلام السلف، وعلى رأسهم الصحابة رضي الله عنهم ، فكان -رحمه الله- متتبعا ومستقرئا لآثارهم. فقال -رحمه الله- في «منهاج السنة» (٦/ ٣٦٨): (وكما أنه لم يكن في القرون أكمل من قرن الصحابة، فليس في الطوائف بعدهم أكمل من أتباعهم، فكل من كان للحديث والسنة وآثار الصحابة أتبع؛ كان أكمل، وكانت تلك الطائفة أولى بالاجتماع والهدي والاعتصام بحبل الله وأبعد عن التفرق والاختلاف والفتنة، وكل من بَعُدَ عن ذلك كان أبعد عن الرحمة وأدخل في الفتنة) انتهى.

فأقول: هذا الذي نظنه في صحابة رسول الله ﷺ ؛ فقد كان اختلافهم يسيرًا وفي

مسائل الاجتهاد وليس في شيء من قواعد الإسلام، بل أقول: إنه لا يسع مسلما أن يخرج عن طريقهم وفهمهم وإلا فالوعيد الشديد له كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾(النساء: ١١٥). وانظر قول الإمام البربهاري في «شرح السنة» (ص٦٧) ففيه كلام نفيس والله المستعان.

ملاحظات على صاحب الرسائل في فهم حديث بني قريظة:

ثم إن المؤلف عفا الله عنه يستدل في (ص١٦) بحديث الصلاة في بني قريظة ليكون له عمدة لكل مخطئ مجتهد وإن كان في العقيدة، وأن الاجتهاد في أمور العقيدة كان معروفا عند الصحابة على حسب تقديره فقال: (وهذا في الأحكام العَمَلِيَّة - أي في قصة بني قريظة - ولا فرق بين الأحكام العمليَّة والعقائد العِلْمِيَّة) انتهى.

فأقول والله المستعان: قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في «الفتح» (٧/٤٠٩، ٤١٠): (ثم الاستدلال بهذه القصة على أن كل مجتهد مصيب على الإطلاق ليس بواضح وإنما فيه ترك تعنيف من بذل وسعه واجتهد، يستفاد منه عدم تأثيمه...) ثم ذكر كلاما مهما فليراجع.

قلت: إن الحديث ليس فيه أن النبي ﷺ أقر الخلاف، وإنما فيه أنه ﷺ لم يعنف على أحد وإنما صوب أحدهما، ثم رجع الصحابة إلى قول النبي ﷺ بعد التنازع.

أما من يعذر كل من خالف الكتاب والسنة باجتهاده على الإطلاق؛ فهذا فيه نظر، فالمسائل المنصوصة من الكتاب والسنة لا خيار لأحد في العدول عنها، فالواجب عند الاختلاف التوجه إلى الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع والقياس على الأصول، فالاختلاف على المسائل المنصوصة لا يجوز بحال وإنما يأتي الخلاف في مسائل الاجتهاد؛ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لا عذر لأحد في ضلالة ركبها حسبها هدى، فقد بُيِّنَت الأمور وتَبَيَّنَت الحُجَّة وانقطع العذر) السنة للبربهاري (٢٢)، فالحق لابد له من تحري، ولا يُتحرى إلا بالكتاب والسنة وعلى فهم السلف الصالح لهذه الأمة؛ الذين جعلوا الكتاب والسنة إماما لهم وطلبوا الدِّين من قبلهما، فلا يرد الدين المنقول بالعقل القاصر، أو الذوق

أو الرأي، حتى ولو أن الصحابة اختلفوا، وخطأ بعضهم بعضا، ولكنهم رجّاعون إلى الحق إذا رأوه عند غيرهم، ولم يتمسكوا بالباطل إذا لم يصيبوا الحق، فانظر لزاما كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» تجده كافيا وافيا راويا للغليل ومداويًا للعليل وسادًّا للتخييل، والله الهادي إلى سواء السبيل.

وأما إذا تكلمنا عن الخلاف بين الصحابة؛ فلا يظن أحد أن فيه توسعة! كما نسمعه عند كثير من الدعاة فضلا عن غيرهم، فالتوسعة إنما تكون في اجتهاد الرأي لا غير. أما مع وجود الأدلة من الكتاب والسنة فلا رأي مع الدليل، فلا يعذر الناس في أقوالهم وأفعالهم ومذاهبهم إذا لم تستند إلى دليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فلا يحتج أحد بالخلاف، وإنما الحجة بالآثار.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٢٦/ ٢٠٢): (وليس لأحد أن يحتج بقول أحد في مسائل النزاع وإنما الحجة: النص والإجماع ودليل مستنبط من ذلك تقرر مقوماته بالأدلة الشرعية لا بأقوال بعض العلماء؛ فإن أقوال العلماء يحتج لها بالأدلة الشرعية لا يحتج بها على الأدلة الشرعية) انتهى، وقال الحافظ ابن عبد البر -رحمه الله- في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٢٢٩): (الاختلاف ليس بحجة عند أحد علمته من فقهاء الأمة إلا من لا بصر له ولا معرفة عنده ولا حجة في قوله) انتهى.

وقال الخطابي في «أعلام الحديث» (٣/ ٢٠٩٢): (وليس الاختلاف حجة، وبيان السنة حجة على المختلفين من الأولين والآخرين) . انتهى.

سبب الاختلاف هو التعالم:

إن الباحث عن سبب الاختلاف، سوف يجد أن سببه الأكبر والأول هو القول على الله بغير علم قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الإسراء: ٣٦). فهذا بخطئه غير معذور قال ﷺ: «**القضاة ثلاثة...... ومنهم رجل قضى للناس بجهل فهو في النار**»، رواه أبو داود وابن ماجه وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى»(١٩/ ١٤٢): (إن الأحكام الشرعية التي نصبت عليها أدلة قطعية معلومة، إذا بلغت هذه الأدلة للمكلّف

بلاغا يمكنه من اتباعها فخالفها تفريطا في جنب الله وتعديا لحدود الله فلا ريب أنه مخطئ آثم. . .). انتهى.

قلت: أما من استفرغ وسعه في تحري الحق وحسن قصده واتبع سبيل المؤمنين في طلب الحق من الكتاب والسنة، وكان جامعا لآلة العلم التي تمكنه من معرفة الحق، فأخطأ في إدراك الصواب؛ فهذا خطؤه مغفور بل مُثاب على اجتهاده وتقواه كما قال ﷺ: «**إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر**» متفق عليه. وهكذا كان السلف الصالح كانوا يقبلون الحق ممن أورده عليهم وإن كان صاحبُ الحق صغيرًا، انظر: فتاوى ابن تيمية (٣/ ٤١، ٤٢).

ملاحظات على تباكي المؤلف من الردود على المخالفين:

ما تباكي مؤلف «الرسائل الشمولية» حول ردود العلماء على مخالفيهم، ويقول إن هذه الردود فرقت المسلمين. . . . كما في (ص١٣) وما بعدها فأقول وبالله أستعين: إن تبيين الأخطاء واجب، ولا بد أن يقيم الله فيها من يُبيِّنُ الحق ويحذر من الخطأ، انظر كلام شيخ الإسلام في الفتاوى (١٩/ ١٢٣).

فتبيين الأخطاء هو في الحقيقة إنكار للمنكر لتُحفظ الشريعة وتُصان وإن كان المخطئين علماء من أهل السنة، فكيف إن كانوا من أهل البدع والأهواء المضلة ؟! فأهل السنة يردّون على بعضهم البعض ولكن بالكتاب والسنة ودلالتهما، ولو تُرك الرد على الأخطاء لعلا الباطل على الحق، والخطأ على الصواب، والغي على الرشاد، والسنة على البدعة والله الهادي.

أما نحن فموقفنا مع أهل البدع يختلف عن موقفنا مع أهل السنة، بل موقفنا مع المبتدعة أكبر من موقفنا مع اليهود والنصارى أهل الحرب لديار المسلمين ففسادهم للقلوب لا يكون إلا تبعًا، ومعنى هذا الكلام أن فساد الكفار ظاهر وفساد المبتدعة لا يظهر لكل أحد وهذا هو الواقع لمن فقهه. انظر لزاما: فتاوى ابن تيمية -رحمه الله- (١٨/ ٢٣٢).

أما ما زعمه صاحب كتاب «الرسائل الشمولية» أن الرد على المخطئين يفرق للوحدة والاتفاق؛ فهذا زعم لفهم مقلوب، فالبدع والأخطاء هي السبيل إلى الفرقة المخرجة عن

الصِّرَاط المستقيم، فالطرق المعوجة لا يحصل فيها الائتلاف أبدًا؛ فلا تُصان الشريعة من التحريف إلا بالرد على من خالفها. قال عاصم الأحول لقتادة: (لا أرى العلماء يقع بعضهم في بعض، فقال قتادة: يا أحول! أولا تدري أن الرجل إذا ابتدع بدعة، فينبغي لها أن تذكر حتى تُحذر) ذكره اللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة» (٢٥٦)، ونحن إذا نظرنا إلى ردود العلماء المتقدمين والمتأخرين فهي أكثر مما تحصى. فإظهار الحق لا يفرق الصفوف ولا يفسد القلوب، فالذي يعتقد أن مسائل الخلاف مثل مسائل الاجتهاد؛ فقد دخل عليه اللبس، انظر: قول ابن تيمية في هذا في «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ١٦٩).

فالذي خالف الكتاب أو السنة أو الإجماع؛ فلزم الإنكار عليه بالرد عليه، وهذا ليس فيه تفرقة للأمة، بل فيه تجميع على الكتاب والسنة، أما إبقاؤهم على ما هم عليه؛ فهذا هو الاختلاف وعدم الائتلاف، وهو قسوة القلوب، وما زال العلماء قديما وحديثا ينكرون على من خالف الكتاب والسنة والإجماع، ولو لم ينكروا مثل هذا؛ لأدّى إلى تبديل الدين وتغييره، انظر: كلام الحافظ ابن رجب في «الفرق بين النصيحة والتعيير» (ص٢٦-٣٣) حيث ذكر -رحمه الله- الإجماع على الرد لإظهار الحق، وأنه في ذلك إظهار الدين، وكونه كله لله؛ لهذا يجب رد المقالات الضعيفة وتبيين الحق في خلافها بالأدلة الشرعية، بل إن هذا الفعل مما يحبه العلماء ويمدحونه، ويثنون على المتصدي له، فنحن دائما وأبدا نريد إظهار الحق، ولا بد من حبه وإظهاره للمسلمين، وهو من النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، ولكن بيان الخطأ يكون بالأدب مع العلماء والاعتذار إليهم، انظر كلام ابن تيمية (٢٦/ ٢٠٢)، في أن أقوال العلماء يحتج لها بالأدلة الشرعية، ولا يحتج بها على الأدلة الشرعية، وكذلك انظر كلام الخطابي في «أعلام الحديث»(٣/ ٢٩٢) قال -رحمه الله-: (وليس الاختلاف حجة، وبيان السنة حجة على المختلفين من الأولين والآخرين). انتهى. وقد تقدم في أعلاه، أما علماء البدعة؛ فالرّد عليهم بطريقة أخرى معلومة عند أهل السنة .

ملاحظات على تقريب وجهات النظر عند صاحب الرسائل:

نعود إلى القاعدة التي قعّدها صاحب كتاب «الرسائل الشمولية» في (ص١٥) وهي:

(تقريب وجهات النظر بين أهل العلم الديني ، وأن ينظر بعضهم إلى بعض نظرة محبَّة وتقدير وأن يعذر بعضهم بعضا فيما اختلفوا فيه مما يسوغ فيه الخلاف وأن يحكموا بأنهم أخطؤوا إذا كانوا من أهل الاجتهاد . . . .) .انتهى .

فأقول : إن هذا المسلك البدعي يقتضي إعْذار المذاهب المختلفة ، وتسويغ خلافها ، وإقرار الجميع على ما هم عليه ، وخاصة أن المؤلف قد ذكر كما تقدم أن الخلاف عنده يسوغ حتى في المسائل العِلْمِيَّة العَقَدِيَّة ، وليس هذا فقط ؛ فإن هذا المسلك يقتضي أيضا العذر لكل مخالف ، ويقرر البدع والضلال ويقويها ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في «الفتاوى» (١٢/ ٤٦٦): (وقسم آخر : أقوام لا يعرفون اعتقاد أهل السنة والجماعة كما يجب ، أو يعرفون بعضه ويجهلون بعضه ، وما عرفوه منه قد يكتمونه ولا يُبيِّنونه للناس ولا ينهون عن البدع ولا يذمُّون أهل البدع ويعاقبونهم ، بل لعلهم يذمون الكلام في السنة وأصول الدين مطلقا ، وقد لا يفرقون بين ما يقوله أهل السنة والجماعة وما يقوله أهل البدع والفرقة أو يقرون الجميع على مذاهبهم المختلفة كما يقر العلماء في مواضع الاجتهاد التي يسوغ فيها النزاع ، وهذه حال كثير من المرجئة وبعض المتفقهة والمتصوفة والمتفلسفة) انتهى .

وقال الشاطبي في «الموافقات» (١٤٧/٤) : (. . . كالإنسلاخ من الدين بترك اتباع الدليل إلى اتباع الخلاف ، وكالاستهانة بالدين ؛ إذ يصير بهذا الاعتبار سيّالا لا ينضبط ، وكترك ما هو معلوم إلى ما ليس بمعلوم). انتهى ، فتقريب وجهات النظر بين هؤلاء وهؤلاء يوجب الألفة مع الوقت ، ويوجب السكوت عن منكرات المبتدعة أو المخالفين للكتاب والسنة بالرأي والهوى ، وهذا الاعتذار لا شك أنه يزيد من تفرق الأمة ويزيد الملل والنحل والسبل ، ويضيع الطريق إلى الصراط المستقيم ، فيصير الدين كدين النصارى واليهود الذين ابتدعوا وشرعوا بما لم يأذن به الله ؛ فغضب الله عليهم وأضلهم .

قال ابن القيّم -رحمه الله- في «التفسير القيّم» (ص١٤) : (إن الطريق الموصل إلى الله واحد وهو ما بعث به رسله وأنزل به كتبه ولا يصل إليه أحد إلا من هذا الطريق ولو أتى الناس من كل طريق واستفتحوا من كل باب فالطرق عليهم مسدودة والأبواب عليهم مغلقة إلا من هذا الطريق الواحد فإنه متصل بالله موصل إلى الله) انتهى .

وعليه فالواجب على كل من أراد أن يجمع كلمة المسلمين أن يجعل كلام الله ورسوله هو الأصل والإمام المقتدى به، أما ما سوى كلام الله ورسوله فلا يُجعل أصلا بحال، فلا يعذر كل من خالف؛ بأن يبقى على رأيه الشاذ أو على نحلته الفاسدة أو ملته المضلة، فمن أراد أن يعذر هؤلاء فقد ضاد الشرع وضاد الرجوع إلى الكتاب والسنة.

قال الله تعالى: **﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾** (النساء: ٥٩)، فهذا هو الحد الفاصل بين المتبع والمبتدع، فالمتبع لا يسعه أن يقول غير الحق، أما المبتدع فيسوّغ جميع الأقوال الباطلة، ويعذر أصحابها بدعوى تنظيم الصف والمحبة والألفة والاجتماع و... و.... .. إلخ .

فبهذا الأمر المبتدع لا شك أن فيه تعطيل لأوثق عرى الإيمان وهو الولاء والبراء، وليس هذا فقط بل سوف يقضي على السنّي المتميّز.

قال العلامة بكر أبو زيد في رسالته «هجر المبتدع» (ص٥): (كسر حاجز الولاء والبراء بين المسلم والكافر وبين السُّني والبِدْعي وهو ما يسمى في التركيب المولد باسم «الحاجز النفسي» فيكسر تحت شعارات مضلة مثل «التسامح» و«تأليف القلوب» و«نبذ الشذوذ» و«التطرف والتعصب» و«الإنسانية» ونحوها من الألفاظ ذات البريق والتي حقيقتها مؤامرات تخريبية تجتمع لغاية القضاء على المسلم المتميز وعلى الإسلام) انتهى .

قال ﷺ : **«أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله»** «السلسلة الصحيحة» للألباني (٩٩٨).

فاحذر أخي المسلم من أن تكسر هذا الحاجز؛ فتَضِلَّ وتُضِلَّ.

تحريف كلام شيخ الإسلام على حسب الانتماءات للجماعات:

أما عن نُقُول المؤلف في رسائله الشمولية لكلام شيخ الإسلام ابن تيمية؛ فهو نقل لكلام مجمل ومتشابه، فلا يجوز أن يُحَمّل كلام شيخ الإسلام على المعاني الفاسدة، بل يربط كلامه كله ببعضه، فندع المتشابه ونتبع المحكم منه، فشيخ الإسلام له ردود كثيرة في كتبه على المخالفين للكتاب والسنة، وكان يشدّد فيها على المخالفين، ويحكم عليهم بأحكام شديدة وجريئة، بل ويوجب -رحمه الله- التعاون في نصر الحق والدعوة إليه،

فما كان -رحمه الله- يعذر المبتدعة على الإطلاق، بل كان يُفَصِّلُ في ذلك، وكان رحمه الله ينكر بحكمة وموعظة حسنة ويجادل بالتي هي أحسن إلى التي هي أقوم، وما كان -رحمه الله- يعذر المخالف على الإطلاق، بل كان يُخْضِعُهُ للحق، وكان يقول للمخطئ: أخطأت والدليل كذا وكذا، فرحم الله شيخ الإسلام رحمة واسعة.

أما عن المُتَمَسِّحِين بشيخ الإسلام، ويجْرون موازنة بينه وبين بعض من ينتمون إليه، فقد كُشفت أستارهم عند العلماء العاملين انظر: كتاب: «دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة» للشيخ صلاح الدين مقبول أحمد تقديم الشيخ بكر أبو زيد.

فكتاب «الرسائل الشمولية» كتاب يتألف من ٥٠٠ صفحة وفيه الكثير من الملاحظات التي يجب أن يُنبه عليها بل ويحذر منها، ونرجو من الله أن يرينا وإياه الحق حقا ويرزقنا اتباعه... آمين.

ولعلنا إذا عَلَّقْنا على كل ما في الكتاب فسوف يأخذ منا كثيرًا من وقتنا، ولكن سوف نختصر قدر المستطاع، والله المستعان وعليه التكلان، ولكن أوصي إخواني المسلمين وخاصة في هذا البلاد، أن يحذروا الأفكار الوافدة التي تضعف الدين وتمزق الشَّمْل، وتُنسي أو تصرف ما كان عليه السلف الصالح من سلامة في العقيدة والفكر والاتجاه والاهتمام، والله الهادي إلى سواء السبيل.

كما أوصيهم بأن يلزموا الطريق الذي ارتضاه ربنا لنا وهو طريق واحد وهو الطريق المنضبط بفهم السلف الصالح للكتاب والسنة؛ لا بالثورات ولا بتعدد الجماعات ولا بتكفير المسلمين الأحياء منهم ولا الميتين، وهذا الكلام الذي أقوله هو من الأصول التي من حُرمها حُرم الوصول.

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾(هود: ٨٨).

منهج الموازنات البِدْعِيّ:

ادّعَى المؤلف -عفا الله عنه- في (ص٤٩) أن شيخ الإسلام ابن تيمية يقول بمنهج الموازنات البدعي الذي ما عرفه السلف، ولو عرفوه لحاربوه ولأَنْكَرُوه.

فشيخ الإسلام بريء من هذه التـهمة، بل كان شيخ الإسلام مجـاهدًا كبيرًا رادًّا على أهل البدع بعدل وإنصاف.

قـال -رحمـه الله- في كـتـابه: «نقض المنطق» (ص١٢٠): (الرّاد على أهل البـدع مجـاهد حتى كـان يحيى بن يحـيى يقول: (الذب عن السنة جـهاد) وانظر إلى كـتابه: «الاحتجاج بالقدر» (ص٥٠)، وأيضًا في كتـابه «درء تعارض العقل والنقل»، وكتابه «بيان تلبـيس الجهمـية»، و«منهـاج السنة النبـويّة»، و«الحمويّة»، و«الـواسطيّة»، و«التـدمريّة»، و«التوسل والوسيلة»، و«الرد على البكري»، و«الرد على الأخنائي» ففي كل هذه الردود: كان الرَّد بعنف على المبتدعة دون ذكر أي من محاسنهم، فهل نتهمه -رحمه الله- في هذه الكتب بعدم الإنصاف كـونه رد عليهم ولم يبين شيئًا من مـحاسنهم؟! أم نقول: إنه حكم عليهم بحـكم جائر ؟! أم نقول: إنه مـا اتبع الكتاب والسنة عندمـا ردَّ عليهم ولم يعـتذر لهم؟ وهل نقول هذا الكلام على البخاري في كتابه «خَلْق أفعال العباد»؟! وهل نقول هذا الكلام على الإمـام أحمـد وعلى ابنه عـبد الله؟! أم نـقول على الخـلال ؟! أم على ابن خزيمة؟! أم اللالكائي وابن بطة والبـغوي وابن ماجه في مـقدمته؟! أم أبى داود في كـتابه «السنة في السنن» ؟! أم ابن القيم في صواعقه المرسلة على المبتدعة ؟!

أمْ نرد على كل السلف بأنهم لم ينصفوا عندما ردوا على أهل البدع عندما لم يوازنوا بين الحسنات والسـيئات؟ أم نكذب عليـهم ونقولهم مـا لم يقولوا ؟! أم نتبع المتـشابه من كلامـهم والمجمل من عباراتهم؟! ثـم نلوي أعناق نصوصهم فنجـريها أو نخضعـها على حسب ما نهوى أو إلى ما ننتمي إليه من الـفرق أو الأحزاب المنتشرة في ساحات المسلمين التي هي في الحقيقـة أحزاب وفرق تنتمي إلى أشخاص أسـسوها بواقع ظروف وملابسات أحاطت بهم، فكانت لهم أهداف وغايات يسـعون بتحقيقهـا بواسطة تلك المناهج المختلفة فيما بينها، فلا يمكن أن يكون عبد مسلم صادق - تعلم على منهج السلف الصالح وعلى علماء سلفيين - يقـر بمنهج الموازنات البدعي هذا، فهو منهج هدام مـصادم لمنهج السلف الصالح، فهـو يميت التمييـز بين أئمة الهدى وبين أئمة الهـوى والضلال، بل يميت ويزيل التميز بين الطائفة المنصورة الناجيـة وبين فرق البدع والضلال، انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمـية (٢٤/ ٢٩٢) في «هجـر المبتـدع»، وانظر: «شرح السنة» للبـربهاري (١/ ٢٢٧)

حيث قال: (وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة على هذا مجمعين متفقين على معاداة أهل البدع ومهاجرتهم) انتهى، وانظر كذلك إلى الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٢/ ٤٧٧)، و«جامع بيان العلم» لابن عبد البر (٢/ ١١٧)، عن المبتدعة وشهادتهم، وانظر: «أصول السنة» للإمام أحمد بن حنبل (ص٢٢)، و«اجتماع الجيوش الإسلامية» لابن القيم (ص١٧٨)، و«شرح الطحاوية» (٢٠١ و ٣٥٧)، وفتاوى ابن تيمية (٢٤/ ١٧٢) في معاملة أهل البدع، وانظر إلى كلام ابن تيمية في اعتبار المعتزلة والأشعرية من فروع الجهمية في «الرسالة المدنيّة» (ص٣٨)، وكتاب «درء تعارض العقل والنقل» (٢/ ١٩١ و ٢٠٩ و ٢٢١) و «منهاج السنة» (٥/ ٤٢٨).

ولكن المؤلف للرسائل الشمولية هداه الله يأخذ ما لم يُرده شيخ الإسلام، والله المستعان.

الأشاعرة والماتريدية عند مؤلف الرسائل:

أما عن ظن المؤلف في (ص٦٢-٧١)، في أن الأشاعرة الماتريدية كانوا مقبولين عند أهل الحديث في بداية القرن الرابع .

فهذا الكلام ليس على إطلاقه، فالأشاعرة أصحاب عقيدة مخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة، كما يقول عنها شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٦/ ٥٥): (والأشعرية غلب عليهم أنهم مرجئة في باب الأسماء والأحكام، جبرية في باب القدر، وأما في الصفات فليسوا جهميَّة محضة بل فيهم نوع من التَّجَهُّم) انتهى.

أما تشكيك المؤلف بكتاب الإبانة لأبي الحسن الأشعري ففيه نظر، نعم كان الأشعري رحمه الله معتزليا في أول حياته، ثم كلابيّا في منتصف حياته، وهذه العقيدة التي ينتسب إليها الأشاعرة في هذا الزمان؛ وهذه العقيدة الكلابيّة هي إثبات الصفات العقلية وتأويل الصفات الخبرية، أما في آخر حياته فأعرض عن طريقة الكلابية إلى طريق أهل الحديث في إثبات الصفات جميعها من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل. انظر: «إتحاف السادة المتقين» للزبيدي (٢/ ٤).

أما الماتريدية فهم زملاء للأشاعرة، ولكن أمرهم غير مستور على العلماء، وإن حاول

المُلَبِّسون أن يُلَبِّسوا، أو المُدَلِّسون أن يُدَلِّسوا، ولقد كشف أستار الماتريدية بالنقد التفصيلي الشيخ الشمس السلفي الأفغاني في رسالته الماجستير القيّمة، فجزاه الله خيراً؛ فقد بيَّن تاريخ هذه الفرقة وأدوارها ونفوذها وسمومها وأخطارها وأضرارها - التي لا تقل خطراً عن أضرار الأشعرية - في ثلاثة مجلدات ضخمة.

ولا شك أن عقيدة الأشاعرة والماتريدية عقيدة ضالّة، ومن أعظم ضلالها وإضلالها تظاهر أهلها بمظهر أهل السنة، وينتسبون إليهم، فكان من المُنبغي على المؤلف أن يحذر منهم في رسائله المسماة بالشمولية، لا أن يخفف الوطأة عليهم فيقول في (ص٦٧): (... مع استبعاد قضية البراءة من المخالفين ووصفهم بالابتداع والضلال فضلا عن الفسق والكفر) انتهى

تناقض المؤلف في رسائله تجاه دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية:

أما زعمه في (ص٦٨) أنه: (ليس من الحكمة ولا من فقه الدعوة أن نعيد المعارك العلمية التي خاضها شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا العصر...) انتهى.

فهذا هو عين التناقض عند المؤلف عفا الله عنه؛ فهو يستدل بكلام شيخ الإسلام على الذي يهواه، أما إذا لم يوافق هواه نقضه، مع أن الذي يهواه غير مراد عند شيخ الإسلام -رحمه الله- فهنا في هذه الفقرة من رسائله الشمولية قد بين حاله وفكره غفر الله له، ونحن ما ندينه إلا من كلامه وما سطره في رسائله؛ والذي يظهر من فكر المؤلف عفا الله عنه أنه يدعو إلى منهج القطبيّة؛ الذي يدعو إلى شرعية الانتماء إلى الأحزاب والجماعات الإسلامية؛ حيث يظنون أن الجماعات الإسلامية عبارة عن مرحلة في الطريق إلى جماعة المسلمين - هذا بزعمهم - وأنا ما أظن أن المؤلف لا يعلم حال الجماعات الإسلامية وحال مؤسسيها - فهو من علماء الواقع كما يزعم - وإلا فهي مدونة في كتب كثيرة، منها كتب الردود التي ينكر عليها ويقول هي انشغال... فإن كان يعلم الحال ثم دس على الناس؛ فقد خان الله ورسوله والمؤمنين عامة، والعلماء وطلبة العلم خاصة، بترويجه لذلك الفكر القطبي وعدم الإنكار عليه . انظر: «القطبية هي الفتنة فاعرفوها» للعدناني.

تهوين المؤلف لدعوة الأنبياء والرسل (إدانة من كلامه في سطوره):

أقول: ما أكثر الدعاة في هذا الزمان الذين يلبسون على الناس دينهم وعقائدهم، فيجعلون همهم الأكبر؛ الدعوة إلى الصراع السياسي والكراسي، لا محاربة الأوثان والقبور، كما فعل صاحب «الرسائل الشمولية» فهون من دعوة الأنبياء والرسل واستخفها بدعوى أن الأوضاع في عصرنا الحاضر قد تغيرت وظهرت صور للجاهلية لم توجد من قبل، فقال -عفا الله عنه- : (وقد تغيرت الأوضاع في عصرنا الحاضر، فظهرت صور للجاهلية لم توجد من قبل كالمذاهب الفكرية المنبثقة من الشيوعية والحضارة الغربية، وتضخم وجود بعض الصور التي كانت ضئيلة في الماضي كالحكم بغير ما أنزل الله تعالى وتوجيه السياسة على غير منهج الإسلام وحصر مفاهيم الإسلام في نطاق ضيق، وتضاءلت في بعض البلاد صور كانت كبيرة في العصور الماضية كعبادة الأموات والأشجار والأحجار، فليس المطلوب من الدعاة أن يركزوا على دراسة صور من الجاهليات القديمة، ولا أن يعيدوا دراسة المباحث الكلامية في مجالات النقد والردود على المخالفين بالمنهج نفسه الذي سار عليه المصلحون السابقون، وإنما لكل عصر دولة ورجال، والبراعة كل البراعة في دراسة الأوضاع المعاصرة دراسة دقيقة عميقة. . . .) إلى آخر كلامه في (ص٦٩-٧١).

قلت - الله المستعان-: إن المؤلف هداه الله قد اعتبر في «رسائله» أن دعوة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام انشغال في الجزئيات، وكأنه يجهل الواقع المعاصر وما فيه من الانحرافات العقدية من التعلق بغير الله، والاستغاثة بغير الله، والذبح لغير الله، فيطلب من الدعاة ألا يركِّزوا على دراسة صور الجاهلية القديمة، وكأنه لا يعلم أن دعوة الأنبياء ركزت على هذا النوع من الشرك، وهو الشرك الأكبر والذنب الذي لا يُغْفَر، لا على الذي يريده المؤلف وإخوانه الحركيون؛ الذين يزعمون أن في هذا العصر شرك آخر وهو شرك الحاكمية وأوثان أخرى مثل أوثان الدولة والزعيم. . . .، ويطالب أيضًا بألا يعيد الدعاة دراسة المباحث الكلامية في مجالات النقد والردود على المخالفين، حتى يروج عفا الله عنه تلك القاعدة البدعيَّة «ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه» حتى ولو كان الخلاف في أصول الدين؛ لأنه أقر هذا النوع من الخلاف وجعله من الخلاف السائغ كما

تقدم من كلامه في أول رسائله، وهنا يقرره فيقول: لا تعاد دراسة المباحث الكلامية في مجالات النقد والردود على المخالفين، فاللهم غفرًا.

فنحن ندينه من كلامه؛ حيث يقول: البراعة كل البراعة في دراسة الأوضاع المعاصرة دراسة دقيقة . . .

فهذا إن لم يكن جهلاً بالواقع، فماذا نسميه ؟! أنسميه جهلا بفقه الدعوة إلى الله، أم نسميه قولاً على الله بغير علم؟!

يقول أحد دعاة القطبية - الذين يقولون مثل قول المؤلف - وهو محمد سرور نايف زين العابدين الذي يفتخر البعض بالانتساب إليه - في كتابه «منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله» - الذي يعتبره الحزبيون مرجعًا لهم بدلا من كتب السلف -: (نظرت في كتب العقيدة فرأيت أنها كُتِبَت في غير عصْرنا وكانت حلولاً لقضايا ومشكلات العصر الذي كُتبت فيه رغم أهميتها ورغم تشابه المشكلات أحيانا. ولعصرنا مشكلاته التي تحتاج إلى حلول جديدة ومن ثم فأسلوب كتب العقيدة فيه كثير من الجفاف لأنه نصوص وأحكام ولهذا أعرض الشباب عنها وزهدوا بها). انتهى .

قلت: قارن بين هذا الكلام، وكلام المؤلف في الصفحات المتقدمة !

فهذا هو كلامهم، ومن كلامهم ندينهم، فهم بهذا الفكر الجديد الحادث المبتدع يريدون فقها جديدًا، فالفقه القديم عندهم فقها ليس من الواقع فهو عندهم فكرٌ تجريديٌّ. فكر خرج عن التاريخ جملة واحدة وظل في مكان علوي لا يمس الواقع، فهم في وادٍ والفقه الإسلامي في وادٍ آخر، وهم يريدون تفسيرًا جديدًا للقرآن أيضا؛ لأن التفاسير الموجودة أو المتداولة بيننا يرونها مرتبطة بالواقع الذي صيغت فيه وعبرت بعقلية ذلك العصر، وقل في باقي العلوم الإسلامية.

فأقول: وهل بهذا المنهج المبتدع نستطيع أن نقوم بالدولة الإسلامية التي نصيح بإقامتها؟وهل هذا الفكر إلا أساس الخلاف الذي ندّعي إزالته عن الأمة الإسلامية ؟ ثم نوسّع دائرته بهذا الفكر الضال المُضِل، ولكن صدق من قال:

تَرْجُو النجاةَ ولم تسلكْ مَسَالِكَها

إن السَّفِينَة لا تَجْرِي على اليَبَسِ

ولنا وقفة في «فقه الواقع بين الحقيقة والخيال» وسوف يكون لنا دور في بيانه الشرعي إن شاء الله.

تسامح مؤلف الرسائل مع الحزبية:

وتبرير تحزُّباتهم ولو بالتحريف؛ فكل إناء بما فيه ينضح، أما في (ص٧٢- ٧٥)، يريد المؤلف في تلك الصفحات أن يبرر الحزبية، فيتسامح معهم بكلام غريب وكأنه يريد به تسويغ الاجتهاد حتى للمبتدعة الذين يجيزون التوسل بذات النبي ﷺ ، أو بجاهه، أو شد الرحال لقبره، حتى في موضوع أسماء الله وصفاته جعله من الأمور التي اجتهد فيها العلماء، فقال: (وليس من مقاصد هذه الرسالة بيان الراجح من أقوال العلماء، وإنما المقصود الإشارة إلى عدم جواز الحكم على المخالفين من أهل الاجتهاد والتقوى بالابتداع والضلال، وإنما إذا كان المخالف يعتقد خطأهم يبين أنهم أخطؤوا في اجتهادهم، ويوضح ما هو الصواب في ذلك) .انتهى.

ثم لم يكتف المؤلف بهذا، بل يريد أن يبرر الخلاف بقاعدة «الغاية تبرر الوسيلة» ويستدل بها على فعل هارون عليه السلام، حيث قال لأخيه موسى عليه السلام: ﴿ **إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي** ﴾(طه: ٩٤).

فيقول في (ص٧٧): (فإن مما ينبغي ويتأكد الحذر من التفريق بين المسلمين من أجل الخلاف على قضايا جزئية سواء كانت في مجال العقيدة أو في مجال الأحكام ؟!...).

هكذا يقول! فاعتبر المؤلف أن الذي حصل من قوم موسى -عليه السلام- بعبادتهم العجل قضية جزئيَّة، وإلا كيف استدل بها على الخلاف السائغ ؟! مع أن هارون -عليه السلام- ردَّ عليهم، فقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي**﴾(طه: ٩٠). فهارون -عليه السلام- رد عليهم وأمرهم بالتوحيد، ولكنهم أصروا على ما هم عليه حتى يرجع إليهم موسى -عليه السلام-

واستضعفوا هارون وكادوا أن يقتلوه، كما قال الله تعالى فيه: ﴿**قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي**﴾(الأعراف: ١٥٠) .

ثم أقول والله المستعان: ماذا فعل موسى -عليه السلام- بعد ما رجع إلى قومه غضبان أسِفا ؟ هل عذرهم على فعلتهم ؟ وهل عذر السّامريّ وقبل عذره، أم عاقبه في الدنيا قبل أن يرجع إلى ربه يوم القيامة ؟

فاللهم عفواً فأنا لست بدكتور في التفسير ولا في الحديث!!!

ولكن هكذا تفعل الحزبية المقيتة بأصحابها، والله من وراء القصد. . .

عدم تفريق المؤلف بين خلاف التَّنَوّع وخلاف التَّضَاد:

لم يكتف المؤلف عفا الله عنه بهذا النوع من التدليس أو التلبيس - إن صح التعبير - بل يلبس على الناس بتسويغ الخلاف عموما بحديث فيه الخلاف الجائز؛ وهو ما يسميه العلماء بخلاف التنوع الذي أقره النبي ﷺ انظر لزاما « شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبى العز الحنفي تخريج الألباني (ص٥١٤)، ففيه شرح لهذا النوع من الخلاف والله الهادي سبحانه وتعالى.

فيستدل المؤلف (ص٧٧) بالخلاف في أنواع القراءات الذي قال النبي ﷺ لكل من الصحابيين: «**كلاكما محسن**»، أي كلا القراءتين نزلت من عند الله تعالى !

فالذي ندين الله به؛ لو أن أحدهما أخطأ الصواب؛ لدلّه ﷺ إلى الصواب ولا بد، فلا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، فقد قال ﷺ في أحد الصحابة عندما أخطأ الصواب: «**كذب أبو السنابل**» أي: أخطأ أبو السنابل، وفي هذا النوع من الردود على المخالفين أحاديث وآثار عن الصحابة والسلف كثيرة وكثيرة جداً، والغريب من المؤلف أنه يقع في ما هو صالح للرد عليه كما في (ص٧٨)، وهو إيراده لحديث، غزوة المريسيع، عندما كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين ! فسمع ذلك الرسول ﷺ فقال: «**ما بال دعوى الجاهلية؟**» فأخبروه بالذي حصل فقال: «**دعوها فإنها منتنة**» رواه البخاري.

ففي هذا الحديث رد على التفرق والتعصب الأعمى وإن كان ذلك لهوى النفس،

فكيف إذا كانت دعوى الجاهلية في العقائد والاتجاهات والحزبيات؟ فوالله لهي المنتنة والمنتنة التي ليس بعدها نتن.

جمع كلمة المسلمين على السواء؛ بالرد على المخالفين؛ لحماية الدين:

في (ص٨٠) يريد المؤلف جمع كلمة المسلمين. . .

فأقول: إن هذا ما يريده كل الناس، ولكن لن تجمع كلمة المسلمين إلا بالتصحيح، لا بالتحريف والسكوت على الأخطاء وإن كانت في العقيدة؛ بدعوى أن المخالفين للنصوص- وإن كانت في العقيدة - لم يتعمدوا مخالفة الشريعة كما قاله في (ص٨١).

فنحن نقول: إن كل الطوائف الإسلامية - سواء كانوا معتزلة أو جهمية أو أشاعرة أو. . أو. . إلخ. عدّ ما شئت - لم يتعمدوا مخالفة الشريعة، فردّ عليهم علماء السلف ردوداً لا تكاد تحصى، فهل نقول: إن هذه الردود تضعف الهدف الكبير الذي قال عنه المؤلف وهو جمع كلمة المسلمين ؟ أم نقول: إن الربط بين الخلاف في أمور الدين وبين البغض والبراءة يفرق جماعة المسلمين ؟ كما صرح به في (ص٨٢) .

فلنترك الرد على هذه الشبه للشيخ بكر أبي زيد في كتابه القيم «هجر المبتدع» وللشيخ مشهور سلمان في كتابه «الهجر» ففيه الرَّد الوافر على مثل هذه الشبه والله المستعان.

الرد إلى الحق غير لائق عند مؤلف الرسائل:

قال المؤلف غفر الله له في (ص٨٥) : (إن الذي يلوح بالهجوم المضاد على الآخرين ويتهمهم في عقائدهم يكون قد أقام بينهم وبينه سدًّا منيعا يصعب اختراقه، وبالتالي فإنه يبعد عن هذا المهاجم أن يصل إلى قلوب من يريد دعوتهم مهما أوتي من حجة وبلاغة). انتهى.

فأقول والله المستعان: كيف كان شيخ الإسلام ابن تيمية، وكيف كانت ردوده القوية على المخالفين، وكيف كان موقف الذين عادوه فنبذوه وسجنوه و. . . و. . . إلخ ؟!

ولكن الحق هو الذي ظهر، والسنة هي التي علَتْ وأضاءت ظلام الدنيا بنورها الوهاج، فها هي كتب شيخ الإسلام قد انتشرت وتم لها القبول في الأرض، ووصلت إلى

قلوب الأمة واخترقتها، ولم يكن بينها وبينه حاجـزا أو سدا منيعا، بل كانت كتبه -رحمه الله- حجة وبلاغة لمن فهمها واتبع ما فيها من الهدى المستقى من مشكاة النبوة الغالي.

نُصْح مؤلف الرسائل غير طائل:

أما ما أورده المؤلف في (ص٩٠) ناصحًا المبتدعة أن يرفقوا بأهل السنة، وألا يحكموا على أهل السنة بالبـدعة كـما فعـل المبتدعـة بأهل السنة في أيام الفـتنة في عصـر الإمام أحمد....

فأقول: إن هذا القول فيه رد على المؤلف، فالمؤلف يريد من المبتدعة أن يكونوا مثله؛ أي لا يحكموا عليه بالبدعة، وهذا من المحـال، ولن يكون المبتدعة مثله، بل سوف يردّون على أهل السنة بكل قـوة، لأنهم يوالون أهل طريقتـهم، ويعادون كل من خـالفهم، وإن كان المخـالف لهم صاحب حجة من الـكتاب والسنة، فلن ولن يستـجيب المبتدعـة لدعوة المؤلف، ونحن نقول للمؤلف ومن يسير على طريقـته: عليكم بالكتاب والسنة ولا تخشوا في الله لومة لائم، وإن قل الأتباع وكثر المخـالفون وقل الأنصار، فالله مع الذين اهتدوا، وسوف يبارك فـي أعمالكم وينصركم على من خـالفكم كما نصر الذين من قـبلكم، قال الفُضَـيْلُ بن عيـاض -رحمه الله-: (اتبـع طرق الهدى ولا يضرك قلة الـسالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين).

فعلينا جـميعًـا أن نأخذ ديننا من منابعه الصـافية من القـرآن الكريم وسنة المصطفى الأمين ﷺ الصـحيحـة، ومن كتب سلفنا الـصالح رضوان اللـه عليهم أجمـعين ومن علمائنا المعـاصرين المعروفين بسلامة المنـهج ونزاهة المعتقد، والله حـاميك من شرِّ كل ذي شر.

اعتراف المؤلف بمنهجه ومنهجيته:

أما في (ص١٠٠) فقد اعـترف المؤلف أنه انتهج منهجا غـير المنهج الذي عليه الوسط العلمي الذي كان يعيش فيه، فقال: (قد يتساءل الذين يعرفونني جيدًا: كيف انتهجت هذا المنهج الوسط في الحكم على المخالـفين في العقيدة مع أنني قـد نشأت في وسط علمي لا يعتمد هذا المنهـج، ويعمم وصف التعطيل على كل من أوّل شيئا من الصـفات سواء كان

قليلاً أو كثيرًا، وفي الحقيقة إنني كنت في مراحل دراستي الأولى بما في ذلك المرحلة الجامعية على هذا المنهج. . .) انتهى، وهذا الكلام في الحقيقة يُعْتَبُر اعترافًا منه يسهل لنا تصنيفه؛ وإلى ما ينتمي إليه من الفرق الموجودة في ساحات المسلمين، وخاصة إذا قرأنا كتابه «الرسائل الشمولية» بأكمله، ولكن نحن ما كتبنا هذه الملاحظات لهذا؛ وإنما للنصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، ولكنه في (ص١٠٠) لم يكتف بالاعتذار للنووي ولابن حجر في باب الأسماء والصفات، بل أخذ بالطعن في ابن جرير وابن كثير في هذا الباب؛ ليسوغ الخلاف في باب الأسماء والصفات، ولكنني أقول: إنني من الذين يعترفون بإمامة الحافظ ابن حجر في العلم وكذا النووي، ولكن هذا شيء، والرد على أخطائه وزلاته شيء آخر، بل والتحذير من مثل هذه الأخطار؛ لئلا يقع فيها الجاهل فيظن أنها هي الدين الذي جاء من رب العالمين، وقد رد أهل العلم على مثل هذه الأخطاء التي عند الحافظ ابن حجر، والتي في كتابه العظيم «فتح الباري» منهم الشيخ العلامة ابن باز -رحمه الله- وقد أكمل الرد على باقي الكتاب الشيخ الفاضل علي بن عبد العزيز الشِّبل في كتاب سماه: «التنبيه على المخالفات العقدية في فتح الباري» فجزاه الله خيرًا.

كما رد الشيخ الفاضل مشهور سلمان على ما في شرح مسلم للنووي من أخطاء في العقيدة في كتاب سماه " الردود والتعقبات " فجزاهم الله خيرًا على هذا النصح الذي سار على منهج السلف، ولم يخشوا في الله لومة لائم، والله حافظ دينه ولو كره المرجفون، أو خجل المتحزبون، أو اندس الخائفون.

ملاحظات على الرسائل الشموليّة الثانية في العقيدة والسِّياسة والحكم بما أنزل الله: أما من ناحية رسالته الثانية من رسائله الشمولية: «شمول العقيدة» فالرد عليها يحتاج إلى صفحات أكثر من السابقة، ولكن باختصار: إن الذي يريده المؤلف في هذا الباب أن يسوغ الحكم بغير ما أنزل الله بدون أن يشعر هو؛ لأنه هو نفسه يقول: إن الحكم بما أنزل الله من أصول العقيدة، ولكنه هو يقرر القاعدة الكفرية «الغاية تبرر الوسيلة» دون أن يشعر؛ حيث يقرر في (ص١٣٥) بمشروعية المشاركة في الانتخابات السياسية، يعني المشاركة في البرلمانات السياسية؛ لغاية مصلحة المسلمين، فيقول:

(وبعض الناس يستدلون على عدم مشروعية المشاركة في الانتخابات السياسية بالإخفاقات التي تحصل للمشاركين فيها من ممثلي المتقين، وهذا استدلال غير صحيح؛ لأن النجاح في أرض الواقع ليس دليلا للمشروعية، وكذلك الإخفاق ليس دليلا على عدم المشروعية، وإنما يلزم لذلك النوايا الصادقة في الإصلاح، واعتبار الأخذ بالضروريات كمسوغ لمشروعية هذا الأمر؛ وذلك للحفاظ على مصلحة الإسلام والمسلمين، وإذا كان الفرد المسلم يجوز له التفوُّه بالكفر عند الإكراه ﴿**مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ**﴾(النحل: ١٠٦)، لا لشيء إلا للإبقاء على نفسه والخلاص من أذى الأعداء أفلا يجوز لممثلي المتقين من الأمة أن يقعوا في تلك المخالفة الشرعية من أجل أن يُبقوا على وجود الإسلام في بلادهم وأن يحفظوا مصالح المسلمين من الاجتياح على يد أعداء الإسلام؟!). انتهى.

فأقول والله المستعان: وهل هذا الفكر وهذا الاتجاه هو عين الحكم بغير ما أنزل الله؟! ثم هو يعترف بنفسه أن دخول البرلمان مخالفة شرعية لما يعرفه هو بنفسه أنه مخالفة شرعيَّة، يعني وسيلة غير شرعية، ولكن يبررها للغاية التي ينشدها، فهو يعلم أن البرلمان حكمٌ ما أنزل الله به من سلطان، ويعلم أن فيه قوانين مخالفة للدين القويم، ويعلم أن الذي يدخل البرلمان يجب عليه أن يقسم به، ويحكم به، ثم هو يسوغه بشرط صلاح النية، وكأن النية الصادقة عنده تجعل الباطل صالحا يجوز العمل به !

وأقول أيضًا: ما تأخر المسلمون إلا بهذا الفكر المخالف للكتاب والسنة، وهو فكر الأحزاب التي خرجت عن منهج الإسلام الذي رسمه الله للناس إلى حثالة أفكار القادة الحزبيين الذين رسموها للناس بأسلوب لم يأذن به الله، بل بأسلوب لا يرضي الله ويخالف أمر الله، والأدهى من ذلك أن ينسب المؤلف هذا الفكر لشيخ الإسلام ابن تيمية تزلفا وتمسحا به كما سبق بيانه عنده وعند غيره من المتزلفين لشيخ الإسلام، انظر إلى هذا النوع من التمسح إلى كتاب: «دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الدعوات الإسلامية المعاصرة» لصلاح الدين مقبول.

وأما الذي نعرفه عن شيخ الإسلام ابن تيمية أنه لم يمارس السياسة، ولكنه أفتى فيها

كما أفتى في غيرها من الفنون الشرعية، وكان يقول -رحمه الله-: أنا رجل ملة لا رجل دولة، كما في: «العقود الدرية» لابن عبد الهادي (ص١٧٧).

وأما استدلال المؤلف بهذا الفكر بيوسف -عليه السلام- فهو الضلال المبين، فيوسف عليه السلام لم يسوغ لنفسه استلام الوظائف السياسية كالبرلمانات الكافرة، ولم يقبل الدخول فيها، ولكن كما قال الله تعالى: **﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾** (يوسف: ٥٤، ٥٥).

فيوسف -عليه السلام- لم يُمَيِّع دينه، ولم ينفذ قانون الملك الكافر باسم مصلحة الدعوة، ثم إن يوسف -عليه السلام- قد زكاه الله، ولا يعمل إلا بأمر الله، أما اليوم فالداخل في البرلمان لابد له أن يحلف بالدستور، ويحترمه و.. ثم أين هؤلاء الذين دخلوا هذه البرلمانات، ماذا فعلوا للإسلام؟ نعم هم دخلوا البرلمانات، وحكموا بغير ما أنزل الله، وكفروا من لم يحكم بما أنزل الله بدون تفصيل أو تحقيق، فرمتني بدائها وانسلت.

والغريب من المؤلف أن يعقد بابًا (ص١٤٨) فيقول: أهمية الدعوة إلى الحكم بما أنزل الله، ولكن المؤلف سلك في هذا الباب مسلكًا لا يقره عليه عالم مسلم؛ حيث جعل الحكم بما أنزل الله من أصول التوحيد، بدون حجة، وبدون التفات إلى تفاصيل العلماء في هذا الباب، بل يرسل الكلام في هذا الباب على عواهنه، ويزعم أن النبي ﷺ دعا إلى الحاكمية وكأنه دعا إلى دولة وإلى حكومة، مع أن هذه الدولة والحكومة الإسلامية التي يطالب بها الدعاة من أمثال المؤلف؛ لن تقوم إلا بالطريق الموصل إليها، وهو الانطلاق بالمنهج الذي سار عليه النبي ﷺ وهو في البدء بالدعوة إلى محاربة الشرك العقائدي من عبادة الأوثان وغيرها... هذا هو الذي بدأ به النبي ﷺ ومن قبله من الأنبياء والرسل عليهم السلام، ولكن من المستغرب من المؤلف أنه يدقق على هذا الباب الذي عقده في رسائله وكأن المسلمين قد حققوا التوحيد الخالص في هذا الزمان، وهم في الحقيقة - الأغلبية منهم- واقعون في الانحراف في توحيد الألوهية، بالتعلق بالقبور دعاءً

واستغاثةً وذبحًا ونذرًا وما يتعلق من الأعمال المنكرة ذات الصلة بهذه القبور و. . . و. . إلخ.

وهذا هو واقع الأمة الإسلامية في هذا الزمان يا علماء الواقع! لهذا لم يكتب لها النصر على الأعداء؛ لأنها لم تنصر الله، ولم تنصر ما جاء به الرسل من عند الله، لهذا لم يمكنوا في الأرض، ولم يُستخلفوا فيها، ولكنهم بُدِّلوا بالخوف بعد الأمن، وهذه هي سنة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا، فأهل السنة والجماعة يؤمنون بأن دعوة الأنبياء كلهم ركَّزت على محاربة عبادة الأوثان والأصنام، أما الدولة الإسلامية المنشودة فما قامت إلا بعد ما طهرت النفوس من الشرك الأكبر واستأصلته من القلوب، وعلقتهم بالله وحده لا شريك له ولا ند له ولا سمي له سبحانه وتعالى، كما قال الله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا**﴾ (النور: ٥٥).

فالدعوة إلى التوحيد واستئصال الشرك كانا هَدَفَي بعثة الأنبياء عليهم السلام، وكانت دعوتهم وتعليمهم يقوم على هذا الأساس عبر التاريخ البشري، مهما حاول الناس تزييف هذا الهدف، أو يؤصلوا أصولا ليصلوا إلى مرادهم، فالدولة الإسلامية لن تقوم ولا يمكن أن تقوم حتى تكون دعوة الدعاة كدعوة سيدهم النبي ﷺ بتصحيح العقيدة أولا، وذلك بتصحيح الصلة بين العبد وربه، فهذه هي دعوة الأنبياء والمقصد من بعثتهم، وغاية جهادهم، بل هو قطب الرحى في حياتهم، فمنه يبدؤون وإليها ينتهون قال الله سبحانه تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ (الأنبياء: ٢٥). فالدعوة إلى الحاكمية التي ينادي بها المؤلف ليست هي نقطة الانطلاق للدعوة إلى الله، فهذا لا يقوله إلا القطبية الآنفي الذكر، وهي دعوة مقلوبة، ومعاكسة لدعوة الأنبياء والرسل الذين قاموا بتأسيس القاعدة أولاً ثم القيادة ثانيا، لا العكس، فالتوحيد الخالص أولا ثم الحاكميَّة تبعًا.

الجهاد في منظور مؤلف الرسائل الشمولية:

في (ص١٦٠) يهوّن من أمور تصحيح العقائد للخارجين إلى الجهاد، ويضرب أمثلة من السيرة النبوية بأن من المسلمين من لم يصحح بعض أمور العقيدة إلا بعد خروجه للجهاد فقال: (.. زعم بعضهم بأنه يُشترط فيمن يخرج للجهاد أن يكون قد صحح اعتقاده تماما من الخلل والمفاهيم الخاطئة...) إلى آخر كلامه.

فأقول: وهل كان الإمام غير رسول الله ﷺ الذي دعا إلى التوحيد بداية ونهاية، ثم إنه ﷺ كان ينبههم على الأخطاء ولم يسكت عليها، ولكن الآن مع من يجاهد المسلمون؟ هل معهم إمام يعلمهم وينبههم على أخطائهم في العقيدة وغيرها من الأحكام؟

ولكن مع الأسف فالمؤلف عفا الله عنه لا يعرف ما يقوله، ولا يعرف كيف يقيس، فكثير من قادة الجهاد في هذا الزمان لا يتكلمون في العقيدة بزعمهم أنها تفرق المسلمين، فلا يثيرونها، مع أنه كان ممن كان يجاهد مع المسلمين يرى من الناس من يستغيث بغير الله، وطلب النصر من عند غير الله، وإذا أراد أحد أن يُنْكِر؛ أسكتوه ومنعوه، وربما طردوه وربما.... فاسأل المجربين...!

ولكن ما أقول إلا أنه الجهل بأمور الجهاد والعقيدة معا، أو أقول: هو داء الحزبية الذين جعلوا دينهم حزبهم، أما فهم السلف فلم يكن له عندهم كبير نصيب، وإن استدلوا بهم؛ فبليّ أعناق النصوص والله المستعان.

طعن مؤلف الرسائل لعلماء بلاده:

أما في (ص١٦٢) في موضوع «التركيز على موضوعات الخلاف» فعلى ما يظهر من المؤلف أنه هون أمر العقيدة، وبرأ المخالفين لها كعادته من أول الكتاب، ولكن هنا زاد وتجرأ أكثر من ذي قبل، حيث قال طاعنًا: (.... ومن ذلك أن بعض المسؤولين عن الدعوة في بعض البلاد يبدون اهتماما بالغًا بتدريس العقيدة ولا يهتمون بتدريس مادة الفقه، ويقولون: نحن لسنا بحاجة إلى دروس الفقه، نحن نحتاج إلى دروس العقيدة فقط....) . انتهى.

قلت: من هم المسؤولون الذين قصدهم المؤلف؟! وأين هم، ومن هم؟! يلزم

التحديد، وإلا فعلماؤنا المسؤولون عنا؛ دروسهم جمعت بين العقيدة والفقه، بل وكل علوم الآلة التي تعتبر وسيلة لفهم أحكام الشريعة من عربية فصحى، وأصول تفسير، وأصول فقه، وقواعد المصطلح، ونحوها من الوسائل النافعة في معرفة أحكام الكتاب والسنة، فلله الحمد والمنة، ولكن المؤلف عفا الله عنه بدأ يهون من طلب علم الجرح والتعديل للصغار من طلبة العلم ويقول: هو شأن العلماء الكبار ، ويقول: إن بعض الموجهين من الدعاة يوجهون طلاب العلم الصغار نحو هذا العلم فيخبطون فيه خبط عشواء ويقعون في أعراض علماء كبار . . . . إلخ. انتهى.

فما أدري كيف يريد المؤلف أن يكون طلب العلم، هل يريد إقحام الطلبة إلى ما يريده هو من أمور السياسة التي - تعتبر الآن - لا دين لها ؟! أم الدعوة إلى الحاكمية التي ينشدها القطبيون ؟!

ولكن الذي ندين الله به: أن علم الجرح والتعديل هو العلم الذي يحتاجه كل فن من فنون العلم سواء كان في التفسير أو التاريخ أو الفقه أو العقيدة وقل ما شئت من الفنون، فلماذا هذا الهيجان من المؤلف ؟ فاللهم غفرًا.

هجوم مؤلف الرسائل على علماء العقيدة:

وفي (ص١٦٩) في موضوعه «وضوح العقيدة» ذكر المؤلف أن الصحابة لم يختلفوا في أمور العقيدة، بينما اختلفوا في بعض مسائل الأحكام. . . فهو عفا الله عنه تناقض لأنه قال في أول الكتاب: إن الصحابة اختلفوا في مسائل العقيدة، وقد نبهت عليه في أعلاه، وما أدري ما سبب هذا التناقض، فلعله الحيرة، ولكنه في نفس هذا الفصل هجم هجوما عشوائيا على علماء العقائد وادعى أنهم نقلوا العقيدة من الوضوح إلى الإشكال ومن البساطة إلى التعقيد، ثم قال: إن كتب العقائد التي ألفها علماء السنة لا تخلو من مبالغات وشطحات. . وقد يكون فيها شيء من التناقض والاختلاف . . انتهى.

فأقول: ماذا يريد المؤلف من هذا الكلام ؟

ونريد منه ومن أتباع منهجه جوابًا على هذه الأسئلة:

لماذا ألَّف علماء السلف في العقائد؟ ولماذا أُلفت كتب التوحيد والرد على المخالفين؟

ولماذا أُلِّفَت كتب الاعتصام بالكتاب والسنة؟ ولماذا ألف شيخ الإسلام ابن تيمية عدة رسائل فيها الرد على المخالفين من المنطقيين والعقلانيين؟ ولماذا أرسل الرسائل إلى أهل واسط وتدمر ؟ ولماذا ألف الطحاوي عقيدته على منهج أهل السنة؟ لماذا . . ولماذا . . ؟

أليس كل هذا من أجل المخالفين لها؟ أليست الردود لمن خالف الكتاب والسنة؟ أليست الردود لحماية جناب الدين؟ إذن لماذا هذا الهجوم؟ فنقول: إنهم ألّفوا كتب العقائد فخلقوا إشكالات وتعقيدات ومبالغات وشطحات . . .

إنه هو السبب نفسه: نريد أن نجمع المسلمين بنحلهم ومللهم، وبِعُجَرِهِم وبجرهم!!

إنها دعوة الإخوان المسلمين البعيدة عن الواقع الأليم، فهذه الدعوة لم تنجح ولن تنجح، وليست مباركة، لأنها تخالف منهج السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان؛ الذين مكنهم الله في الأرض بالاتّباع، لا بالابتداع،ولو أن المؤلف دعا إلى دعوتهم لبارك الله في رسالته هذه، ولقبلها الناس، ولكن البون واسع عن فهم السلف، ويريد عفا الله عنه أن يفرض عقله على الشرع المطهر، فيا لها من نكسة !

الحاكميَّة بمنظور قطبي والتصفية والتربية عند مجدد القرن:

وفي (ص١٧٤) يقرر عقيدة سيد قطب في تفسيره لا إله إلا الله: لا حاكم إلا الله ! ويتهم العلماء بعدم فقههم في الواقع، وأنهم شغلوا أنفسهم بالتنقيب في بطون الكتب القديمة، وأنهم يحاربون في غير الميدان الصحيح و . . و . . إلخ ، فأما تفسيره لمعنى لا إله إلا الله بأنه: لا حاكم إلا الله؛ فقد نبهنا عن هذه الشنشنة قبل قليل، أما القدح بالعلماء وذمهم بأنهم لا يعلمون الواقع، فهذا جهل بواقع العلماء، ورميهم بالدَّاء الذي يعاني هو المؤلف نفسه منه، فواقع الأمة الإسلامية قد علمه العالم والعامي؛ فها هي الأمة الإسلامية واقعة في الجاهلية الأولى من تعظيم الأموات والقبور، وما يخلو بلد إلا وهذا واقعه، والواقع أيضا أن كثيرا من الناس يجهل الأحكام الفقهية، حتى أمور الحيض والطهارة والصلاة و . . و . . إلخ .

فرحم الله الشيخ الألباني حين نصح الناس بالتصفية والتربية، حيث تصفية الدِّين من كل ما هو غريب منه، ثم تربية الأجيال على هذا الدين المصفّى، فهذا العالِم الألباني

العالِم الرباني كان عالما بالواقع حقيقة، ولكنه عالما على منهج السلف الذي قدحه المؤلف بقوله: إنهم منقبون في بطون الكتب القديمة لمعالجة الواقع، فعفا الله عنه وغفر له.

ونحن نقول كما قال عالمنا -رحمه الله-: لابد من التصفية والتربية، وإلا كانت دعوتنا هباءً منشوراً، ومقولة الألباني هذه موافقة لمقولة إمام دار الهجرة مالك ابن أنس- رحمه الله-: (ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها) والله المستعان.

ملاحظات على رسالة المؤلف الثالثة: «شمول العبادة»:

أما في رسالته الثالثة «شمول العبادة» فقد ذكر بعض الأحاديث الضعيفة، فكان ينبغي له أن يتحقق من صحتها، ولئلا ينسب إلى النبي ﷺ ما لم يقله، وخاصة أن المؤلف دكتور في الحديث والتفسير كما هو يقول، ففي (ص١٨٤) ذكر حديثا في المسند للإمام أحمد (حسن الظن من حسن العبادة) فقال المؤلف: أخرجه الإمام أحمد وأبو داود بإسناد حسن، مع أن الحديث ضعيف وإن صححه الحاكم ووافقه الذهبي؛ ففيه سمير بن نهار قال عنه الذهبي في الميزان (٣٥٥٦) عن أبي هريرة: نكرة. وقال الألباني -رحمه الله- في «الضعيفة»(٣١٥٠) : ضعيف وذكر من أخرجه، ثم ذكر المؤلف حديثا آخر ضعيفا، وهو (أفضل العبادة انتظار الفرج) فقال: أخرجه الإمام الترمذي، مع أن هذا الحديث أيضا ضعيف، ولم ينبه عليه المؤلف عفا الله عنه، ففي الحديث حكيم بن جبير اتهم بالكذب، وفيه حماد بن واقد وهو ضعيف أيضا، وقال الهيثمي في «المجمع»: وفيه من لم أعرفه، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٤٩٢) وقال: ضعيف جداً.

ثم ذكر المؤلف حديثا آخر في (ص١٨٦): «ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة أول مرة ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها» قال المؤلف أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي أمامة . مع أن المؤلف لم ينبه على ضعفه، ففيه عبيد الله بن زحر وهو منكر الحديث، يروي عن علي بن يزيد الألهاني وهو متروك، وذكره الألباني رحمه الله في «الضعيفة» (١٠٦٤) وقال في الحديث: ضعيف جداً، ثم ذكر المؤلف في نفس الصفحة حديثا آخر ضعيف، وهو: «أحب ما تعبدني به عبدي إلي النصح لي».

وهو حديث قدسي، قال المؤلف: أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي أمامة، وهذا

الحديث لم ينبه عليه المؤلف وهو ضعيف جدًّا وهو بنفس السند المتقدم الذي فيه عبيد الله ابن زحر عن علي بن يزيد الألهاني.

وفي (ص٢٣٠) ذكر المؤلف حديثا آخر ضعيفًا، وهو: «الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله» رواه أبو يعلى، قال الألباني في «الضعيفة» (١٩٠٠): ضعيف.... قال يوسف بن عطية: الصّفار متروك كما في التقريب، وقال الذهبي في الميزان: مجمع على ضعفه... ثم قال الألباني -رحمه الله- ثبت بلفظ: «**خير الناس أنفعهم للناس**» مخرج في «الصحيحة» (٤٢٧).

ملاحظات على رسالة المؤلف الرّابعة في الفرقة النّاجية المنْصورة:

أما رسالة المؤلف الرابعة وهي شمول معالم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة... (ص٢٧٩) فيدعي المؤلف في هذا الباب أن الفرق المذكورة في حديث «الفرق» ليس في باب الاعتقاد وحده، فالمؤلف -عفا الله عنه- قد خالف جمهور علماء السلف، الذين قالوا: إن الفرق المذكورة في أحاديث الفرق هم الذين افترقوا في الأهواء.

قال ابن تيمية -رحمه الله- في «الاستقامة» (١/ ٤٢): (والبدعة مقرونة بالفرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة، فيقال: أهل السنة والجماعة، كما يقال: أهل البدعة والفرقة). انتهى.

فأهل السنة والجماعة هم ناجون؛ لكونهم على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، ليسوا على ما كان على أهوائهم، كما جاء مصرحا في حديث معاوية ﵁ أنه قال: (إن رسول الله ﷺ قال: «**إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة، يعني في الأهواء، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة**» قال: «**وإنه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه؛ فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله**» ثم قال معاوية ﵁: والله يا معشر العرب! لئن لم تقوموا بما جاء به محمد ﷺ؛ لغيركم من الناس أحرى أن لا يقوم به) رواه أبو داود (٤٥٩٦)، وابن أبي عاصم في السنة وصححه الألباني، والآجري في الشريعة (ص ١٨)، واللالكائي برقم (١٥٠)، وابن بطة العكبري في الإبانة رقم

(٢٦٨)، أما نحن فنعوذ بالله من الآراء المخترعة، والأهواء المتبعة، والمذاهب المبتدعة، وأسأل الله أن يعصمنا جميعا من الانتماء إلى كل اسم خالف الكتاب والسنة، ورحم الله عبدًا اتهم نفسه وهواه، وانتصح كتاب الله لدينه ودنياه.

واعلم أخي المسلم! أن الذي لم يختلف فيه المسلمون قديما وحديثا، أن السلف كانوا يطلقون على أصول الدين وفرائض الإسلام وأمور الاعتقاد والأحكام القطعية في الدين: السنة، وقد ساد هذا الاصطلاح في القرن الثالث الهجري في عصر الإمام أحمد ابن حنبل حين ظهرت الفرق وراجت عقائد المعتزلة والرافضة والصوفية وأهل الكلام، فأخذ أئمة الإسلام حينذاك يطلقون على أصول الدين ومسائل العقيدة: السنة، تمييزا لها عن مقولات الفرق، كما اشتهر إطلاق أهل السنة والجماعة على أهل الحق تمييزا لهم عن الفرق وأهل الأهواء، وكان وصف العقيدة وأصول الدين؛ بالسنة معروفا في عصر الصحابة، إلا إنه لم يكن مشهوراً، مثل قول عمر بن الخطاب: «من ترك السنة كفر»، كما في «الشرح والإبانة» (باب: ما أمر به من التمسك بالسنة والجماعة)، فالتكفير من الصحابة لا يكون إلا في أمر عظيم كأصول الدين والاعتقاد، فيحكم الصحابة بهذا الحكم على أصحاب الأهواء والفرق الضالة، وهكذا قال التابعي الجليل سعيد بن جبير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾(طه:٨٢) قال: لزوم السنة والجماعة. انظر: المرجع السابق.

فكان السلف يطلقون (السُّنَّة) على ما سلم من البدع والأهواء والشبهات، فإذا سلم كان هو الحق والدين الذي سنه الرسول ﷺ، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم» رواه الدارمي (١/ ٦٩).

فالسلف الصالح كانوا يطلقون السنة على أمور الاعتقاد وأصول الدين، وهذا يتضح من مصنفاتهم في الاعتقاد، حيث كانوا يسمونها «السنة» من تلك المصنفات: «السنة» للإمام أحمد في عرض بعض مسائل الاعتقاد، وكتاب «السنة» لعبد الله ابن الإمام أحمد، وهو في مسائل العقيدة، وكتاب «السنة» للأثرم في العقيدة، وكتاب «السنة» لابن أبي عاصم في العقيدة، وكتاب «السنة» للمروزي في العقيدة أيضا، وكتاب «صريح السنة» للطبري، وكتاب «السنة» للخلال، وكتاب «شرح السنة» لابن أبي زمنين، وكتاب «الشرح

والإبانة» لابن بطة، وغيرها الكثير من هذه الكتب التي كانت تعني أن السنة هي أصول الدين في الغالب، قال الإمام ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٢٣٠): (وكثير من العلماء المتأخرين يخص اسم السنة بما يتعلق بالاعتقاد؛ لأنها أصل الدين والمخالف فيها على خطر عظيم) . انتهى.

فالمؤلف عفا الله عنه عندما انتقد جمهور العلماء بما يعتقدونه؛ فقد وقع في خطر عظيم، أما ما نقله المؤلف عن الشاطبي في «الاعتصام» فلزامًا مراجعته، وقراءته في الباب التاسع، في السبب الذي لأجله افترقت فرق المبتدعة عن جماعة المسلمين، فقد تكلم الشاطبي في هذا الباب في ست وعشرين مسألة في مائة وثلاثين صفحة، قرر فيه -رحمه الله- منهج السلف المتقدم، لا منهجًا آخر حزبيًّا تَلَفيًا؛ يبعد كل البعد عن منهج السلف فتأمل رحمني الله وإياك! فينبغي لكل الناس أن تفهم دينها على منهج السلف، وعليها أن لا تغفل هذا المنهج بمناهج أخرى فيها الرأي والهوى، أما السواد الأعظم المقصود في الأحاديث الذي أورده المؤلف، فهم ليس كما فهم المؤلف، بل السواد الأعظم؛ هم الذين على الحق من أئمة الدين والهدى المقتدى بهم، ومن اتبع سبيلهم، فالسواد الأعظم هم أهل السنة والجماعة، ولا عبرة بالأكثرية، أو بأكثرية الطرق؛ لأنها هالكة، وإنما العبرة لمن كان على الحق، وهم الفرقة الناجية، وهذا هو الجمع الذي تقتضيه النصوص، فالملة المحمدية ستفترق إلى ثلاث وسبعين ملة كما في أحاديث الفرق، ولكن الناجية واحدة وهم الذين على السنة، وإن قلّوا، كما قال ابن مسعود ﷺ: «إنما الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك» ذكره اللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/ ١٠٩).

فكلام ابن مسعود ﷺ يدل على أن الذين لم يكونوا على السنة؛ ليسوا من الجماعة مهما كثر عددهم أو كثرت عدّتهم، وهذا دليل على أن العبرة لا تكون بالكثرة، أو بكثرة العدد؛ وإنما العبرة باتباع السنة وترك الابتداع، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً**﴾(النحل: ١٢٠) فإبراهيم -عليه السلام- كان أمة وحده؛ لأنه على الصراط المستقيم، وهذا رد على من ادعى مشروعية البدع بكثرة المبتدعة. . . . فلا تغتر بكثرة الهالكين، ولا تستوحش بقلة السالكين، والله الهادي إلى سواء السبيل.

فالفرق ثلاث وسبعون كلهم أهل بدع وأهواء، إلا فرقة واحدة منهم ناجية، وهم أهل

السنة، وهذا لا يعني أنه لا يلزم من وقوع الخلاف في أهل السنة، فقد اختلف الصحابة في أشياء من الأحكام، وإنما الكلام في مخالفة تصير صاحبها فرقة مستقلة مبتدعة، انظر «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أما ما أشكل على المؤلف في حال العامة، وهل يدخلون في الفرق أم لا ؟ فهذا يجيب عليه الشيخ صالح المقبلي المتوفى سنة ١١٠٨ في كتابه «العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ» (ص٢٦٩) فليراجع فإنه نفيس .

انتقاد المؤلف على علماء الإسلام الذين ردوا على أهل البدع:

ففي (ص٢٩٣) انتقد المؤلف علماء الإسلام الذين ردوا على الفرق بأنواعها، فقال: (وليس العلم النافع أن نحاول معرفة الفرق المنحرفة التي حكم عليها النبي ﷺ بأنها من أهل النار. . .) هكذا قال والله المستعان؛ ويلزق هذه التهمة بشيخ الإسلام ابن تيمية، وهذا من عجائبه، فهو يعلم أن كتب شيخ الإسلام أغلبها ردود، فما أدري إلى أي مدى تصل الحزبية بأصحابها ؟

ولكن نقول: اللهم ثبتنا على الحق والصراط المستقيم، أما في (ص٢٩٥) زعم المؤلف أن القاديانية والبهائية من الفرق الإسلامية. . . وهذا جهل بواقع هذه الفرق، فالقاديانية والبهائية ليسوا من الفرق الإسلامية الثلاث والسبعين، وإنما هم من الكفار المخلدين في النار، على عكس الفرق الإسلامية، فهم مسلمون ومن الأمة المحمدية، فهم لا يخلدون في النار، كما يعتقده أهل السنة والجماعة، وفي (ص٢٩٦) أدرج المؤلف الجماعات الإسلامية مع الفرقة الناجية. . . ؛ وهذا الإدراج منه؛ لكي يسوغ تحزّباتهم وانشقاقهم عن جماعة المسلمين بأسماء وانتماءات وأفكار لم ينزل الله بها من سلطان؛ وهو ينتمي إلى أحدها كما تقدم إثباته؛ فقد أثبتها على نفسه؛ وأثبتناها عليه من قلمه من رسائله.

فهو أدخل القاديانية والبهائية في الفرق الإسلامية؛ لكي يخرج الجماعات الإسلامية من الفرق الإسلامية الثلاث والسبعين، فاللهم اهده واهدِ من انتمى إلى فكرٍ مثل فكره. . . آمين .

الدعوة إلى الإسلام لا إلى الحزبية فالحزبية من الفرق:

فهذا شيء، ولكن الأهم من ذلك؛ أن الإسلام لا يدعو الأمة إلى التفرق والتحزب

والتكتل في أحزاب وجماعات. بل الإسلام يدعو الأمة إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة وعلى فهم السلف الصالح، أي يدعو إلى إعادة الأمة إلى الجماعة الحق التي قال عنها النبي ﷺ : «.... **على ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»، فلم يقصد النبي ﷺ الذي يقصده أصحاب الفكر الجديد؛ جماعة فيها جماعات، بدعوى التقريب فيما بينها، على طريقة القاعدة الكفرية «الغاية تبرر الوسيلة»، أو على طريقة القاعدة الحزبية «نجتمع فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه» فهذا كله من الباطل العاطل، فالأمة الإسلامية لن تجتمع على الباطل، فالطريق إلى الله واحد، وحزب الله واحد، والغلبة لحزب الله لا لغيره مهما كان ظاهر الأحزاب حسن فيما يبدو للحزبيين، قال الله تعالى: ﴿**وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾(المائدة: ٥٦)، وإذا بحث المتأمل في الكتاب والسنة، يجد أن تفريق الأمة إلى جماعات وتحزيبات في تكتلات كله مذموم، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾(الروم: ٣٢)، فإذا تفرقوا وكانوا شيعا، وخالفوا أمر ربهم، بعدم الاعتصام بحبل الله الذي أمروا به، فلهم الوعيد الشديد من ربهم، كما قال جل وعز: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾(الأنعام: ١٥٩) ، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطًا، ثم قال: «**هذا سبيل الله**»، ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «**هذه السبل، وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**»، ثم قرأ: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ**﴾(الأنعام: ١٥٣). رواه الإمام أحمد وغيره .

قال ابن القيّم -رحمه الله- في «التفسير القيّم»: (وهذا لأن الطريق الموصل إلى الله واحد، وهو ما بعث به رسله، وأنزل به كتبه، ولا يصل إليه أحد إلا من هذا الطريق، ولو أتى الناس من كل طريق واستفتحوا من كل باب، فالطرق عليهم مسدودة، والأبواب عليهم مغلقة، إلا من هذا الطريق الواحد، فإنه متصل بالله موصل إلى الله). انتهى.

فمن هنا يُفهم أن الجماعات الإسلامية هي في الحقيقة من الفرق، وكل منها يقول:

إنه على الحق، وغيرها على الباطل، وكل منها ينتقد على الآخر، يعني: ﴿**كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾ فالمتبصر بحال الجماعات الموجودة في ساحات المسلمين - وهذا من فقه الواقع الذي ينادي به المؤلف - يجد أنها افترقت على أصول رئيسية في المنهج، وهي قد افترقت واختلفت فيما بينها حتى أصبح لكل فرقة أصول مختلفة عن غيرها من الفرق، وهذا الاختلاف الكثير والكبير هو الذي عمق الاختلاف والتفرق بين أهل القبلة، وسبب هذا الاختلاف هو الاختلاف في مصدر التَّلقِّي، أما الفرقة الناجية فمصدر تلقيهم من أصول ثابتة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

الخروج عن أصول الفرقة الناجية المنصورة هو خروج من النجاة والنصر:

أما من خرج عن هذه الأصول؛ أصبحوا أهل بدع وفرقة، فالفرق قد خرجوا من الطائفة المنصورة والفرقة الناجية بشكل كلي أو جزئي، بل أصبح لأهل السنة علامات يعرفون بها، ويميزون بها عن غيرهم من أهل البدع ممن خالفهم، فأهل السنة لا يتركون الجماعة، ولا يسبون الصحابة، ولا يخرجون على الأئمة وإن جاروا، ولا يكذبون بالقدر، ولا يشكون في الإيمان، ولا يمارون في الدين، ولا يتركون الصلاة على من مات من أهل القبلة بذنب، ولا يتركون الجماعة خلف كل والٍ جائرٍ، أو عادل، ويثبتون الشفاعة والميزان والصراط، ويقولون: إن الإيمان قول وعملٌ ونيّة، وإن القرآن كلام الله، ويثبتون عذاب القبر ونعيمه، والبعث يوم القيامة، أما الفرق الموجودة في ساحات المسلمين؛ الذين ينادي المؤلف بجمعهم بالعجر والبجر؛ فهم يثبتون بعضا، وينفون بعضا؛ ولهذا قام علماء أهل السنة بالدفاع عن عقيدة أهل السنة المنجية من الهلاك؛ لهذا سميت ناجية، فهم على ما كان عليه النبي (وأصحابه، فألفوا المؤلفات الكثيرة التي حرروا فيها المسائل لتوضيح وبيان هدى العقيدة جملة وتفصيلا، وتأصيلا وتفريعا، كما سطروا الردود على مخالفيهم؛ لبيان الحق ورد الضلال، فكانت الردود على مر العصور؛ يردّون ويوضحون الحق، برد الشبهات التي تثار حول منهجهم، فهم ثابتون على الحق، ناصرون السنة ، قامعون للبدعة ، حريصون على جماعة المسلمين ووحدتهم على الحق، نابذون للفرقة .

هكذا كان أهل السنة في كل عَصْـر وفي كل مصر، لم يختلفوا في أمور الـعقيدة في أي قرن من القرون، يحـمل الواحد منهم ما يحمله الآخر، ولو تبـاعد المكان أو الزمان، ولو اطلعنا على كتـبهم المصنفة؛ لعلمنا وأدركنا أنهـم على الحق الذي جاء من عند ربهم، فمع اختـلاف أماكنهم وأزمنتهم؛ نجـدهم في الاعتقاد على وتيـرة واحدة ونمط واحد، لا يحيدون، ولا يميلون عن الطريق، فهم على قلب واحد، ولسان واحد، ومعين واحد.

وهذا هو الدليل على أنهم على الحـق المبين، جعلنا الله منهم ومـعهم، فـإنهم على الصراط المستقيم. أما تفسير المؤلف بأن الفرقة الناجية هم المتقون في (ص٢٩٩).

فأقول: إن أهل السنة والجمـاعة هم أدرى من غيرهم في معرفة صفة الـفرقة الناجية الطائفة المنصـورة، وأهل مكة أدرى بشعابهـا، فلا يحق لأحد من غيـرهم أن يتكلم حتى يصفهم؛ وإلا وصفهم بغير وصفهم، كما فعل المؤلف -عفا الله عنه- وكما قيل قديمًا: «إذا تكلم المرء في غير فنه أتى بهذه العجائـب»، وقيل أيضًا: «لا آفة على العلوم وأهلها أضر من الدخلاء فيهـا وهم من غير أهلها؛ فإنهم يجهلون، ويظنون أنهـم يعلمون، ويفسدون ويقدّرون أنهم يصلحون». فهذا هو الحال والله المستعان.

ملاحظات على تقديم المؤلف للحاكميَّة على جميع المنكرات بطريقة ديمقراطية خارجية:

فقد أتى المؤلف بكلام يريد وصف الفرقة الناجية، بغير وصف السلف لها، وإنما جاء بموعظة عن التقوى، ومع ذلك جاء بكلام تقدم التنبيه عليه فيه، وهو تقديم الحاكمية على جميع المنكرات، حـتى الشرك الذي عند القبوريين، ثم هو نـفسه يقع في شرك الحاكـمية فينادي بالديمقراطية فيقول في (ص٣١٩): (. . . في الآية السابقة - قوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ**. . .﴾ (آل عمران: ١٠٤) - فإنها بكل أفرادها تشكل الجماعة التي من حقها أن تختار أهل الحل والعقد. . .) .

فأقول: وهل هذه الدعوة إلا الديمقراطية بعينها ﴿**فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ**﴾(الحشر: ٢)، ثم في (ص٣٢٠) دعا إلى الخـروج على الحكام الذين يحكمون بغـير ما أنزل الله، فـقال بعد ما ذكر الحديث في إنكار المنكر: «**من رأى منكم منكرًا**. . .»:

فقال: يتبين لنا أن الجهاد يعد من أحد أقسام إنكار المنكر الثلاثة، حيث إنه يكون نوعًا من الإنكار باليد، خصوصًا ما إذا كان المجاهدون يقاومون من تسلطوا على بلاد المسلمين فحكموا بغير ما أنزل الله تعالى.. .انتهى.

فأقول: إن هذا الكلام جد خطير، على خلاف منهج السلف، وإنما على منهج الخوارج المارقين... ولكني أدعو المسلمين أن يتنبهوا إلى مثل هؤلاء الدعاة، وأن يطلبوا العلم قبل قراءة مثل هذه الكتب، التي تقود أولاً وأخيرًا إلى الفتن، وللاختصار أنصح المسلمين أن يقرؤوا «كتاب الفتن» في صحيح البخاري في باب قوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً**﴾(الأنفال: ٢٥)، و «منهاج السنة» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ٣٢)، و«فتح المجيد» (ص١١١)، وهو ينقل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في قوله تعالى: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ**﴾(التوبة: ٣١)، فلتراجع لزامًا لمن أراد الحق بدليله، ومعرفة أهله من دخيله..

ملاحظات على فهم المؤلف للطائفة المنصورة:

أما عن موضوع المؤلف في شمول معالم الطائفة المنصورة (ص٣٢١)؛ فقد جاء المؤلف بما لم يأت به السلف، وجانب منهجهم بوضوح، حيث فرق المؤلف بين الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، وادعى أن عدم التفريق يعد انحرافا في فهم النصوص الشرعية، كما في (ص٣٢٥).

وكأن المؤلف في تفسيره المحدث هذا، فاق على السلف، وأنه بين خطأ السلف في تفسيرهم للفرقة الناجية والطائفة المنصورة، وقال عن تفسيرهم: انحراف في فهم النصوص الشرعية، ثم لم يكتف بهذا، فقد عقد بابًا في (ص٣٢٦) فقال: الفرق بين الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، فيبرر فيه غفر الله له التحزب إلى الجماعات والأحزاب؛ التي ينمي فكره من أحدها، وهذا مع اعترافه أن هذه الجماعات والأحزاب متناحرة، ومختلفة في السيرة والسلوك، فأي تناقض بعد هذا ؟! فليتأمل البصير بأحوال مثل من انحرف عن منهج السلف، وطعن بعلومهم. فاللهم غفرًا. انظر: أيها المتبصر إلى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في «الفتاوى» (٣/ ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩)، فلم يفرق رحمه الله بين الفرقة الناجية والطائفة المنصورة.

فالذي نعتقده نحن، ولله الحمد، ونتديَّن به: أن الفرقة الناجية هي ذاتها الطائفة المنصورة؛ إذ هي منصورة بنجاتها، وناجية بنصرة الله لها، وهذا من المسلمات العلمية عند أئمة العلم وطلابه قديمًا وحديثًا، أما ادعاء التفريق بينهما؛ فمحدث لا دليل عليه ولا هادي إليه، وهذا الكلام الذي أقوله لا يمكن لأحد أن يقرره إلا لمن استقرأ واستقصى وبحث، فالله الموفق وحده.

فالطائفة المنصورة الناجية هي الجماعة المجتمعة على الحق في سائر أمورها؛ في الإمامة والأحكام والجهاد وسائر أمور الدين والدنيا، من عصر الصحابة إلى يوم القيامة، فالمقتدون بهؤلاء هم الذين على علم بهم، حتى يسيروا سيرهم، ويسلكوا نهجهم، فيتبعوا سبيلهم، لا الذين يجهلونهم، أو يجهلون علمهم وسيرهم! فتأمل يا عبد الله! كيف يتيه الذين يتكلمون في غير فنهم؛ فلا شك أنهم يأتون بمثل هذه العجائب؛ بله المصائب، فالجماعة - المجتمعة على الحق في سائر أمورهم- لم تفترق ولم تشذ بطريقة أو بنحلة أو بحزب، فإذا كانت شاذة؛ هلكت وضلت، كما قال ﷺ لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «... **تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**»، قال: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها..**» متفق عليه.

فالفرقة الناجية المنصورة مجتمعة على أمير على أمور دينهم ودنياهم، ومجتمعة على علماء أهل فضل وصلاح واستقامة، وأهل حل وعقد على السنة، فمن كان من هؤلاء فقد نجا، ومن خالفهم مات ميتة جاهلية، أما المبتدعة؛ فهم الذين شذّوا؛ لأنهم خالفوا فهلكوا؛ لأنهم مردودون مع بدعهم، فاتباع الفرق المعروفة وما تفرع عنهم من صوفية وطرقية، وما تفرع عنهم من فرق واتجاهات ومذاهب عقدية وفكرية، قديما وحديثا، كل هؤلاء هالكون، وكذلك الذين يخرجون أو يدعون إلى الخروج على الأئمة وجماعتهم، فهم شاذّون عن الفرقة الناجية المنصورة، وكذلك من شق عصا الطاعة لولاة الأمور من مسببي الفتن، ومعطلي المصالح، فهم من الهالكة الخارجين عن الجماعة، وكذلك يخرج من الطائفة المنصورة الناجية، السفهاء والفجار والفساق الذين لا يهتدون إلى السنة، ولا يقتدون بأهل العلم، ولا يرتدعون بالسلطة، ولا يخضعون لوجهة الجماعة المعنية شرعًا، إلا إذا أخذت على الحق وأطرت عليه أطرًا، ويتخلص مما سبق أن أهل السنة والجماعة هم

الطائفة المنصورة الناجية التي عملت بهدي الرسول ﷺ، ولم يبتدعوا ولم يبدلوا ولم يحدثوا في دين الله ما ليس منه، وهم الغرباء الذين يعصيهم أكثر ممن يطيعهم.

أما الفرق والجماعات المحدثة فهم ليسوا من الناجية؛ لأنهم ميزوا أنفسهم باسم محدث مبتدع، كما قال ابن عباس: «من أقر باسم من هذه الأسماء المحدثة فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه» «الشرح والإبانة» (١٣٧)، وهذه الأسماء هي أسماء الفرق والأهواء، وسئل مالك رحمه الله عن أهل السنة فقال: «الذين ليس لهم لقب يعرفون به»، «تدريب المدارك»(١/ ٧٢).

فأهل السنة لا ينتمون إلى حزب من الأحزاب، ولا شعار من الشعارات، ولا يتعصبون للقوميات، ولا للأوطان، ولا للشعوب، ولا للأجناس، ولا للقبائل، وإنما شعارهم السنة في كل مكان وزمان، فاللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زمرتهم.

طعن المؤلف فيمن قال: إن الفرقة الناجية المنصورة هم أهل الحديث:

أما استنكار المؤلف في (ص٣٢٧) في كون الفرقة الناجية هم أهل الحديث، وطعنه فيمن يقول هذا بوجه الحصر، فقال: (.. إن بيان بعض العلماء لأحاديث الفرقة الناجية والطائفة المنصورة بأنهم أهل الحديث، ليس أدلة شرعية ولا حجة بأقوال هؤلاء العلماء، وإنما الحجة بالكتاب والسنة وتفسيرات الصحابة ﷺ، ولم يرد شيء من ذلك في تخصيص أهل الحديث بذلك، وجعل أقوال العلماء أدلة ملزمة انحراف عن المنهج العلمي ...) انتهى فنقول كما قيل:

وكم من عائب قولاً صحيحًا

وآفته من الفهم السقيم

فأهل الحديث هم المزكون من النبي ﷺ بحمل الدين، وحمايته، وحفظه، مع العمل به، وتعليمه للناس، قال ﷺ في تعديلهم: « **يحمل هذا العلم من كل خلف عدولُه** -وفي رواية(يرث هذا العلم)- **ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**» انظر: «كنز العمال»: (٢٨٩١٨).

قال الألباني -رحمه الله- في «السلسلة الصحيحة» (١/ ٤٨١) في شرح حديث رقم

(٢٧٠) بعنوان: «من هي الطائفة الظاهرة المنصورة؟». قال رحمه الله تعالى -بعد ما ذكر أقوال بعض العلماء في أن أهل الحديث هم الطائفة الناجية المنصورة- :(وقد يستغرب بعض الناس تفسير هؤلاء الأئمة للطائفة الظاهرة والفرقة الناجية بأنهم أهل الحديث، ولا غرابة في ذلك إذا تذكرنا ما يأتي...) فذكر -رحمه الله- كلاما من ست صفحات، أروى فيه الغليل، وشفى العليل؛ لمن أراد السبيل، فليراجع هناك في مكانه، أما المعاندون، فنقول لهم كما قيل:

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد

وينكر الفم طعم الماء من سقم

وانظر أيضًا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في «منهاج السنة» (٦/ ٣١١) ففيه ما ذهب إليه السلف رحمهم الله، وللفائدة أنقل هنا كلامًا نفيسًا لأبي المظفر السمعاني -رحمه الله- «من الحجة لقوّام السنة» (٢/ ٢٢٥) قال -رحمه الله-:

(ومما يدل على أن أهل الحديث هم على الحق، أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم مع اختلاف بلدانهم وزمانهم وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطرًا من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرةٍ واحدة ونمطٍ واحد، يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحدٌ ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلاف ولا تفرقًا في شيء ما وإن قل، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء من قلب واحد وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا ؟ قال الله تعالى الحكيم الحميد: ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا**﴾(النساء:٨٢)، وقال تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا**﴾(آل عمران:١٠٣) وأما إذا نظرت إلى أهل الأهواء والبدع، رأيتهم متفرقين مختلفين أو شيعًا وأحزابًا، لا تكاد تجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد، يُبَدّعُ بعضهم بعضًا، بل يرتقون إلى التكفير؛ يكفر الابن أباه، والرجل أخاه، والجار جاره، تراهم أبدًا في تنازع وتباغض واختلاف، تنقضي أعمارهم ولم تتفق كلماتهم ﴿ **تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ**﴾(الحشر:١٤)) انتهى كلامه، رحمه الله .

حجج أوهن من بيت العنكبوت:

ولكن المؤلف عفا الله عنه يريد أن يفرق بين الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، بحجج واهية وبدعيّة ما عرفها السلف، بحجة «اختصار الأمة إلى فرقة وجماعة واحدة مع قيام التمايز العقدي المضطرب»؟! أو بحجة«لا تصدّعوا الصف من الداخل» أو بحجة «لا تثيروا الغبار من الخارج» أو بحجة «لا تحركوا الخلاف بين المسلمين» أو بحجة «نلتقي فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه!» أو بحجة أوهن من بيت العنكبوت حيث قال في (ص٣١٩): (. . . ولنتذكر أن اليهود كلهم تقريبا دعاة إلى دينهم المحرف . . . إلخ).

وهل هذه حجة ؟ أم زلّة ما بعدها زلّة ؟ فهؤلاء اليهود المختلفون على الكتاب، المخالفون للكتاب، ومع هذا يظهرون الوحدة والاجتماع، فقد كذبهم الله تعالى فقال: **﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾** وكان من أسباب لعنتهم ما ذكره الله عنهم **﴿كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾**(المائدة: ٧٩) .

ملاحظات على توجيه المؤلف للدعاة في تحرير الهدف وبالموازنات:

أما من ناحية توجيهات المؤلف للدعاة (ص٣٣٠ - ٣٨٥)، فالملاحظات عليها كثيرة، ولكن باختصار: ففي (ص٣٤٤) عن مسألة تحرير الهدف بين الأحزاب الإسلامية الذي ينادي به المؤلف، فأقول: إن الهدف لا يمكن أن يتحقق إلا بالبراءة من الأحزاب المتنافسة والمتناحرة فيما بينها، ثم الرجوع إلى علماء المسلمين؛ ليحرروهم مما هم فيه، أما أن يرجعوا خلافهم إلى قادة أحزابهم فلا يمكن أن يتحقق التآلف، فالواقع أن قادة الجماعات هم السبب في كل خلاف، فكل قائد حزب من الأحزاب له قوانينه وقواعده وظروفه وملابساته ومقاصده وأصوله، فبالله كيف يحرر الخلاف بينهم ؟ أترك الجواب للقراء.

أما عن مطالبة المؤلف بتطبيق منهج الموازنات البدعي (ص٣٥٥)، فقال: (وإذا كان الله قد تجاوز عن سيئات المحسنين فلماذا يركز بعض الناقدين على ذكر المساوئ ويتجاوز عن ذكر الحسنات؟. .) . انتهى.

فقد تقدم الرد على هذه الشبهة، وبينا أن منهج (النقد) عند السلف ما يلزمهم ذكر

حسنات المُنْتَقَـد، وذكرنا كتب السلف في هذا كما تقدم، وهكذا كـان النبي ﷺ يتعامل مع الناس في باب النصيـحة، فلم يذكر المحـاسن وإن وجدت، انظر للاستـزادة إلى كتب الجرح والتعـديل وما تقدم ذكره في الصفحـات المتقدمة؛ فليس فيهـا ما ينادي إليه المؤلف غـفر الله لنا وله. وانـظر إلى فتـاوى شيخ الإسـلام ابن تيـميـة (١٠/ ٣٧٣-٣٧٧) في السلوك، ترى كيف قَعّدَ شيخ الإسلام منهج السلف في الرد على المخالفين.

فنهج الموازنات في الحقيقة أنه مطية إلى التعاطف مع أهل البدع، فأهل البدع قد غزوا أهل السنة والتـوحيد في عـقر دارهم، وأفسـدوا عقولاً وعـقائد، وشـوهوا صورة المنهج السلفي وأهله، ودعـوا إلى منهج جديد في النقـد، يزعمون أنه منـهج وسط وحق، وقد اغتر به كثير من الدعاة، حتى الدكاترة منهم، ولا شك أن منهجًا مثل هذا قد أضعف مبدأ الولاء والبراء لله وفي الله ولمنهج الله وأهله، ولو عامل الناس أهل البدع معاملة السلف؛ لماتت البدع في مهدها ووئدت في جحـورها، ولما استطاعت المطابع أن تطبع كتبهم؛ لقلة مشتريها، فدرء المفاسد مقدم على جلب المصالح، فالذين يريدون منهج التوازن في النقد، في الحقيقة أنهم قد استهانوا بخطورة البدع وأضرارها. . .

فأهل البـدع لا كرامة لهم، وإنما الكرامـة لمن سار على نهج الصحـابة والتابعين لهم بإحسان، على منهج الاعتقاد والاعتصام بالكتاب والسنة، ومجانبة البدع والأهواء وأهلها، أما أهل السنة من أئمة الحديث والتـفسير والفقه؛ فهم أهل السنة والجمـاعة، وأما ما كان عندهم من زلة أو فلتـة؛ فـلا يؤاخذون عليـهـا؛ لأنهم إما عـلى أجر أو أجـرين، وهم المعروفون بأهل الحديث كمـا قرره الأئمة الأعلام، منهم ابن المبارك ويزيد بن هارون وابن المديني وأحمد بن حنبل والبخاري والخطيب البـغدادي وابن تيمية وابن رجب، ومن رمى أهل الحديث أو طعن فـيهم فقد تزندق، كمـا قرره العلماء منهم أحمـد بن حنبل والحاكم وابن القيم، نعم! خطأ أهل السنة يُبَـيّن ولكن ليس على وجه الذم لهم، على العكس في المبتـدعة، فلا بد من التعنيـف في الرد عليهم حتى لا يغـتر الناس بهم، فيعـتذروا لهم، فمنهج الموازنـات البدعي قد سـبب بلبلة في أوساط الجيـل الحديث، وسبب في إضـعاف جانب الولاء والبراء، هذا إذا ما أماته عند بعضهم.

أمـا شبـهة المؤلف في منهـجه في الموازنـات، فهي تقـوم على أن المسلمين ما دامـوا

مسلمين، ولم يصدر منهم ما يخرجهم من الإسلام؛ فهم إخوة لنا، فتجمعنا الأخوة الإسلامية، ذكر هذا الكلام في (ص٣٤٢) فهو يدري أو لا يدري أن الفرق هي إسلامية، والمنتمين إليها مسلمون لم يخرجوا من الإسلام، ولكنهم ليسوا على الصراط المستقيم الذي كان عليه السلف من الصحابة والتابعين، فكانوا في الأهواء غارقين، وعن الحق مارقين، وللسنة محاربين، ولنصوص الوحيين محرفين، لهذا كانوا هالكين، وفي النار غير مخلدين، فقال عن الخوارج: «**لأن أدركتهم لأقتّلنّهم قتل عاد**» فهم مسلمون، ومن الكفر فارون .

كذلك القدريّة قال عنهم رسول الله ﷺ : «**إنهم شرار أمتي في آخر الزمان**»، فهم من أمته؛ ولكنهم من شرارها؛ لأنهم لم يتمسكوا بوصية نبيهم في الإمساك عن التكلم في القدر، فصاروا مجوس أمة محمد ﷺ ، وكذلك المرجئة هم مسلمون من أمة محمد ﷺ ، ولكنهم لا يردوا حوض النبي ﷺ ؛ لأنهم بدّلوا وحرّفوا، وكذلك الكلام في بقية الفرق الإسلامية، فهم لم يخرجوا من الإسلام، فهل نطبق معهم منهج الموازنات بحجة أنهم مسلمون، وإن كانوا مختلفين متباغضين متقاطعين متهاجرين؟

وهذا ما لم يقله أهل البدع أنفسهم، فهم لبعضهم مبدعون أو مفسقون أو مكفرون، يبيحون دم بعضهم البعض، ويسبي بعضهم البعض، فهل بعد هذا من كلام ؟ ! فالله الهادي وحده.

في (ص٣٧٣) في عنوان: النور خير وإن كان فيه ظلمة، نقل المؤلف عن شيخ الإسلام كلامًا يظن أن فيه ما يوافق منهج الموازنات البدعي، ولكن مع الأسف! فالمؤلف قد اختار الكلام الذي يوافق فيه هواه من هذا المنهج، ولكي يستقيم عنده ما يريده؛ بتر من النصوص وحرف المراد على حسب ما ينتمي إليه من منهج والله المستعان، فنقل من فتاوى الشيخ (١/ ٣٦٤- ٣٦٦)، ولكن الأمانة العلمية أن ينقل مراد الشيخ من أول الكلام (١٠/ ٣٥٤-٣٧٢)، حتى نعلم ما هي الموازنة وما هو النقد، ولنعلم معنى كلام شيخ الإسلام -رحمه الله- الذي يتعلق به كل من أراد علوًّا في الأرض أو علوًّا في. . . أما عن موضوع الالتزام بالمنهج الإسلامي (ص٣٧٩) .

فنقول نحن لكل الدعاة قول السلف الصالح: المنهج الإسلامي هو الكتاب والسنة وعلى فهم سلفنا الصالح ومن تبعهم، فلا يمكن أن يكون المرجع إلى المؤسسين للجماعات، ثم نقول: إن هذا التزام بالمنهج الإسلامي، فالمؤسسون للجماعات - الفرق - هم في الحقيقة ليسوا علماء، لهذا يجب اعتزال كل الفرق كما تقدم من حديث حذيفة رضي الله عنه.

ملاحظات على رسالة المؤلف الخامسة «شمول السلفية»:

أما عن رسالة المؤلف الخامسة في شمول السلفية (ص٣٨٩)، فأقول: إن الكلام عن السلفية لا يكون من أي أحد؛ لأن الجهل بها يورث عداوة لها، فالجاهل بالسلفية سوف يشكك الناس فيها، مع أن السلفية هي دعوة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، بل هي المتميزة عن غيرها من الدعوات التي في ساحات المسلمين، فالدعوة السلفية هي الوحيدة التي تسير على سلامة في العقيدة، وسلامة في المنهج، فهي على وفق الكتاب والسنة، وعلى فهم سلفها الصالح، فالسلفية لم تتأثر بدعوة الأحزاب التي أسسها رجال مرّت بهم ظروف وملابسات اضطرتهم إلى تكوين حزبهم؛ ليحققوا مصالحهم الخاصة، أو مصالح عقيدتهم أو منهجهم؛ وإن كان على طريق أو على طريقة المبتدعة من صوفية أو خرافية أو سياسية أو.. أو.. إلخ.

أما السلفية فهي دعوة واضحة يشهد لها كل من عرفها - وليس الجاهلون بها أو عنها- فهي دعوة إلى الحق ظاهرة، ليس فيها سرّية، أو اجتماعات في غياهب الظلام، بل جهر بالدعوة الصحيحة لا يخشون في الله لومة لائم، فالسلفية دعوة تهتم بالعلم الشرعي والتوسع فيه، وإن نسبهم الناس أنهم حفظة متون، بل هم دعاة أرادوا أن يحققوا الدرجات العالية عند الله بالعلم والتعليم، فهم خير ما وجد في ساحة المسلمين لمميزاتها الكثيرة، وهي دعوة لا تدعو إلى حزبية، ولا إلى طائفية، بل تدعو إلى الإسلام كله، دقه وجله قال تعالى: ﴿ **يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً** ﴾(البقرة: ٢٠٨).

فالدعوة السلفية ليست حركة سياسية، أو حزبية بتكتل متطرف غالٍ، ولكنها دعوة فطرية، محوطة بأخوة حقيقية، وتعاون صادق، فهم ينتسبون إلى السلف الصالح على

منهج النبوة، فهم لا ينتسبون إلى جماعة حركية وضع أسماءها مؤسسوها، فالسلفية نسبة إلى الإسلام كله؛ بأحكامه وآدابه وأخلاقه وعقيدته، وهي ليست حكرًا على أحد أو على فئة من الناس، فالسلفية مستوعبة كل من سار على منهج النبوة الغالي الثمين، بل وتشمل كل مكان وكل زمان، فالسلفية ذات منهاج متكامل وعتيق، فلا تتقسم فتشمل كل الناس؛ كالأحزاب، والجماعات، فلا يقال: سلفية صحيحة ومستقيمة، وسلفية غير صحيحة وغير مستقيمة، فإذا أخطأ سلفي، فلا ينسب الخطأ للسلفية، فالخطأ يتحمله صاحبه، والسلفية من أخطاء المنتسبين إليها براء، فالسلفية هي السلفية، والناس على فهمها متفاوتون، فالأصل هو السلفية؛ وهو الالتزام على الكتاب والسنة لا يحاد عنه قيد أنملة، ولا يخفى هذا المنهج على أحد، بل دعوة جهرية، المتمسكُ بها صابرٌ عليها، فالسلفية هي دعوة الإسلام الحق كما أنزله الله تعالى على خاتم المرسلين ﷺ، فالله وحده هو المؤسس لها وهو المشرع لها، وليس لأحد كائنا من كان أن يدعي تأسيسها وتشريعها، فالنبي ﷺ تلقاها عن الله بوحي منه تعالى؛ فوعاها ﷺ بوعي أمين؛ فبلَّغها كما وعاها بدقة كاملة، دون تصرفٍ منه في شيء منها، ثم أخذها الصحابة منه صافية طريَّة، لا غَبَشَ فيها ولا غشش، فبلغوها كما سمعوها منه ﷺ، فتلقاها الناس على مر العصور، يحافظون عليها، ويحمونها من تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فنضّرهم الله تعالى؛ جزاءً بما كانوا فيه من حسن الاتباع لخير داع ﷺ.

لهذا كانت السلفية؛ هي التي يحتاج إليها الناس على مر العصور؛ لكونها لم تتغير بتغير الناس، أو بتغير أحوال زمانهم، فهي على مر العصور منهجها العلمي على العقيدة الصافية والمنهج الواضح، وطلب العلم بأصوله وفروعه؛ عقيدة وأحكاما، تلقيهم للعلم من علماء متبعين، لا مبتدعين، ويأخذونه عنهم عن طريق الرواية، وهذه الطريقة - أي الأخذ بالرواية- استوعبت الإسلام كله، دون التعصب لمذهب أو لمنهج، فالسلفيون يعودون إلى الأخبار الصحيحة والسنن الصريحة، وهذا هو الخُلُق العلمي والعملي مع دينهم، فاللهم أعنهم ووفقهم واهد بهم... آميـــــن.

فالسلفية هي السلفية وإن ادعى المؤلف أن السلفية شاملة يدخل فيها من هب ودب،

فالعبرة في الادعاء هي بالحق لا بمجرد الدعوى، فاليهود قد زعموا أن إبراهيم عليه الصلاة السلام كان يهوديًّا وكان سلفًا لهم، فكذبهم الله بقوله: ﴿**مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾(آل عمران: ٦٧)، لهذا جعل الله تعالى إبراهيم عليه السلام سلفًا لكل الأمم فقال تعالى: ﴿**وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ**﴾ (الزخرف: ٢٨)، وقال: ﴿**ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا**﴾ (النحل: ١٢٣)، وقوله: ﴿**وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ**﴾(البقرة: ١٣٠)، وقال: ﴿**قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا**﴾(آل عمران: ٩٥)، وقال: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا**﴾ (النساء: ١٢٥) وقوله: ﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**﴾(الحج: ٧٨). فالسلف كانوا مستقيمين على الكتاب والسنة، ولهذا رضيهم أهل السنة سلفًا، أما التعصب والتحزب لأقوال الحزبيين ليس له من السلفية من نصيب، فالسلفية ليست مرتبطة أو متعلقة بالعصبية أو الحزبية، فالسلفية موجودة قبل أن تُخلق الحزبية وأصحابها، كما أن إبراهيم عليه السلام كان قبل أن يكون هناك يهود أو نصارى، والسنة كانت موجودة قبل أن يُخلق أقزام المبتدعة وما وضعوه من أصولهم الفاسدة.

فهكذا المؤلف غفر الله له لم يلتزم بما تُلْزِمُه السلفية في دعوته، فهو كثيرًا ما ينادي بالقضايا السياسية، ويركز فيها بالحكم بما أنزل الله، وهذا يعتبر من التناقض، فالسياسة في العصر الحاضر لا دين لها عند أغلب أمم الأرض إلا عند من رحم الله، ومن المعلوم عند كل ذي بصيرة، أن الحكام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله، إنما يحكمون شعوبًا يريدون هذا الحكم، فالعلاج ما يكون إلا على الشعوب أولاً، فإذا رضيت الشعوب الحكم بما أنزل الله، فالحكام سوف يحكمون على رغبة شعوبهم، وكما قيل: كما تكونوا يولى عليكم.

قلة معرفة المؤلف بواقع الأمة وإن ادعاه:

ومن قلة المعرفة بالواقع، يدعي المؤلف في (ص٠ ٤١): «أن المذاهب المنحرفة قد

اندرست مع الزمن ولم يعد لها وجود بارز في هذا العصر. . . .» هكذا قال! وهذا الكلام غير صحيح، فما زال الانحراف موجود، ويمكن أن يكون أشد، كما قال ﷺ: **«لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه»**.

فنحن في هذا العصر مع تراكم البدع والمبتدعة، ومن الفرق والأحزاب المنتشرة؛ ففيه أيضا تربص الكفار بالمسلمين سواء بالتقتيل أو بمسخ الأفكار الإسلامية، فلا يقول قائل: إن المذاهب المنحرفة قد اختفت أو اندرست، فها هو واقع المسلمين المؤلم؛ واقع لن ينالوا النصر فيه من الله حتى يرجعوا إلى الله وينصروا دين الله، فالشرك منتشر في الأمة، شرك في الخوف والرجاء والتوكل والاستعاذة والاستغاثة، وفي الطواف والتوبة، وفي الركوع والسجود، وفي الدعاء و. . . . إلخ .

بل في هذا الزمان قد فاق الشرك عند كثير من الناس شرك الجاهلية الأولى، فصار عندهم شرك في الربوبية؛ في الخلق والإيجاد، والتصرف والتدبير، وفي الرخاء وفي الشدة، شرك حلول واتحاد ووحدة وجود، و. . . .إلخ ولكن لا نريد أن نطيل، فالواقع خير شاهد والله المستعان، فكيف نقول: إن العصر الحاضر قد اندرست منه المذاهب المنحرفة؟! ثم نقول: إن أبرز انحراف هو الحكم بغير ما أنزل الله!

فأين الشرك الأكبر والذنب الذي لا يُغفر في ميزان المؤلف؟! وهو أكبر حكم بغير ما أنزل الله!

لاشك أن الميزان عنده هو الحزبية الضيقة التي تتحكم في الشعور والوجدان؛ فهي التي قلبت الموازين!

نعم إني أقولها بصراحة: الحزبية التي أبعدت عن منهج السلف الصالح، فالأحزاب هذه لم تؤسس بناء دعوتها على توحيد الباري سبحانه وتعالى، حتى لو تربى المنتمي إلى الأحزاب على العقيدة الصافية؛ فإنه لا يواليها كما يوالى قوانين حزبه، فالقوانين الحزبية عنده مقدمة على قوانين الله، ولكن من الذي يتجرأ من الحزبيين ويقول: إن قوانين الأحزاب هي أيضا حكم بغير ما أنزل الله ؟! فَلْيَقُلْها رجل لا يخشى في الله لومة لائم، نعم سوف يقولها رجل، ولكنه سيفصل من الحزب وسيحارب وإن كان أتقى الناس، وإن

كان من أعلم الناس، ولكن لو نصر الحزبَ أرذلُ الناس، وإن كان شيعيا، أو صوفيا، أو خرافيا، فسوف يكون من خير الناس، ومن أتقى الناس، ولسوف يُلَمَّع ويُرَوّج للناس، ولسوف يُعلن له ولمحاضراته ولندواته في جميع وسائل الإعلام، أما الأول؛ فلسوف يُحذّر منه بعد فصله، ويُدعى لهجره بعد توقيفه، ويرمى بأبشع النَّبْزِ بالبهتان، فإن كان في غير هذا المكان؛ لاستباحوا دمه، وحتى عند بعضهم ماله وعِرْضَه...

هذا هو ميزان الأحزاب والجماعات - الفِرَق- التي يقول عنها المؤلف: إنها تشمل السلفية كما صرح في (ص٤٥٥) عند سرده لقصة حصلت له مع رجل يقول ويفخر بأنه سلفي، فينسبه إلى التفكير الضيق والتعصب الحزبي الممقوت، ويدله على أن تكون نظرته إلى إخوانه في الدعوة من الجماعات الأخرى نظرة رحمة ومحبة وأخوة.... إلخ.

ونحن نقول أيضًا: وهل الجماعات تعتبر السلفيين إخوة لهم، أو تمدحهم أو تحبهم؟!

والذي يعلم الواقع حقًّا وصدقًا يرى أن الأحزاب كلها مجتمعة على محاربة السلفيين، ولمزهم بأنهم عملاء وعميان وجهال بالواقع، أو يقولون: إنهم علماء حيض ونفاس وإلى آخره من اللمز الذي سوف يحاسبون عليه عند الله، ومع ذلك فالسلفيون مع مخالفيهم يرجون الله لهم الهداية والتوفيق إلى المنهج السلفي، الذي هو الطريق الوحيد الموصل إلى الله، والطرق الأخرى كلها مسدودة، أسال الله لنا ولهم المغفرة والتوبة والرجوع إلى الله.

ومن باب الفائدة أذكر هنا عن لمز الأحزاب للسلفيين؛ بأنهم علماء حيض ونفاس وجهال بالواقع. فأقول: إنهم أحفاد للمبتدعة الذين لمزوا أهل السنة في قديم الزمان بنفس اللُّمَزَة، فجاء في كتاب «آداب الملوك» للثعالبي المتوفى ٤٢٩هـ قال في (ص١٦٩): (...ودخل أبو علي الجبّائي مدخلهم وزاد عليهم بأن كان يسمي أصحاب الفقه: أصحاب القذارات، يعني أنهم يتكلمون في الاستنجاء والحيض وما أشبههما) انتهى.

فالتاريخ يعيد نفسه.... وواقع الأمة الإسلامية خطير، فالواجب على المؤلف أن يكون من دعاة الحق، لا من دعاة الباطل، فعليه أن يعمل في إنقاذ الأمة من هذه الفرقة الواقعة بها، فالفرق الإسلامية كلها متباغضة ومتدابرة، ولن تكون يدًا واحدة إلا بمنهج

السلف من الصحابة ومن تبعهم، فلا تكون دعوة الدعاة إلى العاطفة؛ فالعاطفة قد تفقد العقل والبصيرة، وقد تفقد الدين إن لم توجه توجيها سلفيًّا، فيجب على كل داعية أن يُحكّم شرع الله ويعقله، ولا يدع دخيلا على الشرع أو على عقله، فيصير بوقًا ينفخ فيه لصالح الملل والنحل الضالة والعقائد الفاسدة، فأصحاب الملل الفاسدة ما فتئوا يحاولون دائمًا تشويه عقيدة السلف والطعن في علمائهم، والقدح في ولايتهم، فهذا موجود في كتبهم ومحاضراتهم ودروسهم، فينبغي التحذير منهم وكشف غورهم وضلالهم وتوضيح مقاصدهم، لا كما يفعله بعض الدعاة الذين يسعون بأساليب التمويه على الناس، وعلى الشباب السلفي خاصة، فينشرون لهم زبالة عقولهم، ويطوّعون كلام الأئمة الأعلام، كتطويعهم كلام شيخ الإسلام ابن تيمية على حسب هواهم، أو على حسب ما ينتمون إليه، وابن تيمية بريء مما نسب إليه، والذي أنصح به هو قراءة كتب شيخ الإسلام، منها المجلد العاشر، والذي يُفْهَمُ فيه منهج شيخ الإسلام السلفي، وحذاري من التدليس الذي يسير فيه الحزبيون، الذين يريدون تزييف منهج الإمام السلفي ابن تيمية، ولكننا نحمد الله تعالى على توفيقه لنا لمنهج السلف الصالح، ونحمده على فهمه والانتماء إليه، والحمد لله وحده الذي جنبنا البدع؛ من حزبيَّة أو قوميَّة أو صوفيَّة أو تبليغيَّة أو خرافيَّة أو إخوانيَّة أو قطبيَّة أو جمهوريَّة أو برلمانيَّة أو.. أو.. إلخ .

فالحمد لله الذي عافانا مما ابتلي به كثير من الناس، من التخبط بسبب الشبه الكثيرة التي يروجها أهل الباطل، وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلاً.

طلب العلم فريضة على كل مسلم:

فالنصيحة النصيحة - من السلامة من التخبط في الشبه التي يبثها الحزبيون - هي في طلب العلم النافع، والعمل الصالح، الذي هو الهدى ودين الحق، فطلب العلم هو أساس كل تصحيح، ومحور كل دعوة، فطلب العلم من علماء سلفيين سوف يلين كل القلوب، ويقوي جميع العلاقات الأخوية، ويهدم جميع الأفكار الحزبية أو التَّهْييجِيَّة الثوريَّة، فطلب العلم يقوِّم جميع المسارات التي تسلم من جميع الشبهات والمزالق، حتى إن العلم النافع ينجي من جميع المصائد والفخاخ، التي ينصبها الحزبيون في طريق طلبة العلم بإذن الله وتوفيقه قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن**

يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾(النساء: ١١٣).

فلتبدأ يا طالب العلم في تعلم أصول أهل السنة والجماعة؛ من أقسام التوحيد الثلاثة، وأصول أهل السنة التي اجتمعوا عليها وفارقوا بها أهل البدع والفرقة؛ كالولاء والبراء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والموقف من الصحابة والذب عنهم، والموقف من أهل الكبائر والمعاصي، والموقف من أهل البدع والكلام فيهم ومعاملتهم، وغيرها من الأصول المسطرة في كتب أهل السنة والجماعة التي من عقلها؛ سوف يكون بإذن الله مُحَصَّنًا ضد كثير من الشُّبه الخطَّافة، والمغالطات والتَّخَبُّطات اللماعة، التي في ساحات المسلمين، والله من وراء القصد.

ولا تنس يا طالب العلم! ويا طالب الحق! أن تأخذ العلم ممن عُرف بالسنة، قال ابن سيرين -رحمه الله-: (إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم).

وفي النهاية أقول: إنه لا صلاح لنا ولا فلاح ولا نجاح لدعوتنا إلا إذا انطلقنا في دعوتنا بالأهم قبل المهم، فنبدأ في دعوتنا من العقيدة والتوحيد، فنبني عليها سياستنا وأحكامنا وأخلاقنا وآدابنا ومسيرتنا، كما بدأ به الأنبياء جميعا، فبه نصرهم الله على أعدائهم ولو بعد حين.

فيا إخوتي في الله ! ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩)، فلا يشوشن عليكم أحد، ولا يخذلنكم أحد، فالعلماء الحقيقيون دائما يركزون على التوحيد والسنة، ويندّدون بالشرك والبدعة؛ فلا تخالفوهم، وكونوا مثلهم بالتركيز على بث العلم الشرعي، لا السياسي الذي لا دين له في هذا الزمان، والذي خاض فيها من خاض فَضَلّ وأضل بحجة فقه الواقع، وأي واقع ؟! من دخله لا محالة واقع، واقع في زلاّت وشبهات وتناقضات وملابسات الله بها عليم؛ لأن فقه الواقع في هذا الزمان مبني على جرف هار؛ مصادره الإعلام الغربي الكافر الكاذب، لا الشرعي الصادق، وهذا الأخير - أي الشرعي- رجاله هم العلماء القادرون عليه، لا أشباه العلماء الذين يرعدون ويزبدون فيه، من الذين ما يحركهم إلا الإعلام الغربي بقنواته وتخرُّصاته، فيا أمة الإسلام ! انطلقوا إلى

الدعوة إلى الله، انطلقوا بنعمة الإسلام والسنة، فبهذا المنطلق سوف تصلون إلى سعادة الأبد؛ لأن سعادة الأبد متصلة بنعمة الإسلام والسنة، وهي النعمة المطلقة التي درج عليها الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون الذين ذكرهم الله في محكم التنزيل، وهؤلاء طريقهم واحد لا يتعدد، وهو الذي ضمن لهم نعمة الدين والسنة، فهو لا يتعدد كتعدد الآخرين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا؛ متحزبين في تكتلات؛ كل حزب بما لديهم فرحون، فبالعلم الشرعي؛ يرفع الله الناس؛ لأن العلم هو ميراث الأنبياء، وسلاح الأقوياء؛ يرفع الله به الدرجات كما قال الله تعالى: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾(المجادلة: ١١)، وقال: ﴿**نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ**﴾(يوسف: ٧٦). قال مالك -رحمه الله- في هذه الآية: (بالعلم) أي: يرفعهم به، وقال ﷺ: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما، ويضع آخرين**». رواه مسلم.

فالله بعث النبيين بالهدى ودين الحق وهو العلم النافع والعمل الصالح، فالعلم الشرعي يجلب المنافع الدنيوية والأخروية، ويدفع المضار في الدارين، فمدار أمر الرئاسة الدينية والدنيوية على العلم؛ لأنه أصل لهما، فلا يتصور أحد من الناس أو الدعاة أن قيام الدولة الإسلامية يكون بمجرد العاطفة، أو بفكر مجرد من الحجة، أو بعلم أشبه بالقليل، فهذا استعجال بالرحيل، إما إلى غياهب القبور، أو إلى ظلمات السجون، «**ولكنكم قوم تستعجلون**» فلا ترم بالحجارة وبيتك من الزجاج، ولا تبني آمالاً على قواعد من الإسفنج، ولا تجهد نفسك قبل أن تكوِّن نفسك، فالعلم؛ قبل القول والعمل، والقاعدة، قبل القيادة، وأما إذا بنيت أدوارًا على شفا جرف هار، فلا محالة فإنها سوف تنهار، وأنت معها تنهار إلى دار ما لها من قرار، فيا إخوتي في الله ! اعتنوا بمصدر قوتكم: الكتاب والسنة؛ وعلى فهم سلف الأمة، فلا تهوِّنوا من شأن هذا المصدر؛ فتهونوا على الله، فكونوا ممن حسّن ظنه بالله، وزهد عن الأفكار المخالفة عن مراد الله؛ فوالله سوف تسودوا العالم كما ساده السلف بنصرهم لدين ربهم فنصرهم الله ﴿**وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾(آل عمران: ١٢٦).

نصروا الله بالتوجيه النبوي لا بالكلام البشري، فالعصمة في اتباع الوحيين على فهم السلف، فالنصر أيضًا بهما، والهزيمة في مخالفتهما، قال تعالى: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ**

عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(النور: ٦٣)، وقال: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾(المائدة: ٤٩).

فانظر أخي في الله حال الأمة الإسلامية اليوم، عندما تركت التوجيهات الإلهية ماذا حصل لها ؟ إنه التدمير والتشريد والتقتيل وانتهاك الأعراض والأموال، فلا يُسْمَع لهم صوت إلا في الأنين والشكوى وطلب الإنصاف، وهذا ليس من قلة هم اليوم، بل هم أكثر من الكثير، ولكنهم غثاء كغثاء السيل، ولكن الداء هو الداء، والدواء هو الدواء قديما وحديثا، فالداء ترك التوجيهات الإلهية، والدواء هو الرجوع إليها، قال ﷺ : «**وجُعل الذل والصغار لمن خالف أمري . . .**».

فالرجوع يا عباد الله إلى أمر رسول الله، فهو أمر الله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾(النجم: ٣، ٤).

﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾(النساء: ٨٠) والله الهادي إلى سواء السبيل، وهو نعم المولى ونعم الوكيل، فأسأل الله أن يرد المسلمين إلى الإسلام ردًّا جميلاً وأن ينصرهم بنصرهم دينه، وأن يعلي كلمتهم بإعلائهم كلمته، وأن يوفقهم بالرجوع إلى الحق ونصره، والله المستعان، وصلى الله على إمام المسلمين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن سار على هديهم.

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾(هود: ٨٨).

كتبه

أبو ماجد أحمد بن عبد القادر تركستاني

١٩/ ١١/ ١٤٢٤ هجرية

الفهرس

الرد على الجفري وكشف تلبيساته وملابساته وافتراءاته

منهج الثوار والتكفير والتفجير في الميزان الإسلامي

ملاحظات على كتاب «الرسائل الشمولية» للحميدي